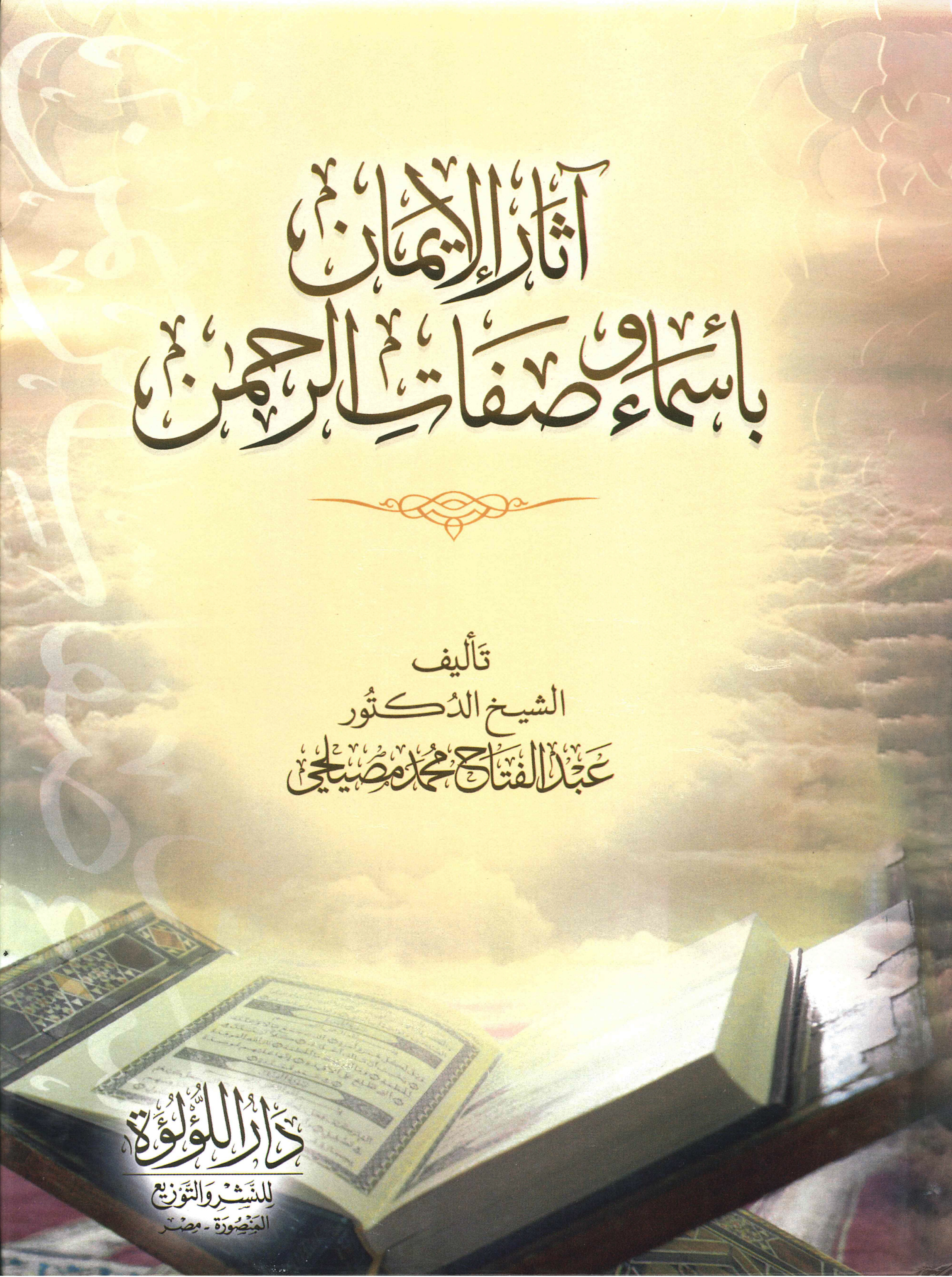


آثار الإيمان
بأسماء وصفات الرحمن
تأليف
الشيخ الدكتور
عبد الفتاح محمد مصيلحي
دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

آثار الإيمان

بأسماء وصفات الرحمن

تأليف/ الشيخ الدكتور

عبدالفتاح محمد مصيلحي





الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م



رقم الإيداع: ١٤٨٩٩ / ٢٠٢٣ م

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٩٩٧-٦٣١-٠



@DarElollaa

Dar_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

0225117747 - 01050144505

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

0502357979 - 01007868983



المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والصلاة والسلام على النبي المُصطفَى، والرسول المُجتبَى، الذي دلنا على الله بأسماء كماله، وصفات جماله، ونعوت جلاله وبهائه، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرحمن على العرش استوى، له ما في السماوات، وما في الأرض، وما بينهما، وما تحت الثرى، وأشهد أنَّ محمدًا عبده وسوله نبي الرحمة ومنارة الهدى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه نجوم السماء ومصابيح الدُّجى، والتابعين لهم بإحسان بلا تحريف ولا تعطيل ولا جدال ولا مِرَا، ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف، ولا كانوا مِمَّنِ افترى.

أما بعدُ:

إنَّ التعرف على الله تبارك وتعالى من خلال أسمائه وصفاته أمر واجب على كل مسلم؛ إذ العمل فرع المعرفة والعلم، وكلما ازداد العبد معرفة وعلمًا بربه ازداد له محبة، وخوفًا، ورجاءًا؛ فيزداد بذلك عمله لله، ويزداد قربه من مولاه؛ لذا كان النبي ﷺ أتقى الناس وأخشاهم لله؛ لأنه كان أعلمهم بالله، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: صنع النبي ﷺ شيئًا ترخَّصَ فيه، وتنزه عنه قومٌ، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فحمد الله، ثم قال: «**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء**

أصنعه، فوالله إني أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية»[1]، وجعل الله تعالى أكثر الناس خشية له هم أكثر الناس علمًا به، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

فإنَّ العبد إذا عرف ربه علم حقيقة ضعف نفسه وحاجته، وعلم عظم ربه وقدرته.

فإن نظر لنفسه لا يرى نفسه إلا مُقَصِّرًا مُفَرِّطًا، وإن نظر لربه لا يرى ربه إلا كريمًا محسنًا.

إن نظر إلى صفات الرحمة والحلم والوُدِّ لا يحل بقلبه اليأس والقنوط مهما تجاوز حدوده وعصاه.

وإن تفكر في تدبير ربه وتوفيقه له للصالحات لا يتسرب إلى قلبه العُجب؛ لأنه يعلم أنَّ كل ذلك من توفيق مولاه.

إن علم أنه عليٌّ أعلى ذلَّ وتواضع لصاحب الجلال والبهاء.

وإن علم أنه ينزل بالليل قام وتضرع بين يديه، وغسل ذنوبه بالدموع والبكاء.

ومن هنا يُعلم أهمية التعرف عليه سبحانه من خلال أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأنها عليها مدار عمل العبد، وقربه وبعده من مولاه، وحبه وخوفه لسيده في علاه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القرآن كلام الله، وقد تجلى الله فيه لعباده: فتارة يتجلى في جلباب الهيبة والعظمة والجلال، فتخضع الأعناق، وتنكسر النفوس، وتخشع الأصوات،

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦١٠١)، واللفظ له، ومسلم (٢٣٥٦).

وتارة يتجلى في صفات الجمال والكمال، فيستنفد حبه من قلب العبد قوةَ الحب كلَّها بحب ما عرفه من صفات جماله، ونعوت كماله، فيصبح فؤاد عبده فارغًا إلا من محبته[١].

فإنَّ الله تعالى لم يبين لنا أسماءه وصفاته للإيمان بثبوتها فقط، ولا لعقد القلب عليها فقط- وإن كان هذا مرادًا محمودًا-، وإنما لإظهار ربوبيته لنا، وبيان كمال احتياجنا له سبحانه، وظهور آثار أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما من جانب الربوبية: فجريان الحكم وإظهار عز الربوبية، وذل العبودية، وكمال الاحتياج، وظهور آثار الأسماء الجسنى: كالعَفُوِّ، والغفور، والتواب، والحليم لمن جاء تائبًا نادمًا، والمنتقم، والعدل، وذو البطش الشديد لمن أصرَّ ولزم المجرة[٢]، فهو سبحانه يريد أن يُرِيَ عبده تفرده بالكمال، ونقص العبد وحاجته إليه[٣].

ولأهمية هذا الباب وعظيم نفعه كتبت هذه الورقات، تناولت فيها بفضل الله ومنته بعض أسماء الله وصفاته، لا من حيث التأصيل والتنظير، ولكن من حيث آثارها للعبد الفقير؛ إذ إنَّ هذا من أعظم غايات معرفة الأسماء والصفات.

فاخترت في هذا الجزء بعض الأسماء والصفات الدالة على كثير من الآثار، والتي قد تشترك مع غيرها في بعض الآثار، وأُتْبِعُها بإذن الله تعالى ومشيئته وتوفيقه ببقية الأسماء والصفات في أجزاء أخرى إن قدر الله البقاء،

---

(١) الفوائد لابن القيم -بتصرف-(١/ ٦٩).

(٢) المجرة: من الجريرة وهى الذنب.

(٣) الفوائد لابن القيم (١/ ٦٧).

وإلا فلعلها إشارة ينفعني الله بها وينفع كل قارئ لها، وما ذكرت من الآثار هو جهد المقل، حيث إنَّ تَقَصِّي كل آثار أسمائه وصفاته أمر فوق طاقة البشر، فضلًا عن العبد الفقير، والله المستعان.

وقسمت الكتاب إلى مبحثين:

❁ المبحث الأول: آثار الإيمان بأسماء الرحمن:

وبدأتها بثلاثة أسماء، وهي ما ورد ذكرها والإشارة إليها في أول سورة في كتاب الله تعالى، وفي آخر سورة ألا وهي اسم «**الله، الرب، المَلِك**»، ثم تبعتُها بأسماء تدل على تمام مُلْكِ المَلِكِ وهيمنته فبدأتها باسم «**الأول، والآخر**»؛ إذ البداية منه، والمنتهى إليه، وختمتها باسم «**الحكيم**»؛ إذ إنَّ كل صفة ترجع لملكه وهيمنته لا بد أن تعود إلى حكمته، وإلا لفسدت السماوات والأرض.

ثم تبعتُها بأسماء تدل على صفات عطاء المَلِك لعباده، وتولِّي أمورهم، ومِنَنِه عليهم مما يدل على استحقاقه للمُلْك فبدأتها باسم «**الرحمن والرحيم**»؛ إذ إنَّ كل عطاء من آثار رحمته، وختمتها باسم «**السلام**»؛ إذ العبد في كد وتعب، وخوف ووجل حتى يُبشر بالسلام من الله السلام، ومن ملائكته الكرام، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

ثم ختمتُ المبحث بأسماء تدل على الثناء والتحميد والتمجيد لله تعالى؛ إذ إنَّ نعمه التي لا تُحصر من آثار صفات ثنائه التي لا تُحصى كـ «**الكريم، والشكور، والجميل، والحميد**».

۞ المبحث الثاني: آثار الإيمان بصفات الرحمن:

واخترت من الصفات عشر صفات، بدأتها بـ «**صفة الكلام**»؛ **إذ إنَّ** كل ما يتعلق بالعبد هو من آثار كلامه القدري أو الشرعي، ولما كانت العبادة هي مراد الله تعالى من خلق عباده، وكانت دائرة على ثلاثة أمور هي: المحبة، والخوف، والرجاء، بدأتُ بصفتين جامعتين لهذه الأمور الثلاثة ألا وهما «**صفة العلو، وصفة المعية**»، ثم ذكرت بعض الصفات الدالة على ذلك على التفصيل، فبدأت بـ «**صفة المحبة**» ثم ثنَّيْتُ بصفات الرجاء، فذكرت «**صفة النزول، وصفة الفرح، وصفة الضحك**»، ثم ثلَّثْتُ بصفات الخوف كـ «**صفة الغضب، وصفة الكره والبغض**»، وتمثلت هذا الترتيب من قول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال:

إذا سافر المحب للقاء محبوبه ركبَتْ جنودُه معه، فكان الحب في مقدمة العسكر، والرجاء يحدو بالمطي، والشوق يسوقها، والخوف يجمعها على الطريق[(١)].

ثم ختمت الصفات خاصة، والكتاب عامة بصفة: قدرها عظيم ونفعها عميم، ألا وهي «**صفة الرضا**».

فأهل الدنيا يطلبونها، وأهل الموقف يتمنونها، وأهل الحساب يرجونها.

ومن عظم صفة الرضا وأهميتها للعبد يطلبها أهل الجنة وهم في رحاب الله المجيد، وذلك بعد أن يحل أهل الجنة في منازلهم بفضل الكريم الحميد، يجمع الله أهل الجنة في يوم المزيد، ويكشف الحجاب عن وجهه فينعم برؤيته القريب منهم والبعيد، فيقول الله لهم: ألا أعطيكم من فضلي وأزيد، فيقولون وأيُّ فضل أعظم مما نحن فيه وكلُّنا مُكرَمٌ وسعيد، فيقول: أحل

---

(١) المصدر السابق.

عليكم رضواني وتأمنون من سخط العزيز الحميد.

فمن نالها فهو السعيد، ومن حُرمها فهو الشقي البعيد.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا الرضا، وأن يجعلنا ممن يحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم بعده أبدًا.

وأسأله سبحانه أن يجزي كل مَن ساهم بعمله وجهده في هذا الكتاب، وخاصة الأخ الفاضل: عبدالله أمين الذي نظم مادة الكتاب في نظم بديع سماه «**مراقي العرفان**» قصد فيه تيسير فوائد الكتاب، وجَمْعَ آثاره ليسهل على قارئه لَمَّ شملِه، وجمْعَ أطرافِه، وترسيخَ فوائدِه وفرائدِه علمًا وفهمًا وعملًا.

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه، وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا مَن أتى الله بقلب سليم.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمدٍ، وعلى آلِه، وصحبِه، وسلِّم.

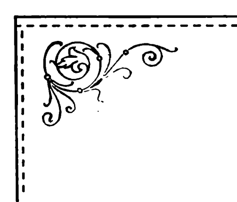
أبو سلسبيل

عبدالفتاح بن محمد مصيلحي

انتهيت منه بفضل الله تعالى يوم الأربعاء

الموافق/ ٢٧ /ربيع آخر /١٤٣٨هـ

٢٥/ يناير/١٧٥٢م




مَرَاقِي العِرْفَان

في نظم

آثار الإيمان بأسماء وصفات الرحمن

المقدمة

بــدأتُ باســمِ اللهِ الواحــدِ المَنَّــانِ ... ذي الفضــلِ والإنعــامِ بالإيمــانِ

لــه الثنــاءُ الحَســنُ الجميــلُ ... مــا اختلــفَ الإشــراقُ والأصيــلُ

وصــلِّ اللهُ مــا بَــدَا الصباحُ ... علــى النبــيِّ أو شَــدَا الصَــدَّاحُ

وآلِــهِ وصــحبِهِ الكــرامِ ... الســادةِ الأئمــةِ الأعــلامِ

وبعــدُ يــا أشــاوسَ العقيــدةْ ... رِفــاقَ الــدربِ وبيــتَ القصــيدةْ

فخيــرُ نعمــةٍ علــى الإنســانِ ... توفيقُــهُ والفــوزُ بالإيمــانِ

والكفــرُ بالطــاغوتِ والأنــدادِ ... والأمــنُ في معمعــةِ المَعــادِ

وإنــه مِــن أعظــمِ الهبــاتِ ... معرفــةَ الأســماءِ والصــفاتِ

معرفــةً تَزيــدُ في الإيمــانِ ... فنرتقــي مــدارجَ العرفــانِ

وتــزرعُ اليقــينَ في القلــوبِ ... وتنشــرُ الأنــوارَ في الــدروبِ



أولاً: آثار الإيمان بأسماء الرحمن

◻ «الله» جلَّ جلاله

وأولُ الأسـماءِ يـا أحبـابي   اللهُ ربُّنـا بـلا ارتيـابِ

فمَـن دَرَى بـأنَّ اللهَ ربُّـهُ   مُسْـتَوْثِقًا ومُطْمَئِنًّـا قلبُـهُ

فعابـدٌ لـه حـقَّ العبـادةْ   مُسَـلِّمٌ في الحكـمِ والإرادةْ

ومثبـتٌ لربـهِ الكمـالَ   مسـتأنسٌ بربـهِ تعـالَى

مُعَلَّـقٌ فـؤادُهُ بـاللهِ   في سـمعِهِ والأمـرِ والنَّـواهِي

ومُـدرِكٌ أنَّ اعتـرافَ العبـدِ   بغيـرِهِ نقـضٌ لكـلِّ عقـدِ

◻ «الرب» جلَّ جلالُه

والـربُّ مـن أسـمائِهِ سـبحانَهُ   مُـدَبِّر الأمـور جـلَّ شـانُهُ

فكـلُّ عابـدٍ لـه مَرْبـوبُ   وباسـمه تُعَلَّـقُ القلـوبُ

هـو التـوَّابُ القـادرُ المُقَـدِّرُ   وغـافرُ الـذنوبِ والمُـدَبِّرُ

وقـاهرٌ فـوق العبـادِ أبَـدَا   وكـلُّ خلقِـهِ آتيـه عَبْـدَا

«المَلِك» جلَّ جلالُه

وَمالِــكٌ ومَلِــكُ الوجــودِ ... ســبحانه مِــن خــالقٍ معبــودِ

يقضــي في ملكِــه بمــا يشــاءُ ... لــه الحســابُ ولــه الجــزاءُ

فَلُــذْ بــه تَعِــشْ بــه مُهَنَّــا ... وتلقَــهُ ســعيدًا مُطمَئِنَّــا

وتُــرزَقِ الخشــوعَ والخضــوعَا ... وباســمِهِ تكــن لــه مُطِيعــا

«الأول والآخر والظاهر والباطن» جلَّ جلالُه

واللهُ أولٌ بــلا بدايــةْ ... وآخــرٌ مِــن غيــرِ مــا نهايــةْ

وظــاهرٌ عَــلَا علــى العبــادِ ... وبــاطنٌ نــراهُ في المعــادِ

أربعــةٌ كأنهــا أقمــارُ ... تتابعــتْ بــذكرِها الآثــارُ

وإنهــا تُــدافعُ الوســاوسْ ... وتقطــعُ الظنــونَ والهــواجسْ

وإنهــا ثبــاتُ المؤمنينَــا ... علــى طــريقِهم مُسْتَبْشِــرِينَا

وتجعــلُ الإنســانَ في إقبــالِ ... علــى المليــكِ الحــقِّ ذي الجــلالِ

فكــلُّ فضــلٍ راجــعٌ إليــهِ ... وكــلُّ نعمــةٍ فمِــن يَدَيْــهِ

«الرقيب» جلَّ جلالُه

وربُّنــا الرقيــبُ والقريــبُ ... لا تختفــي عــن علمِــه الغيــوبُ

ويعلــمُ المكنــونَ في الصــدورِ ... ويكشــفُ المســتورَ في النشــورِ

فمَــن وَعَــى وراقــبَ اســتَرَاحا ... وخــافَ مِــن مــولاهُ حيــثُ راحــا

فيَتَّقِـــي بـــذلك الـــرحمنَ ... ويرتقـــي بخوفِـــهِ الجِنـــانَ

ويَعظُـــمُ الـــرحمنُ في فـــؤادِهِ ... ويـــأمنُ العـــذابَ في معـــادِهِ

ويُحفـــظُ الثـــوابُ للمطيـــعِ ... مـــن ربـــهِ البصـــيرِ والسـميعِ

ويســـكنُ اليقـــينُ في جَنانِـــهِ ... وتظهـــرُ الأنـــوارُ في أركانِـــهِ

ويَحْتَفِـــي بالليـــلِ والأســـحارِ ... ويَكْتَفِـــي بربِّـــهِ الغفَّـــارِ

□ «العزيز» جلَّ جلالُه

وربُّنـــا العزيـــزُ لا يُمـــانَعْ ... ســـبحانه القـــويُّ لا يُخـــادَعْ

فمـــن يعتـــزَّ بـــالعزيز عَـــزَّا ... ومَـــن يَـــرُمْ جنـــابَ النـــاسِ شَـــذَّا

ومَـــن أرادَ العـــزَّ بـــين النـــاسِ ... مـــع اليقـــينِ المُشْـــبِهِ الرَّواســـي

فلْيِطَّـــرِحْ بـــين يَـــدَيْ مـــولاهُ ... فإنـــه يُعِـــزُّ مَـــن والاهُ

ولْيَعْتَقِـــدْ أنَّ المعـــزَّ اللهُ ... ولا مُعِـــزَّ للـــوَرَى سِـــوَاهُ

□ «العليم» جلَّ جلالُه

وإنـــه العلـــيمُ والحكـــيمُ ... وإنـــه العلـــيُّ والحلـــيمُ

فـــإنْ نَسَـــبْتَ للمليـــكِ العِلْـــمَ ... فـــلا تخَـــفْ مِـــنَ المليـــكِ هَضْـــما

كـــذا يعـــيشُ مُطْمَـــئِنَّ البـــالِ ... وواثقًـــا في عِلْـــمِ ذي الجـــلالِ

مُسْتَمْسِـــكًا بشـــرعِهِ الحكـــيمِ ... ومُوقِنًـــا بفضـــلِهِ العظـــيمِ

ومِـــن آثـــارِ علمِـــه تعـــالى ... أن تُـــرزَقَ الإنعـــامَ والأفضـــالَ

«الحكيم» جلَّ جلاله

وربُّنا الحكيمُ في القضاءِ والخلقِ والإبداعِ والإنشاءِ
وكلُّ أمرٍ قائمٌ بحكمتِهْ في مَنْحِهِ ومَنْعِهِ ورحمتِهْ
يُقَدِّرُ الأقدارَ عن إِحْكامِ ذو الفضلِ والجلالِ والإكرامِ
فيُعْطِي مَن يشاءُ منه فَضْلًا ويُقْصِي مَن أرادَ منه عَدْلًا
فَثِقْ به وسَلِّمْ للحكيمِ وسِرْ على نهجِ المَوْلى العظيمِ
وَثِقْ أنَّ الإضلالَ والهدايةْ بحِكْمةٍ كما أَتَى في الآيةْ

«الرحمن والرحيم» جلَّ جلاله

وربُّنا الرحمنُ المستعانُ وإنه الرحيمُ والمَنَّانُ
رحمانُ حيثُ شاءَ بالجميعِ رحيمٌ للمُجيبِ والمُطيعِ
ومِن آثارِ رحمةِ الرحمنِ لزومُ هَدْيِ المُصْطَفَى العَدْنانِ
ويُورِثُ الإيمانَ والمحبةْ فيدعو العبدُ كلَّ وقتٍ ربَّهْ
ويَرضَى بالقضاءِ والأقدارِ لعلمِهِ برحمةِ الجَبَّارِ
ويَرْحَمُ الصغيرَ والكبيرَ ويَصِلُ الغنيَّ والفقيرَ

«الودود» جلَّ جلاله

وربُّنا الودودُ ذو العطاءِ بالخيرِ والإنعامِ والآلاءِ
والعبدُ يكسبُ مِنَ الصفاتِ أخلاقَهُ وأعظمَ السِّماتِ
فيكتسي بالوُدِّ والأخلاقِ ويَرْتَقِي بالعهدِ والميثاقِ
ويشكرُ الودودَ حيثُ كانَ ويَتَّقِي إلهَهُ المَنَّانَ

□ «الكافي» جلَّ جلالُه

وإنــــه الــــذي يكفـــي العبــــادَ ... الــــرزقَ والمَعــــاشَ والمَعــــادَ

ومِــن آثــارِهِ تُكْفَــى الهُمُومَــا ... وتَعْــرِفُ التفــويضَ والتســليمَ

فسَــلِّمِ الأمــورَ للوكيــلِ ... وارضَ بــاللهِ الملــكِ الكفيــلِ

فمَــن أَبَــى فخاســرُ الــدارينِ ... وواقــعٌ في مَقْتِــهِ والشَّــيْنِ

□ «المُبين» جلَّ جلالُه

وإنــه المُبِــينُ قــد أَبَــانَ ... لخلقِــهِ الإســلامَ والإيمــانَ

ومِــن آثــارِ اسـمِ اللهِ المُبِــينْ ... معرفــةُ ســبيلِ المــؤمنينْ

ودعــوةُ الأنــامِ عــن بصــيرةْ ... بــدعوةِ النبــيِّ المُسْــتَنِيرةْ

والعلــمُ والتِّبيــانُ والتَّوضــيحُ ... والشَّــرحُ والإفهــامُ والتَّنْقــيحُ

□ «الشافي» جلَّ جلالُه

وربُّنــا الشَّــافي لكــلِّ داءِ ... بــلا مُطَبِّــبٍ وبالــدواءِ

وإنــه الشَّــافي علــى الحقيقــةْ ... مِــن عِلَــلٍ خَفِيَّــةٍ دقيقــةْ

وإنــه مُطَبِّــبُ القلــوبِ ... مِــنَ الأمــراضِ أو مِــنَ الــذنوبِ

فخَــلِّ اليــأسَ وافْــرَحْ بالمعيــةْ ... تَعِــشْ بــرُوحِ المــؤمنِ الرَّضِــيَّةْ

□ «الرزاق» جلَّ جلالُه

وإنــه الــرزَّاق ذو العطــاءِ ... وباســطُ الأرزاقِ في الســماءِ

فباســطٌ قــد جــلَّ في عُــلَاهُ ... وقــابضٌ بحَسَــبِ مــا يَــرَاهُ

فسِــرْ في الأرضِ واطْلُــبِ الأرزاقَ ... وسَــلْ مــولاكَ الملــكَ الخَــلَّاقَ

وصِلْ ما قد قَطَعْتَ مِن أرحامِكْ وراقبِ الرحمانَ في أموالِكْ
فثِقْ باللهِ واطْرُقِ الأبوابَا ولُذْ بهِ واتَّبعِ الأسبابَا

❑ «النصير» جلَّ جلالُه

وإنهُ سبحانهُ النصيرُ القادرُ المُقْتَدِرُ القديرُ
الناصرُ المعزُّ أوليائِهْ القاهرُ المعينُ أصفيائِه
ومِن آثارِهِ على العبيدِ النصرُ والتَّمْكِينُ للتَّوحيدِ
ومنها البُعْدُ عن دَرْبِ الهزيمةْ والسَّيرُ في الطريقِ المستقيمةْ
ومنها الاكتفاءُ بالنصيرِ عن غيرِهِ مِن خلقِهِ الكثيرِ
ومَن يَرُمْ جنابَ غيرِ اللهِ فخاسرٌ وضائعٌ ولاهِ

❑ «الحَيِيُّ» جلَّ جلالُه

وإنهُ الحَيِيُّ والسِّتِّيرُ وإنهُ اللطيفُ والخبيرُ
فكيف يستحي الربُّ العظيمُ والعبدُ في غفلتِهِ مُقِيمُ
وإنما الحياءُ في الإنسانِ قرينُ الدينِ وأخو الإيمانِ

❑ «السِّتِّير» جلَّ جلالُه

وربُّنا السِّتِّيرُ للعيوبِ وغافرُ الآثامِ والذنوبِ
سبحانه أخْفَى عنِ العبادِ ما لو بَدَا بقُوا بِلا وِدَادِ
فَلْتَسْتَتِرْ عنْ أعْيُنِ الأنامِ ولا تَبَجَّحَنَّ بالحرامِ
ولا تَكْشِفْ ما خَبَّأَ السِّتِّيرُ فرُبَّما يَسْتَيْقِظُ الضميرُ

□ «التوَّاب» جلَّ جلالُه

وإنـــهُ ســبحانهُ التـــوَّابُ ... علـى مَـن قـد عَصَـوْهُ وأنـابوا

ومِـن آثـارِهِ بـذلُ العطـاءِ ... لمَـن أتـى مُنِيبًـا بعـدَ الـداءِ

فـأكثرِ الرجـوعَ والإنابـةْ ... تَنَـلْ فضـلَ الغنـيِّ وثَوَابَـهْ

فَثِـقْ في ربِّـكَ المَـوْلَى العظـيمِ ... ولا تيـأسْ مِـن رحمـةِ الـرحيمِ

□ «العَفُو» جلَّ جلالُه

وإنـــهُ العَفُـــوُّ ذو اقتـــدارِ ... ويمحـو مـا للـذنبِ مِـن آثـارِ

فكـلُّ عبـدٍ مُحتـاجٌ إليـهِ ... وإنـــهُ مُعَـــوَّلٌ عليـــهِ

فَلْتَنْشُـرِ العَفْـوَ علـى الأنـامِ ... تَفُـزْ بعَفْـوِ المَلِـكِ السَّـلَامِ

□ «السلام» جلَّ جلالُه

وإنـــهُ ســبحانهُ الســلامُ ... وللـــوَرَى في دارِهِ الســلامُ

فـأكثِرِ السـلامَ بـينَ النـاسِ ... تـأمَنْ بـذاكَ نَفْثَـةَ الوَسْـوَاسِ

واطلبْـهُ للصـغارِ والكبـارِ ... فإنـهُ مِـن سُـنَّةِ المختـارِ

□ «الكريم» جلَّ جلالُه

وإنـهُ الكـريمُ ذو الجـلالِ ... ويُعْطِـي خَلْقَـهُ بِـلا سـؤالِ

وإنـهُ الجـوادُ في العطـاءِ ... والمنـعِ والتقـديرِ والقضـاءِ

فـأَكْثِرِ العطـاءَ والإكـرامَ ... وصِـلْ قريبًـا وارْحَـمِ الأيتـامَ

وأطعـمِ الغنـيَّ والفقيـرَا ... وسـامحِ الصَّـغيرَ والكبيـرَا

«الشكور» جلَّ جلاله

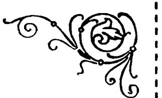
وإنـــهُ الشـــكورُ ذو الثنـــاءِ ... علـى الـوَرَى لأبسـطِ الأشـياءِ
فكُـــنْ لربِّنـــا عبـــدًا شـــكورَا ... لكـــي تنـــالَ أجـــرَهُ الكبيـــرَا
ومِـــن أســبابِ حُــبِّ ذي الجــلالِ ... الشـــكرُ بـــالأقوالِ والأفعـــالِ

«الجميل» جلَّ جلاله

وإنـــهُ ســـبحانهُ الجميـــلُ ... وإنـــهُ الكـــريمُ والجليـــلُ
بفضـــله قـــد أشـــرَقَ النهـــارُ ... وضـــاءَتِ الأقمـــارُ والأنـــوارُ
فَكُـــنْ جميـــلَ الـــنفسِ والطِّبَـــاعِ ... بِـــلا تَكَلُّـــفٍ ولا ابتـــداعِ
وكُـــنْ مُهَيَّئًـــا عنـــد الصـــلاةِ ... بزينـــةِ الخشـــوعِ والإخبـــاتِ
والْـبَسْ مِـنَ الثيـابِ مـا يَلِيـقُ ... وضَـعْ مِـنَ العطـورِ مـا يَـرُوقُ
وزَيِّـــنِ الأقـــوالَ بالجمـــالِ ... وجَمِّـــلِ الأقـــوالَ بالفِعَـــالِ

«الحميد» جلَّ جلاله

وإنـــهُ الحميـــدُ فاحمَـــدُوهُ ... وقَدِّسُـــوا المليـــكَ واشـــكروهُ
وإنـــهُ في ذاتِـــهِ محمـــودُ ... وإنـــهُ بفضـــلِهِ يَجُـــودُ
فوجِّـــهِ الثَّنـــاءَ للمَنَّـــانِ ... بالقلـــبِ واللســـانِ والأركـــانِ
واحمَـــدْ إلـــهَ الحـــقِّ كـــلَّ حـــينِ ... يَـــزِدْكَ مِـــن نصـــرٍ ومِـــن تمكـــينِ

ثانياً: آثار الإيمان بصفات الرحمن

❑ «صفة الكلام»

وربُّنــا قــد أثبــتَ الكـلامَ	لكـلِّ مَـن وَعَـى ومَـن تَعَـامَى
كلامُــه بذاتِـهِ يليــقُ	فَثِـقْ بـهِ إنْ أنكـرَ الزِّنْـدِيقُ
فعَظِّمَـنْ كلامَـهُ تَعْظِيمَـا	ولْـتَحْفَظَنْ كتابَـهُ الحكيمَـا
واسمعْ إلـى القرآنِ في خشـوعِ	وتُـقْ إلـى لُقْيَـاهُ في خضـوعِ

❑ «صفة العلو»

وإنـهُ العلـيُّ قـد تجلَّـى	فـاقْرَأْ وسَبِّحْ باسمِ ربٍّ أَعْلَـى
وقَـدْرُهُ سـبحانهُ عظـيمُ	وكيـف لا وإنـهُ علـيمُ
وإنـهُ السـميعُ والبصـيرُ	وإنـهُ الـرحيمُ والغفـورُ
قَـرَّتْ لـهُ الجبـالُ والأشـجارُ	والأرضُ والسـماءُ والأقمـارُ
وسَـبَّحَتْ مَلائِـكُ السـماءِ	فَضَـجَّتِ الأَفْـلَاكُ بالنِّـدَاءِ
عَـلَا بقهـرِهِ فـلا يُنَـازَعْ	وإنـهُ القـويُّ لا يُمَـانَعْ
فمَـن دَعَـا العلـيَّ في عُـلَاهُ	فإنـه يُجِيـبُ مَـن دَعَـاهُ
ويخشـى ربَّـهُ فـلا يَهَـابُ	سـوى جَنَابِـهِ فـلا يُعَـابُ

❑ «صفة المعية»

واللهُ ربُّنا مع العبادِ بالنصرِ والتمكينِ والإمدادِ
معيةً تخصُّ المؤمنينَا ومنها ما يعم العالَمِينَا
فمَن وَعَى أنَّ الرقيبَ معهُ يحميهِ ويهديهِ ويَرْفَعُهُ
فشُكْرُهُ عليهِ حقٌّ واجبْ وحَمْدُهُ يُحَقِّقُ المَآرِبْ

❑ «صفة المحبة»

وإنهُ يُحِبُّ المؤمنينَ محبةً تَزِيدُ المتقينَ
فمَن أحبَّهُ الربُّ الرحيمُ فقلبُهُ بحبِّهِ سليمُ
ويُلْقِى حبَّهُ بينَ الأنامِ بحُبِّ ربِّنا العدلِ السلامِ
ويَكْتَسِي بثوبِ المَكْرُمَاتِ ويُرْوَى قلبُهُ مِنَ الآياتِ
وحُبُّهُ أمنٌ مِنَ العذابِ وقائدُ الإنسانِ للصوابِ

❑ «صفة النزول»

وينزلُ المليكُ ذو الجلالِ نزولًا لائقًا بذي الكمالِ
يُنَادِي والأنامُ في سُبَاتِ أنا الرحيمُ غافرُ الزَّلَّاتِ
فأغفرُ الذنوبَ والأوزارَ وأسترُ العيوبَ والأكْدَارَ
وأُصْلِحُ الأمورَ والشؤونَ وأكتبُ الثوابَ للراجينَ
وليسَ قائمُ الليلِ الطويلِ كقائمِ الإشراقِ والأصيلِ
فَلْتَنْصِبِ الأقدامَ في الأسحارِ وضَمِّدِ الجراحَ باستغفارِ

❑ **«صفة الفرح»**

ويفـــرحُ المليـــكُ يـــا أحبـــابِي ... بغيـــرِ مِرْيَـــةٍ ولا ارتيـــابِ
فكـــلُّ مُـــوقِنٍ يســـعى حثيثًـــا ... لفَهْمِـــهِ يُطَبِّـــقُ الحـــديثَا
ويُتْبِـــعُ الأســـبابَ بالأســـبابِ ... ليفـــرحَ الـــرحمنُ بالمَتَـــابِ
فيُثْنِـــي دائمًـــا علـــى الـــرحمنِ ... ويطلـــبُ الغفـــرانَ بـــالغفرانِ

❑ **«صفة الضحك»**

ويضـــحكُ الـــرحيمُ جـــلَّ البـــارِي ... كمـــا في مســـلمٍ وفي البخـــارِي
وإنـــهُ كغيـــرِهِ نُمِـــرُّهُ ... وعنـــدَ اللهِ كيفُـــهُ وسِـــرُّهُ
فبَشِّـــرِ الفـــؤادَ بـــالقَبولِ ... بطاعـــةِ الـــرحمنِ والوصـــولِ
وكُـــنْ طَلْـــقَ المُحَيَّـــا ذا ابتســـامِ ... مُسْتَبْشِـــرًا بالفضـــلِ والإنعـــامِ

❑ **«صفة الغضب والسخط»**

ويغضـــبُ الجبـــارُ كيـــف شـــاءَ ... فيُهْلِـــكُ الكفـــارَ والأعـــداءَ
فسَـــلْهُ أن يردَّنـــا إليـــهِ ... ولا تَـــوَلَّ مغضـــوبًا عليـــهِ
فكـــلُّ قـــائمٍ علـــى الغوايـــةْ ... بسَـــخَطِهِ جَنَّبَـــه الهدايـــةْ

❑ **«صفة الكره والبغض»**

ويكـــرهُ العلـــيُّ كـــلَّ حائِـــدْ ... لشـــرعِهِ ونهجِـــهِ مُعَانِـــدْ
فكـــلُّ مـــا قـــد يَجْلِـــبُ العنـــاءَ ... ويَجْلِـــبُ الكُـــرهَ أوِ الشـــقاءَ
فخَلِّـــهِ ونَحِّـــهِ وبَـــادِرْ ... بتوبـــةٍ تَزُفُّـــكَ البشـــائرْ
واعْلَـــمْ بـــأنَّ بُغْـــضَ النـــاسِ شَـــارَهْ ... وإنـــهُ علـــى الهَـــوَى أَمـــارَهْ
فخَـــفْ وخُـــذْ بأســـبابِ المحبـــةْ ... فـــإنَّ المُجْتَبَـــى مَـــن قـــد أحَبَّـــهْ

«صفة الرضا»

ويَرْضَى ربُّنَا على العبيدِ	بنعمةِ الإيمانِ والتوحيدِ
ويَرْضَى ربُّنا على الأنامِ	بِخُلَّةِ الصلاةِ والصيامِ
وإنهُ لَغايةُ المريدِ	فلا أجلَّ مِن رِضا المعبودِ
ومِن لطفِ اللطيفِ بالعبادِ	رِضاهُ يومَ الحشرِ والتنادِ
وربُّنا القريبُ في رِضاهُ	وإنهُ المُجيبُ مَن دعاهُ

الخاتمة

وبعدُ يا أحبةَ الإيمانِ	فإنها أُرْجُوزَةُ المَعَانِي
ضَمَّنْتُها الأسماءَ والصفاتِ	لربِّنا ذي المجدِ والهِباتِ
سميتُها مراقيَ العرفانِ	في أثرِ الأسماءِ في الإيمانِ
نَسَجْتُهُ على ضوءِ المصباحِ	لشيخِنا الغالي عبدِالفتاحِ
مُبْتَهِلًا لربِّنا الجليلِ	يَمْتَنُّ بالإخلاصِ والقَبُولِ
والحمدُ للهِ على التمامِ	والشكرُ موصولٌ إلى الختامِ
وصلِّ اللهُ ما بَدَا النهارُ	وأشرقَتْ بصُبْحِهِ الأنوارُ
على النبيِّ المُصْطَفَى العَدْنانِ	وآلِهِ منائرِ العرفانِ

نَظَمَه

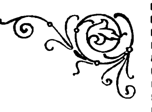
أبو المنذر

عبدالله السيد أمين



المبحث الأول

آثار الإيمان بأسماء الرحمن




اللـــه جــلّ جلالُـه

الله هو الإله الحق المستحق للعباده.

الله هو الذي تألهه القلوب حبًّا وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً.

الله هو الذي تتجه إليه القلوب إخباتًا وإنابةً وتوكلًا وتسليمًا.

الله هو الذي يتجه إليه العباد برفع حاجاتهم ومهماتهم.

الله هو القادر على قضاء حاجات العباد مهما كثرت وعظمت.

الله هو الذي تُرفع إليه الأعمال وحده خالصة له.

الله هو صاحب الكمال والجمال والبهاء، فأسماؤه حسنى وصفاته على.

الله هو أعرف المعارف كما رُوي عن سيبويه، ونقل غير واحد من النحاة الإجماع على ذلك[1]، فلا شيء في الكون أعرف منه سبحانه.

الله هو الذي له الحمد، وإليه المشتكى، وهو المستعان، وبه يُستغاث، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به.

الله هو الذي تنسب وتضاف إليه كل الأسماء الحسنى والصفات العلى.

الله هو اسم خالص لله تعالى ما شاركه فيه أحدٌ، وما سُمِّي به أحدٌ، حتى من يَعبد غيرَ الله يسمونها آلهة، وما يسمونها الله.

الله هو الذي يدل على كل أسماء الله تعالى وصفاته، فإنَّ من أسماء الله

---

(١) شرح ألفية ابن مالك للحازمي (١٨/ ١٣).

تعالى ما يدل على صفات الرحمة والحلم ونحوها، ومنها ما يدل على صفات القوة والقهر والغلبة ونحوها، ومنها مايدل على صفات الملك والتدبير ونحوها، لكن اسم الله يدل بالإجمال على كل ذلك؛ إذ إنَّ الإله لا يكون إلهًا إلا إذا جمع كل ذلك سبحانه وتعالى.

❁ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

ورد هذا الاسم في أول سورة في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢].

وورد في أعظم آية في كتاب الله، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١٠ - ١١١].

وقال: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢].

وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨]، وغيرها كثير.



آثار الإيمان باسم «الله»

۞ منها: العبادة والتعبد لله تعالى:

فإنَّ الاعتراف بأنه الله هو اعتراف وإذعان له بالألوهية والعبودية، وذلك بالتذلل والخضوع له وحده، بل بغاية الذل والخضوع؛ لأنه سبحانه له على عباده غاية الإنعام والفضائل والمِنَن، فلزم أن يكون له سبحانه غاية الذل والخضوع، ولزم التوجه له بكل ما يحبه ويرضاه، فكلما كان اسم «الله» متمكنًا من القلب، كان القلب آنسًا به، وكان التوجه له بالصالحات أكثر وأمثل، وكان حبه له أشد، وذله وخضوعه له أعظم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعبـادة الرحـمن غايـة حبـه ... مـع ذل عابـده همـا قطبـان

وعليهمـا فلـك العبـادة دائـر ... مـا دار حتـى قامـت القطبـان[1]

۞ ومنها: الإخلاص لله في القول والعمل:

لأنه الإله الحق؛ فلا تُصرف العبادات إلا إليه؛ إذ كيف يُدَّعَى أنَّ الإله هو الله وتُقدم العبادات إلى غيره، فمن فعل شيئًا من ذلك فإنه لا يؤمن بتمام الألوهية لله تعالى، بل إنه كعبد اشتراه سيده بخالص ماله، وقال له هذه داري فاعمل وأدِّ إليَّ، فكان يعمل ويؤدي إلى غيره، ولله المثل الأعلى، عن الحارث الأشعري: أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله أمر يحيى بن زكريا بخمس**

---

(١) النونية لابن القيم (١/ ٣٥).

كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها، فقال عيسى: إنَّ الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم وإما أنا آمرهم، فقال يحيى أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد وتعدوا على الشرف، فقال: إنَّ الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن: أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وإنَّ مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو وَرِق، فقال: هذه داري وهذا عملي، فاعمل، وأدِّ إليَّ، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك»(١).

لذاجعل الله تعالى العبادة والألوهية له مقرونة بالإخلاص، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٢ - ٣]، وقال: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١]، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾ [الزمر: ١٤]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٨٦٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١٨٩٥)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

عن علي قال: كان النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي**»(١).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركتُه وشركَهُ**»(٢)، وجعل أول من تُسعر بهم النار مَن عَمِل الأعمال لغير الله تعالى، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، فقال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدتُ، فقال: كذبتَ، ولكنك قاتلتَ لأنْ يقالَ جريءٌ، فقد قيل، ثم أُمِر به، فسُحِب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجلٌ تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم، وعلمتُه، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكنك تعلمتَ ليقال عالم، وقرأتَ القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمِر به، فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجلٌ وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأتي به، فعرفه نعمه فعرفها، ثم قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تحب أن يُنفَق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ، ولكنك فعلتَ ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه ثم أُلقي في النار**»(٣).

وجعل ﷺ العبادة وإخلاصها لله وحده سبيلًا لدخول الجنة، عن أبي

---

(١) أخرجه: مسلم (٧٧١).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٩٨٥).

(٣) أخرجه: مسلم (١٩٠٥).

هريرة أنَّ أعرابيًّا جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله دُلَّني على عمل إذا عملتُه دخلتُ الجنة قال «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**»، قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئًا، ولا أنقص منه، فلما ولَّى قال رسول الله ﷺ «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»[١].

وجعلها النبي ﷺ هي حق الاعتراف له بأنه (الله)، عن معاذ قال: كنت ردف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل، فقال: «**يا معاذ بن جبل**» قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعةً، ثم قال: «**يا معاذ بن جبل**» قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم قال: «**هل تدري ما حق الله على العباد**»، قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنَّ حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»، ثم سار ساعةً، ثم قال: «**يا معاذ بن جبل**» قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك**»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حق العباد على الله ألَّا يعذبهم**»[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حق الإله عبادةٌ بالأمر لا ... بهوى النفوس فذاك للشيطان

من غير إشراك به شيئًا هما ... سببا النجاة فحبذا السببان

لم ينج من غضب الإله وناره ... إلا الذي قامت به الأصلان[٣]

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (١٤).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٥٠٠)، ومسلم (٣٠).

(٣) النونية لابن القيم (١/ ٢٥٠).

❁ ومنها: التعبد لله تعالى بهذا الاسم:

وذلك بالتوجه بالقلوب إليه مخبتا منيبًا، أوَّاهًا إليه، متوكلًا عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥﴾ [هود: ٧٥]، وقال: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١﴾ [الروم: ٣١]، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ [الأحزاب: ٣]، وبالدعاء والتوجه إليه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولن يستغني القلب عن جميع المخلوقات إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه، ولا يستعين إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه، ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه، ولا يوالي إلا من والاه الله، ولا يعادي إلا من عاداه الله، ولا يحب إلا لله، ولا يبغض شيئًا إلا لله، فكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته لله، واستغناؤه عن المخلوقات، وبكمال عبوديته لله تكمل تبرئته من الكبر والشرك[١].

ولذا نُسب اسم الله الأعظم إلى هذا الاسم واشتمل عليه، عن بُرَيْدَةَ: أَنَّ رسول الله ﷺ سمع رجلًا يقول: اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد! فقال: «**لقد سألتَ الله بالاسم (وفي رواية: باسمه الأعظم) الذي إذا سُئِلَ به أَعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب**»[٢].

---

(١) العبودية لابن تيمية (١/ ١٠٢).

(٢) أخرجه: أبوداود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٤٧٥)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

فلزم لذلك التعبد بهذا الاسم، والتقرب إليه بالأعمال الصالحة، وبالعمل بما يرضيه، وإن كان في ذلك مشقة النفس وتعب البدن؛ لأنه هو الله، فكان النبي ﷺ يقوم حتى تتورم قدماه، ويقول: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(١).

وكان ابن مسعود إذا هدأت العيون، قام فسُمِع له دويٌّ كدوي النحل(٢).

وكان علي بن الحسين إذا توضأ اصفر وجهه، فيقال: مالك؟فيقول: أتدرون بين يَدَي مَن أريد أن أقوم؟!(٣).

ومنها: التسليم له في الحكم والقضاء:

فأول خصائص الألوهية الحكم والأمر في عباده، فكما أنَّ أمره الكوني وقضاءه نافذ في عباده، ولا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، لزم على عباده أن يوحدوه ويعبدوه أيضًا في حكمه، وأمره، ونهيه،ولا يقدموا بين يدي الله ورسوله، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١].

وحَكَمَ الله تعالى على من لم يقبل حكمه بأنه لا يعبده ولا يؤلهه وإن زعم وادعى ذلك، عن عبد الله بن الزبير عن أبيه: أنَّ رجلًا من الأنصار خاصم

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

(٢) تقريب زهد ابن المبارك (١/ ٣٨).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (١/ ٢٠)، نثر الدرر للآبي (١/ ٦٨).

الزبير عند رسول الله ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سَرِّحِ الماء يَمُرُّ، فأبى عليه، فاختصما عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للزبير «**اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك**»، فغضب الأنصاري، ثم قال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال للزبير «**اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر**»، فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك «**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**»(١).

❁ ومنها: إثبات كل كمال له سبحانه:

لأنه الله الإله الحق، فلابد له من صفات الكمال والجمال والبهاء، فهو القوي العزيز، وهو الحليم الغفور، وهو اللطيف الودود، وهو الحي القيوم، وهو السميع البصير، وهو الذي يتكلم وقتما شاء وكيف شاء، ويضحك لأحبابه وأوليائه، ويسخط ويكره أعداءه، وهو يحب من والاه، ويبغض ويكره من عاداه، ويرضى عن أهل الإيمان ويكرمهم، ويسخط ويغضب على أهل الكفر والعناد والجحود ويخذلهم، فلا يطمع أعداؤه في رحمته وعفوه بدون عمل، ولا يأمن أحبابه من مكره فيركنوا إلى الرجاء والأمل، إذا نظر عباده إلى صفات القوة والهيمنة والإحاطة خافوا، ولم يأمنوا، وإذا نظروا إلى صفات الرحمة والحلم والود رجَوْه، ولم ييأسوا.

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٢٧٠٨)، ومسلم (٢٣٥٧).

❁ سبحانه وتعالى إنه الله:

فهو الذي يفرج الكرب، وهو الذي ييسر العسير، وهو الذي يستر عباده، ويكون في عون أحبابه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن نفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّسَ الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومَن يسَّر علي معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»(١).

❁ ومنها: أنَّ السعادة لا تكون إلا بالاعتراف بأنه الله:

إنَّ الله تعالى فطر المخلوقات على العبودية فإما أن يعبدوه أو يعبدوا غيره، والسعيد من هداه الله إليه، وعلم أنَّ الإله الحق هو الله وحده، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[يونس: ٣].

عن البراء بن عازب قال: رأيت النبي ﷺ ينقل معنا التراب، وهو يقول: «**والله لولا الله ما اهتدينا، ولا صمنا، ولا صلينا**» ومنهم من قال: «**ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينةً علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، والمشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنةً أبينا وفي حديث شعبة ويرفع بها صوته**»(٢).

ولما كانت العبودية لله سبحانه هي الشرف والكرامة، وهي مصدر السعادة والراحة لم يستنكف عن عبادته عبادُهُ الصالحون المقربون، قال تعالى عن الملائكة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه: البخاري (٦٦٢٠).

يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقال: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء: ١٩].

بل ووصف أنبياءه الذين نالوا مقام النبوة والرسالة بالعبودية له، فقال عن نوح ولوط ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

وقال عن خليل الرحمن إبراهيم والأنبياء من بنيه ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص: ٤٥].

وقال عن داوود ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: ٣٠].

وقال عن أيوب ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤٤].

وقال عن عيسى﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف: ٥٩]؛ لذا فإنَّ نبي الله سليمان مع أنَّ الله تعالى آتاه ملكًا لم يؤته أحدًا من العالمين، ومع ذلك دعا الله أن يدخله في زمرة عباده الصالحين، قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٩].

لذا وصف الله تعالى خاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ بالعبودية في أعلى مقاماته، وأكرَمِ أحواله، وأجل حالاته:

❑ وصفه بالعبودية عند تنزيل الكتاب عليه، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١].

وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد: ٩].

❑ ووصفه بالعبودية في ذكر رحلة الإسراء والمعراج، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

❑ ووصفه بالعبوية في مقام الوحي إليه في السماء، فقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠].

❑ ووصفه بالعبودية في مقام الدعوة إلى الله تعالى، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن: ١٩].

❑ ووصفه بالعبودية في مقام ولايته له والدفاع عنه، فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣].

وتهدد سبحانه وتعالى وتوعد من يستنكف عن عبادته ويستكبر أنَّ محشرهم ومرجعهم إليه جميعًا، قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء: ١٧٢].

وبين أنَّ محشرهم وعودتهم إليه ليس لإكرامهم، أو غفران ذنوبهم والعفو عنهم، بل لدخولهم جهنم داخرين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

بل إنَّ أول خطاب خاطب الله به نبي الله موسى خاطبه بهذا الاسم، وأمره بعبادته وحده، فقال تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤﴾ [طه: ١٤].

وما دخل عبد في ألوهيته حقًّا إلا ونجا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

وما كمُل العباد إلا بتحقيقهم للعبودية، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كمُل من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء إلا آسية امرأة فرعَوْنَ، ومريم بنت عِمْرَانَ، وإنَّ فضل عائشة على النساء كفضل الثَّرِيد على سائر الطعام**»(١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: كلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله، وعلت درجته، ومن توهم أنَّ المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه، أو أنَّ الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق بل من أضلهم(٢).

وما شقي العباد إلا باعترافهم لغيره بالعبودية والسمع والطاعة، والعمل لمحبوبهم ومعبودهم من دون الله تعالى، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «**تَعِسَ عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أُعطِي رضي، وإن لم يُعطَ سخط، تَعِسَ وانتكس، وإذا شِيكَ فلا انْتَقَش**»(٣)، وما شقي أتباع فرعون إلا بعدما ألهوه من دون الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٩٦ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ١٧٦).

(٣) أخرجه: البخاري (٦٤٣٥).

بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾

[هود: ٩٦ - ٩٩].

وما شقي عُبَّاد الأوثان إلا لما أشركوا معه في الألوهية غيره، كما حكى الله تعالى قولهم ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ [ص: ٥]؛ لذا نهى الله تعالى عباده وحذرهم من اتخاذ إله من دونه؛ فإنَّ هذا طعن في اعترافكم بأنه الله، سواء أكان هذا بطلب القربة والشفاعة به من الله تعالى، قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣].

أو كان هذا بالطاعة والامتثال، قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [يس: ٦٠ – ٦١]، وقال: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ، وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «**يا عدي اطرح عنك هذا الوثن**»، وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١]، قال: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا**

حرموه»(١)، أو بالمحبة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥].

۞ ومنها: أنَّ الاعتراف بالألوهية لغير الله هو وصف لله بالنقص والعجز سبحانه:

فإنَّ كل من اتخذ إلهًا غير الله إنما هو لاعتقاده أنَّ الله تعالى غير مستحق للعبودية وحده، فهو إما طعن في قدرة الله تعالى، أو عدم ثقة في هيمنته سبحانه، أو عدم إيمان وقناعة بصلاح حكمه وإصلاحه للناس، أو هو لغلبة نفس وشهوة وهوى، ويرى أنَّ اعترافه لله بالألوهية يحرمه من شهواته وملذاته، أو نحو ذلك مما دَعَى كثيرًا من الخلق لاتخاذ إله غير الله سبحانه، وكل ذلك هو من عمى بصيرة القلب، وعدم رؤيته لما فيه الخير والصالح له، ومن آثار ضلال القلوب وفسادها، فحرمها الله تعالى مِنَّة الاعتراف له بالألوهية؛ ولذا يتبرأ كل معبود يوم القيامة ممن عبده من دون الله، سواء كان راضيًا بتلك العبادة، أو منكرًا لها ناهيًا عنها، فعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يتبرأ ممن عبدوه وينزه الله عن ذلك، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧]، ويتبرأ منهم من أضلوهم ودعوهم لعبادتهم من دون الله تعالى، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص: ٦٣]، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢]؛ لذا جعل الله تعالى العبادة والتأليه لغيره من جهل القلب وغشاوته، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٤ - ٦٦].

ومنها: تعلق القلب بهذا الاسم العظيم في كل عمل:

فعند البداية في كل عمل يبدأ باسم «الله»، وفي نهايته ينتهي باسم «الله».

❑ فعند الأكل نقول باسم الله، عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يديَ تطيش في الصحفة، فقال رسول الله ﷺ «**يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك فما زالت تلك طعمتي بعد**»[١].

❑ وعند تمام الأكل والشرب نقول الحمد لله، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «**إنَّ الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها**»[٢].

❑ وعند الجماع والشهوة نقول «**باسم الله**»، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «**لو أنَّ أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولدٌ في ذلك لم يضره الشيطان أبدًا**»[٣].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٧٣٤).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٣٨٨)، ومسلم (١٤٣٤).

❑ وعند الخروج من البيت نقول «باسم الله»، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا خرج الرجل من بيته، فقال بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له حسبك هديت، وكفيت، ووقيت، وتنحى عنه الشيطان**»(١).

❑ وعند دخول المسجد أو الخروج منه نبدأ باسم «الله»، قال رسول الله ﷺ «**إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك**»(٢).

❑ وعند الصلاة نستفتحها بـ «**الحمد لله رب العالمين...**»، وعند كل حركة فيها نقول «**الله أكبر**»، عن عبد الله بن مسعود: أنَّ النبي ﷺ كان يكبر في كل رفع وخفض(٣)، إلا إذا قام من الركوع قال: «**سمع الله لمن حمده**»، عن سالم عن أبيه قال: «**كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حذو منكبيه، إذا افتتح الصلاة وإذا كبر للركوع وإذا رفع رأسه من الركوع رفعها كذلك أيضًا، وقال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد**»(٤)، وإذا خرج منها قال «**السلام عليكم ورحمة الله**»، عن عبد الله «**أنَّ رسول الله ﷺ كان يسلم عن يمينه وعن شماله. حتى يرى بياض خده (السلام عليكم ورحمة الله)**»(٥).

---

(١) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٢١٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٠٥).

(٢) أخرجه: مسلم (٧١٣).

(٣) أخرجه: أحمد في مسنده (١/ ٤٤٢)، وقال الأرنؤوط صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في الإرواء (٢/ ٣٥).

(٤) أخرجه: البخاري (٧٣٥).

(٥) أخرجه: أبوداود (٩٩٧)، والترمذي (٢٩٥)، والنسائى(١١٤٢)، وابن ماجه (٩١٤)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

□ وعند الدخول في الإسلام ندخل بقولنا «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله**»، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «**أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا، عصَمُوا مِنِّي دماءهم، وأموالهم إلا بحقِّها، وحسابهم على الله**»(١).

□ وعند الخروج من الدنيا، فالسعيد مَن يختمها بقول «**لا إله إلا الله**»، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»(٢).

□ بل إذا سبح العبد باسمه «**الله**» قد يجيبه الله تعالى، ويصدق قوله وهنيئًا لعبد يجيبه الله تعالى ويحدثه ويصدقه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر قال الله: صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر، فإذا قال: لا إله إلا الله وحده قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي، فإذا قال: لا إله إلا الله لا شريك له قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا شريك لي، فإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، فإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي من رُزِقهن عند موته لم تمسه النار**»(٣).

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٢) أخرجه: أبوداود (٣١١٦)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبى داود.

(٣) أخرجه: النسائى في السنن الكبرى (٦/ ١٢)، وابن ماجه (٣٧٩٤)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

❑ **وجعل كل ذكر اشتمل على اسم «الله» له مكانة ودرجة عَلِيَّة:**

فجعل أحب أربع كلمات إليه هي كلمات اشتملت على هذا الاسم، عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ «**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت**»(١).

وجعل كلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان، حبيبتين إلى الرحمن كلمتين اشتملتا على هذا الاسم، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٢).

وجعل كلمة اشتملت عليه من غراس الجنة، عن جابر: عن النبى ﷺ قال «**من قال سبحان الله العظيم وبحمده. غرست له نخلة فى الجنة**»(٣).

❑ وعند ختام الأعمال الصالحة يختم بـ «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**»، وعند المصائب نستقبلهابـ «**الحمد لله على كل حال**»، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى ما يحب قال «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**»، وإذا رأى ما يكره قال: «**الحمد لله على كل حال**»(٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٣) أخرجه: الترمذي (٣٤٦٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٤).

(٤) أخرجه: ابن ماجه (٣٨٠٣)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

❁ وخلاصة هذه الآثار:

□ أنَّ كل أثر لأسمائه وصفاته هو من آثار اسمه «الله» :

فإنَّ اسم «الله» هو الجامع لكل الأسماء والصفات، وكلها تعود إليه وتنسب إليه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

فالرحمة من آثاره، والمغفرة من آثاره، والقوة والقهر من آثاره، والملك والتدبير من آثاره، والحكم والأمر والنهي من آثاره، والسمع والبصر والمراقبة من آثاره، واللطف والحلم والود من آثاره، والسلم والأمان والإيمان من آثاره، والعلم والحُكم والحِكمة من آثاره، والخلق والرزق من آثاره، والعطاء والمنع من آثاره، والرفع والخفض من آثاره، والعزة والمذلة من آثاره.

سبحانه وتعالى إنه هو الله.

❁ ◇ ❁



الرب جلَّ جلالُه

الرب هو المالك والسيد والمدبر.

الرب هو الذي يتولى شئون الخلق.

الرب هو الذي تكفل بخلق المخلوقات جميعًا.

الرب هو القيم والقائم على أمور خلقه وملكه؛ لذا فمن أسمائه تعالى القيوم.

الرب هو الذي يقوم على تربية عباده، ويصلح أحوال خلقه جميعًا ومعاشهم.

الرب هو الذي يحتاجه العباد جميعًا ويلجأون إليه.

الرب تشمل أفعال الله تعالى إلى عباده.

۞ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

ورد هذا الاسم في أول آيه نزلت في كتاب الله تعالى، فقال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ **[العلق: ١ - ٥]**.

وأول سورة يبدأ بها كتاب الله تشتمل على هذا الاسم العظيم قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **[الفاتحة: ٢]**.

وآخر سورة في كتاب الله تشتمل على هذا الاسم العظيم قال ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ **[الناس: ١]**.

وفيما بينهما، فالقرآن مليء بذكر هذا الاسم وتربية الناس على التعلق به.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[الأنعام: ١٦٤].

وقال: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

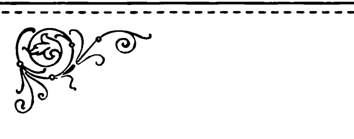
وقال: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه: ٤٩ - ٥٠].

وقال: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٤].

وقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾ [الرحمن: ١٧].

وقال: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح: ٢٨].

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾[الفلق: ١].




آثار الإيمان باسم «الرب»

❁ منها: تعلق القلب بالرب سبحانه وتعالى:

وذلك بأن تجعل جميع حاجاتك عند ربك، وأن تضع رحلك على بابه، فهو الذي يقضي الحاجات، وهو الذي يرعاك ويدبر لك أمرك ويصلح لك شأنك، فقل يارب في كل وقت، وعند كل حاجة لك.

يا رب: فيها شفاء المريض من الأمراض والأسقام.

يا رب: فيها توبة العاصي من الذنوب والخطايا والآثام.

يا رب: فيها قضاء الحاجات.

يا رب: فيها الرعاية في الملمات.

يا رب: فيها دفع المصائب والبليات.

يا رب: فيها الاستجابة للآهات والأنات.

يارب... يارب... يارب...

فعند الذنب والخطأ فقل: يارب، قال تعالى عن آدم وحواء ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

العبد إذا كان فقيرًا محتاجًا لا يجد الغنى إلا في قول يارب، قال تعالى حكاية عن نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤].

العبد المظلوم والمغلوب الذي لا يجد ناصرًا يجد النصر في قول يارب:قال تعالى عن نبي الله نوح ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ ﴾

[القمر: ١٠].

العبد الذي يريد الولد لابد أن يطلبه بقول: يا رب، فقال تعالى عن نبي الله زكريا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّى وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّى خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِى عَاقِرٗا فَهَبۡ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦ ﴾

[مريم: ٤ - ٦].

يارب... يارب... يارب...

إنها ملاذ المحتاجين، ومستغاث المستغيثين.

إنَّ فيها الفرج، وفيها السعه، وفيها الخير.

❁ فكل محتاج أو مريض أومغلوب أومظلوم قال يارب كفاه ربه ودبر له أمره:

❑ **نوح** عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ **المغلوب قال: يارب:**

قال تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِى بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ ﴾ [القمر: ١٠ - ١٥]، فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر، فيتجلى الرب بقوته فهو السيد المدبر لأمر هؤلاء وهو ربهم، قال: (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر، وفجرنا الأرض عيونًا فالتقى الماء على أمر قد قدر).

لكن أين نوح وأصحابه في وسط أمواج كالجبال؟!

هم في وسط أمواج كالجبال لكن تتجلى لهم عناية الرب، فقال (وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر).

إنها معية الرب لعباده، وغضبه لهم.

❑ امرأة فرعون المظلومة المُعَذَّبة قالت: يارب:

وهي امرأة ضعيفة، مع أكبر طاغية في ذاك الزمان، لكنه لما اشتد عليها العذاب دعت ربها، فتولى الرب أمرها، وأعظم لها العطاء والمكافأة.

فذكرها في كتابه سبحانه وتعالى، وضرب الله المثل بها في أعظم كتاب لأكرم فئة على الله، وهم الذين ءامنوا، وجعلها هي المثل والقدوة لكل مؤمن.

قال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾**﴾ **[التحريم: ١١]**.

وبين ﷺ أنها ممن اختصهن الله تعالى من بين سائر نساء العالمين بكمال إيمانها، وهي درجة لم يبلغها من النساء إلا القليل، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كمُل من الرجال كثيرٌ، ولم يكمُلْ من النساءِ: إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بِنت عمران، وإِنَّ فضلَ عائشةَ على النساء كفضلِ الثَّريد على سائرِ الطعام**»[(١)].

❑ أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ المريض المُبتلَى قال: يارب:

إنَّ أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتلاه الله تعالى في بدنه بالمرض، وفي ماله وولده بفقدانهما جميعًا، فما وجد الشفاء والعطاء إلا بقوله: يارب قال تعالى: ﴿ **۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ**

---

(١) سبق تخريجه.

مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤]، بل بعدما شفاه الله تعالى وعوضه ما فاته فتح له أبواب الدنيا والعطاء، وذلك بأن أمطر عليه من السماء ذهبًا، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**بينما أيوب يغتسل عُرْيَانًا، خَرَّ عليه رِجْلُ جرادٍ من ذهب، فجعل يَحْثِي في ثوبه، فناداه ربه ياأيوب ألم أكن أغنيتُك عمَّا ترى، قال بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك**»[1].

❁ ومنها: وجوب صرف العبادة لله وحده:

فمن اعترف له بالربوبية، وأقر له بها، وتوجه إليه بحاجاته ورغباته، لزمه أن يعبده، ويخلص العبادة له وحده؛ لذا لما دعا الله تعالى إبراهيم أن يستسلم لله تعالى أذعن واستسلم له.

وبين سبب ذلك أنه رب العالمين.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ **[البقرة: ١٣١]**.

وبين تعالى أنَّ العبد لابد وأن يتوجه له سبحانه وتعالى بلا شريك ولا منازع له في الألوهية؛ إذ إنه لا منازع له في الربوبية.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ **[الأنعام: ١٦٢]**.

وبين تعالى أنَّ الذي خلق هو الذي له الأمر وله الطاعة، فالرب هو الإله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٣٩١).

بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

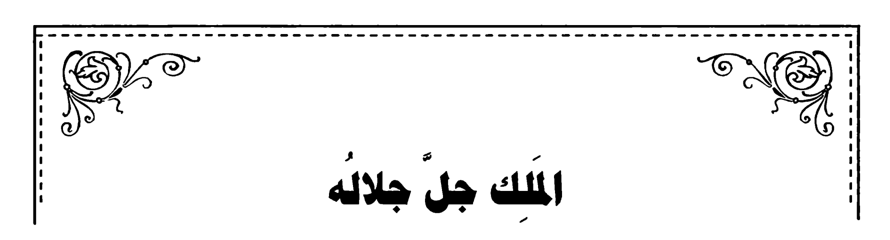
وذلك لأنَّ الربوبية فعل الله للعبد، والألوهية فعل العبد للرب والتعبد إليه، فكيف يجتمع مع الخلق في ربوبية الله تعالى وينتفع بها، ويفترق معهم في الألوهية ويصرفها لغيره، تلك إذًا قسمة ضيزى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات، فهو رب كل شيء وخالقه، والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره، فاجتمعوا بصفة الربوبية، وافترقوا بصفة الإلهية، فألَّهَه وحده السعداءُ، وأقروا له طوعًا بأنه الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا تنبغي العبادة والتوكل والرجاء والخوف والحب والإنابة والإخبات والخشية والتذلل والخضوع إلا له، وهنا افترق الناس، وصاروا فريقين فريقًا مشركين في السعير، وفريقًا موحدين في الجنة، فالإلهية هي التي فرقتهم، كما أنَّ الربوبية هي التي جمعتهم[1].

* * *

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٤).



المَلِك جلّ جلاله

المَلِك هو صاحب الملكوت والسلطان والعظمة.

المَلِك هو المتصرف في ملكه كيف يشاء، يؤتي الملك من يشاء، ويمنعه ممن يشاء، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

المَلِك هو الذي يخلق ما يشاء سبحانه، ويهب لمن يشاء ما يشاء، قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الشورى: ٤٩].

المَلِك هو الذي يحيي من يشاء، ويميت من يشاء، قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحديد: ٢].

المَلِك هو الإله المعبود في ملكه، وهوالحاكم في ملكه بما يشاء، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص: ٧٠]، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

المَلِك هو الغني الذي لا يحتاج إلى غيره.

المَلِك هو المالك لما تحت يديه من الملك، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَـٰلِكِ

﴿ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ [الناس: ٢].

المَلِك هو الذي يملك الحساب والجزاء والعقاب، قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

المَلِك هو القادر على حفظ ملكه، ولا يضعفه أو يعجزه عن ذلك سعة ملكه وعظمته، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

المَلِك هو الذي لا يعجزه شيء في ملكه، بل هو على كل شيء قدير، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١].

المَلِك هو الذي لا ينقص ملكه بالعطاء والإحسان، فهو مُلْكٌ تام محكم مكتمل، لا ينقص أبدًا، ففي حديث أبي ذر الطويل وفيه أنَّ النبي ﷺ قال فيما روى عن ربه سبحانه وتعالى: «**يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**»[1].

المَلِك هو الذي يدوم ملكه سبحانه، ويذهب ويفنى كل مَلِكٍ دونه، وكل مُلْك، ولا يبقى إلا مُلْكُه، فكل شيء هالك إلا وجهه.

۞ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٥٧٧).

إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤]، وقال: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣]، وقال: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾﴾ [الناس: ٢].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَغْيَظ رجل على الله يوم القيامة، وأخبثه، وأغيظه عليه رجل كان يُسمَّى مَلِك الأملاك، لا مَلِكَ إلا الله**»[1].

قال عبد الله: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم إنَّ الله يمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا المَلِك أنا المَلِك، قال: فرأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قرأ «**وما قدروا الله حق قدره**»[2].

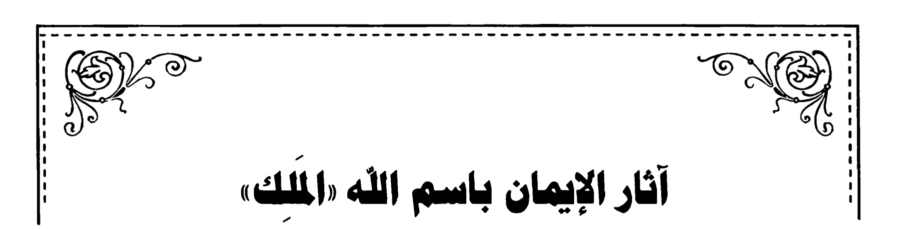
عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**الحلال بيِّن، والحرام بيِّن وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراع يرعى حول الحمى أوشك أن يواقعه، ألَا وإنَّ لكل ملك حمى، ألَا وإنَّ حمى الله في أرضه محارمه، ألَا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»[3].

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢١٤٣)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٣) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).



آثار الإيمان باسم الله «المَلِك»

❁ **منها: الاطمئنان لوعده فهو المَلِك:**

فإنه ما يعجزه شيء في ملكه، فهو على كل شيء قدير، وفعال لما يريد، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

❁ **ومنها: أنَّ الحكم لله وحده:**

فهو الذي يحكم في خلقه بما يريد؛إذ إنه المَلِك، والمَلِك يكون له الحكم والأمر كما له الخلق والتدبير، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

❁ **ومنها: الالتزام بأمره والانتهاء عن نهيه وزجره:**

فهو المَلِك ونحن عبيد في ملكه مأمورون بأمره منهيون بنهيه، بل نهى ﷺ عن الاقتراب من حمى الله تعالى ومحارمه، فإنَّ هذا موضع المخاطر والمهالك، عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراع يرعى حول الحمى أوشك أن يواقعه، ألا وإنَّ لكل مَلِك حمى، ألا وإنَّ حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت**

فسد الجسد كله ألا وهي القلب»(١).

لذا فإنَّ المخلوقات جميعها لا تخالف أمر المَلِك، وما تقدر على ذلك إلا من نسي أو غفل أو تكبر من الثقلين؛ لذا لما قال تعالى للسماوات والأرض ائتيا قالتا أتينا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ **[فصلت: ١١]**.

ولما قال للنار كوني بردًا وسلامًا على خلاف طبيعتك من الإحراق والإهلاك كانت بردًا وسلامًا، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ **[الأنبياء: ٦٩]**.

ولما قال لليمِّ كن لموسى حفظًا وأمانًا، وملجأً ومنامًا كان كما قال له المَلِك، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص: ٧].

❁ ومنها: أنَّ اسم الملك يقتضي الألوهية والعبودية له سبحانه:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ **[الحشر: ٢٣]**، فما دام هو المَلِك الذي خلق ورزق، والذي يتصرف في ملكه بما يشاء، وهو الذي له الحكم، وهو الذي بيده الجزاء والثواب، وكذلك العتاب والعقاب، فلا بد إذًا أن يكون هو الإله المعبود وحده.

❁ ومنها: أنَّ ملكه هو الملك التام الباقي:

فإنَّ كلَّ مُلْكٍ لملوك الدنيا فهو ملك ناقص وزائل؛ لأنه تحت قوة وقدرة المَلِك العظيم، وهو ملْكٌ زائل عن صاحبه، أو زائل صاحبه عنه، فلا يغتر العبد إن مَلَك بعض مُلْكِ الدنيا الناقص، فيغره ذلك وينسى ربه المَلِك

(١) المصدر السابق.

صاحب المُلْك التام الباقي، كما نسي ذلك فرعون، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص: ٣٨].

فأخذه المَلِك سبحانه وجعله عبرة، وتذكَّرَ وقتها أنَّ مُلْكَه ناقص زائل، واعترف بذلك وهو في اليم، لكن ذلك كان بعد فوات الأوان.

ونسي ذلك قارون ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص: ٧٨].

فعاقبه الله تعالى وأزال ملكه، فخسف به وبملكه الأرض؛ ليعلم مَن بعده أنَّ كل مُلْكٍ لكل مَلِكٍ زائل إلا الله تعالى المَلِك.

وكافأ اللهُ المَلِكُ مَن مَلَكَ بعضَ مُلْكِ الدنيا، ولم يغتر بمُلْكِه، وعلم أنَّ مُلْكَه زائلٌ وفانٍ، فالتزم أمر الله تعالى وحكم بين خلقه بالعدل، بأن جعله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن رسول الله ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات منصب وجمال، فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»[1].

وأما الغشوم الظالم الذي غره مُلْكُه، ونسي ربه المَلِكَ الذي أعطاه هذا المُلْكَ بتقديره وحكمته عامله الله تعالى بما كان يعامل به رعيته، فإن ظلمهم

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

وغلهم في أغلال ملكه غلَّ الله يوم القيامة يده إلى عنقه، عن أبي أمامة: عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى اللهَ عز وجل مغلولًا يوم القيامة يده إلى عنقه فكَّهُ برُّه أو أوبَقَه إثمُه، أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزي يوم القيامة**»(١).

وإن احتجب عنهم دون حاجتهم احتجب الله عنه يوم القيامة، عن أبي مريم الأزدي، قال: دخلتُ على معاوية، فقال: ما أنعمنا بك أبا فلان وهي كلمة تقولها العرب، فقلتُ حديثًا سمعتُه أخبرك به: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن ولَّاه الله عز وجل شيئًا من أمر المسلمين، فاحتجب دون حاجتهم، وخَلَّتِهم، وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وخَلَّتِه وفقره**» قال: فجعل معاوية رجلًا على حوائج الناس(٢)، وإن لم يقبل الشفاعة فيهم، ولم تشفع حاجتهم، وفقرهم، وضعفهم عنده لم يشفع فيه أحد يوم القيامة حتى أرأف الخلق محمد ﷺ، قال رسول الله ﷺ:«**صنفان من أمتى لن تنالهما شفاعتى: إمام ظلوم غشوم عسوف، وكل غال مارق**»(٣).

۞ ومنها: التواضع والذلة والخضوع للمَلك سبحانه وتعالى:

فمن تواضع لله رفعه، وما رفع الله آدم بعد المعصية إلا بعد التوبة والذلة والخضوع لربه فجعله نبيًّا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢٢]، وما لُعِن إبليس وطُرِد من الرحمة والجنة إلا بتكبره على أمر المَلِك، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤]؛ لذا كان النبي ﷺ من أشد الناس تواضعًا، وفي الحديث عن أبي هريرة قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ،

---

(١) أخرجه: أحمد (٥/ ٢٦٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤٩).

(٢) أخرجه: أبوداود (٢٩٤٨)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبى داود.

(٣) أخرجه: الطبراني (٢٠/ ٢١٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٩٨)، عسوف أي عنيف.

فنظر إلى السماء، فإذا مَلَكٌ ينزل، فقال جبريل إنَّ هذا المَلَك ما نزل منذ يوم خُلِقَ قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد أرسلَنِي إليك ربك، قال أفملِكًا نبيًّا يجعلك، أو عبدًا رسولًا، قال جبريل تواضع لربك يا محمد، قال: «**بل عبدًا رسولًا**»(١)، وعن أبي مسعود قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ، فكلمه، فجعل ترعد فرائصه. فقال له «**هَوِّن عليك، فإني لستُ بمَلِكٍ، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد**»(٢).

۞ ومنها: أنَّ التعبد بهذا الإسم له الأجر العظيم والكبير:

عن أبي هريرة : أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكان له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك**»(٣).

إنَّ العبد إذا أعتق رقبة واحدة تُعتق بهارقبته من نار جهنم، فما بالك بأربع رقاب، وما بالك وأنها من رقاب ولد إسماعيل، عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ «**من قال عشر مرار لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير كانت له عدل أربع رقاب من ولد إسماعيل**»(٤).

---

(١) أخرجه: أحمد (٢/ ٢٣١)، وصحح إسناده أحمد شاكر، وقال الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه: ابن ماجه (٣٣١٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٦٧٧).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٤) أخرجه: مسلم (٢٦٩٣).




الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، جلّ جلالُه

فهو الأول:

الأول هو الذي لاشيء قبله.

عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: دخلت على النبي ﷺ، وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم، فقال «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**»، قالوا قد بشرتَنا، فأعطنا مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم**»، قالوا قد قبلنا يا رسول الله، قالوا جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال «**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض**»[(١)].

الأول هو الذي يستغني بنفسه عن كل شيء، ولايحتاج إلى شيء سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

الأول هو الذي سبق كل شيء فلا شيء قبله.

الأول هو الذي يسبق غيره في صفاته: في عددها، وكمالها، وجمالها، وبهائها، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) أخرجه: البخاري (٣١٩١).

وقال البيهقي الأول هو الذي لا ابتداء لوجوده[١].

❁ وهو الآخر:

الآخر هو الذي لا شيء بعده، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

الآخر هو الذي ينتهي إليه كل شيء.

الآخر هو الذي إليه المصير والمرجع، قال تعالى: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٣].

الآخر هو الذي يبقى بعد أن يفنى كل شيء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨].

قال عبد الله: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم إنَّ الله يمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يقول: «**أنا الملك أنا الملك**» قال: فرأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قرأ «**وما قدروا الله حق قدره**»[٢].

❁ وهو الظاهر:

الظاهر هو الذي بذاته فوق كل شيء، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، وهو ظاهر دائما، فهو ظاهر عليٌّ وهو على عرشه، وهو ظاهر عليٌّ عند نزوله إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، وهو ظاهر

---

(١) الاعتقاد للبيهقي (١/ ٢١).

(٢) سبق تخريجه.

عليٌّ عند دنوه من خلقه عشية عرفة، فالظهور والعلو صفة دائمة له في كل وقت وحال.

الظاهر هو القوي الذي يعلو على كل شيء بقوته وقهره، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [**الأنعام: ١٨**].

الظاهر هو الغالب الذي لا يُغلب ولا يُغلب أولياؤه، قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [**المجادلة: ٢١**].

الظاهر هو الذي تظهر أفعاله وتبدو صفاته في آياته، فهو مع أنه خفيٌّ عن الخلق بذاته، لكنه ظاهر لهم بآياته وأفعاله.

قال الخطابي: هو الظاهر بحججه الباهرة، وبراهينه النيرة، وشواهد أعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته وصحة وحدانيته[١].

الظاهر أي المعين، فهو الظاهر الذي يعين الخلق على حاجاتهم.

❁ وهو الباطن:

الباطن هو القريب من كل شيء، وأقرب إلى الشيء من كل شيء، بل إنه أقرب إلى الشيء من نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦].

فمع أنه عالٍ على خلقِهِ، لكنه قريب منهم سبحانه وتعالى.

إنه أقرب إليك من أقرانك ورفقائك الذين يحيطون بك، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [**الواقعة: ٨٥**].

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٤٧).

الباطن هو الذي يعلم الباطن والخفيَّ، يستوي عنده السر والعلانية، قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد: ١٠].

فالذي يَجهر كالذي يُسِرُّ، والذي يُعلن كالذي يُخفي، إنه الباطن الذي يعلم خفايا الأمور سبحانه وتعالى.

الباطن هو الذي اختفى عن خلقه، فلا يراه أحد من مخلوقاته في الدنيا.

عن عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال يومَ حذَّر الناسَ الدجالَ «**إنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه من كره عمله، أو يقرؤه كل مؤمن، وقال تعلمون أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت**»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو أول هو آخر هو ظاهر ... هو باطن هي أربع بوزان

ما قبله شيء كذا ما بعده ... شيء تعالى الله ذو السلطان

ما فوقه شيء كذا ما دونه ... شيء وذا تفسير ذي البرهان

فانظر إلى تفسيره بتدبر ... وتبصر وتعقل لمعان

وانظر إلى ما فيه من أنواع ... معرفة لخالقنا العظيم الشان(٢)

---

(١) أخرجه: مسلم (١٦٩).

(٢) متن النونية لابن القيم (٢٠٣).

۞ الأدلة الدالة على تلك الأسماء:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضاجعنا أن نقول «**اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر**»(١).

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٧١٣).



آثار الإيمان بأسماء الله «الأول والآخر والظاهر والباطن»

❁ **ومن أعظم هذه الآثار: أن يعلم العبد أنَّ الله محيط به:**

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البروج: ٢٠]، فالله تعالى يحيط بالعبد بهذه الصفات الأربع، فالإحاطة: إمَّا إحاطة زمنية، أو إحاطة مكانية، فلو وقف إنسان أمامك، وآخر خلفك فهذه إحاطة مكانية، أما الإحاطة الزمنية كالأب والابن بالنسبة للشخص، فالأب قبله، والابن بعده، فهذه إحاطة زمانية.

❑ **والله تعالى له المثل الأعلى، فهو يحيط بالعبد زمانًا ومكانًا.**

هو الأول ليس قبله شيء، وهو الآخر ليس بعده شيء، وهو الظاهر فوق العبد ليس فوقه شيء، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء، فلا تظن أنَّ الله إذ إنه عالٍ بعيدٌ عنك.

بل إنَّ الله يستوي عنده القريب والبعيد، يستوي عنده من يجلس في قعر بيته في ظلم الليل، ومن يسير في الطريق في ضوء النهار هذا وهذا، كل منهما عنده سيَّان سبحانه وتعالى؛ لذلك يبين الله لعباده أنه يحيط بهم زمانا، فهو الذي خلقهم وابتدأ خلقهم، وكان ولم يكن شيء؛ لأنه الأول، وهو الذي يرجعون ويعودون إليه؛ لأنه الآخر، ويحيط بك مكانًا، فهو فوقهم، وهو القوي القاهر؛ لأنه الظاهر، وهو القريب منهم المطَّلع على خفاياهم سبحانه وتعالى؛ لأنه الباطن، فإن ءامن العبد بهذه الصفات علم أنَّ الله محيط به، وأن لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه.

عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ «**يا فلان إذا أويت إلى فراشك، فقل: اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإنك إن مت في ليلتك مت على الفطرة، وإن أصبت أصبت خيرًا**»[1].

❁ ومنها: أنَّها تجعل العبد يفر إلى ربه لا منه:

قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٠]، وإذا أراد أن يفر منه أين يذهب، وهو محيط به، إنه هو الذي بدأ خلقه، وهو الذي يعيده إليه، فإليه المرجع والمصير، فلا نجاة للعبد، ولا فرار من الأول والآخر والظاهر والباطن، إلا أن يتقي العبد لقاءه، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

[البقرة: ٢٨١].

❁ ومنها: أنها تورث الطمأنينة في قلوب الفئة المؤمنة:

فهي وإن كانت ضعيفة مستضعفة، لكن مع ضعفهم فالله محيط بعدوهم، عال عليهم، قريب منهم، يرى مكرهم ويحيط بهم، قال تعالى: ﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم: ٤٦].

❁ ومنها: أن يعلم العبد أنَّ ربه صاحب النعمة والفضل عليه:

فهو أوجده ولم يكن شيئا مذكورًا، ورزقه وهيأ له أموره، فابتداء كل فضل منه سبحانه، فيركن إليه وحده، ويعتمد عليه وحده، وكل شيء عداه إنما هو

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٣١٣)، ومسلم (٢٧١٠).

من الأسباب التي لا تعمل إلا بأمره وتقديره.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فعبوديته باسمه الأول تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب، والوقوف أو الالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدىء بالإحسان من غير وسيلة من العبد؛ إذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده، أي وسيلة كانت هناك؟ وإنما هو عدم محض، وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا، فمنه سبحانه الإعداد، ومنه الإمداد، وفضله سابق على الوسائل، والوسائل من مجرد فضله وجوده، لم تكن بوسائل أخرى، فمن نزَّل اسمه الأول على هذا المعنى أوجب له فقرًا خاصًّا وعبودية خاصة[1].

❁ ومنها: التعرف على الله تعالى:

فإن هذه الصفات الأربع تدل على عظم علمه وقدرته وكمال حكمته وإحاطته.

إنه مع علوه على عرشه فوق السماوات السبع قادر أن يكون أقرب إلى العبد من نفسه، ويعلم ما توسوس به نفسه، ولا يخفى عليه شيء من ذلك، فإن دعتك نفسك للتعلق بغيره، تذكر أنه الأول فهو الذي قدر الأسباب والمخلوقات وابتدأها، فتعلق به واترك ما عداه، فإنَّ التعلق بغيره تعلق بزائل نافد، فهو الأول.

وإن أغرتك الدنيا وزينتها وزخارفها، ونسيت لقاءربك، فاعلم أنه لا خلود لأحد فهو الآخر الباقي، وكل شيء دونه هالك، راجع إليه، فهوالحي الذي لايموت، فهو الآخر.

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم (١/ ٤٠).

وإن دعتك نفسك للخوف من المخلوقات لانتفاش مظهرهم، وقوة عدتهم، فتذكر أنه الظاهر العلي القوي الغالب الذي لا يُغلَب، ولا يُغلبُ أولياؤه، فهو الظاهر.

وإن خلوت بنفسك، وأغلقت عليك بابك، والنفس داعية إلى العصيان، فتذكر أنه قريب منك يراك ويسمعك ويعلم حالك، فهو الباطن.

❁ ومنها: أنَّها تورث في قلب العبد تأليهَ اللهِ تعالى على أحسن حال:

فإنها توجه القلب إليه عند الحاجات، والرضا بفعله عند الملمات، ومراقبته عند الخلوات؛ ولذا لما أراد الله أن يُعَرِّف عباده به، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [يونس: ٣ - ٤].

❁ ومنها: أنَّ الإيمان بهذه الأسماء يدفع كثيرًا من الوسوسة:

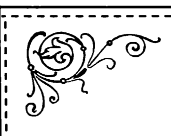
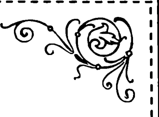
قال أبو زُمَيْل: قلت لابن عباس: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟

قلتُ: والله لا أتكلم به.

فقال لي: شيء من شك؟ وضَحِك. ثم قال: ما نجا من ذلك أحد حتى أنزل الله «**فإن كنتَ في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك**»، ثم قال: إذا وَجَدْتَ شيئًا من ذلك في نفسك، فقل: هو الأَول والآخر، والظاهر، والباطن. وهو بكل شيء عليم[1].

---

(١) أخرجه: أبوداود (٥١١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦١٤).

الرقيب جلَّ جلالُه

الرقيب هو الذي يراقب أحوالك، ويعلم سرك وعلانيتك، ويعلم ما تُظهِر وما تخفي.

الرقيب هو الذي يراقب الصغير والكبير، والظاهر والباطن من الأعمال.

الرقيب هو الذي يعلم خطراتك وسكناتك وحركاتك.

قال الزجاج: الرقيب الحافظ الذي لا يغيب عما يحفظه[١].

الرقيب الذي لا تخفى عليه مثقال حبة من خردل، ولا يخفى عليه مثقال ذرة.

الرقيب هو معكم أينما كنتم.

الرقيب يعلم خائنة الأعين، ويعلم ماتخفي الصدورسبحانه وتعالى، ويعلم ما توسوس به النفس وما تخفيه.

قال ابن القيم:

وهو الرقيب على الخواطر واللوا..حظ كيف بالأفعال والأركان[٢]

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (١/ ٦٥).

(٢) متن النونية لابن القيم (٢٠٧).

❁ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ [الأحزاب: ٥٢].

﴾◊﴿



آثار الإيمان باسم الله «الرقيب»

منها: مراقبة العبد لله تعالى:

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية[١].

وكيف أراقب الله تعالى؟

قال ابن المبارك لرجل: راقب الله.

فسأله عن تفسيرها يعني: كيف أراقب الله؟

قال: كن أبدًا كأنك تراه، ولتعلم أنك إن لم تكن تراه فإنه يراك[٢].

لذلك جعل النبي ﷺ المراقبة للرقيب أعلى المراتب والمقامات ألا وهو مقام الإحسان، قال رسول الله ﷺ لما سئِل عن الإحسان «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[٣].

فالعبد الذي يؤمن بأنَّ الله تعالى رقيب عليه، وأنه هو سيده؛ لا يراقب إلا الله.

قال عبد الواحد بن زيد: إذا كان سيدي رقيبًا عليَّ فلا أبالي بغيره[٤].

اذا كان سيدي: أي صاحب النعمة عليَّ والفضل.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى (٤/ ٣٩٨).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالى (٤/ ٣٩٧).

(٣)**متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٣٩٧).

إذا كان سيدي: أي صاحب المرجع والمصير إليه.

إذا كان سيدي: أي صاحب الثواب والعقاب هو الرقيب عليَّ فلا أبالي بغيره.

وكان محمد بن على الترمذي يقول: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك[١].

قال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: كان شيخ يعلم تلامذته، وكان يعطيهم من العناية على قدر نفوسهم وأعمالهم، فكان يخص أحدهم عن غيره.

فسأله تلامذته لماذا تخصه دوننا؟

قال: أثبت لكم.

قال الرازي: فأعطى كل واحد منهم طيرًا، وقال له: اذهب في مكان لا يراك فيه أحد واذبحه وائتني.

قال: فانصرف التلامذة وكل منهم اختبأ في مكان وذبح طيره وأتى.

قال: إلا هذا أتى به بدون ذبح، فسأله لِم لَم تذبحه؟

فقال: لأنك قلت: اذهب في مكان لايراك فيه أحد، وكلما ذهبت في مكان وجدت أنَّ الله يراني، فما وجدت مكانا لايراني فيه ربي.

فقال لتلامذته: لهذا خصصته عنكم[٢].

❁ ومنها: أنَّ المراقبة تجلب الخير للعبد في الدنيا والآخرة:

ففي الدنيا يَذهب همُّه، ويُفرَّج كربُه، ويُجلَب له الخيراتُ، وفي الآخرة

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (٤/ ١٦٨).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٣٩٧).

فهي سبيل النجاة من غضب الله وعذابه؛ لأنها تفسير وبيان للإحسان الذي يحب الله أهله ويكرمهم.

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن النبي ﷺ قال «**بينما ثلاثة نفر يمشون أخذهم المطر، فأووا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالًا عملتموها صالحة لله فادعوا الله بها لعله يفرجها عنكم، قال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم حلبت فبدأت بوالدَيَّ أسقيهما قبل بَنِيَّ، وإني استأخرت ذات يوم، فلم آت حتى أمسيت، فوجدتهما ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما، وأكره أن أسقي الصبية، والصبية يتضاغون عند قدمي حتى طلع الفجر، فإن كنتَ تعلم أني فعلته ابتغاء وجهك، فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله فرأوا السماء، وقال الآخر: اللهم إنها كانت لي بنت عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت منها فأبت حتى أتيتها بمائة دينار، فبغيت حتى جمعتها، فلما وقعت بين رجليها قالت: يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت، فإن كنت تعلم أني فعلته ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة، ففرج، وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجيرًا بفرق أرز، فلما قضى عمله قال أعطني حقي، فعرضت عليه، فرغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرًا وراعيها، فجاءني، فقال اتق الله، فقلت اذهب إلى ذلك البقر ورعاتها فخذ، فقال اتق الله، ولا تستهزئ بي، فقلت إني لا أستهزئ بك فخذ، فأخذه فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج ما بقي، ففرج الله**»[١].

فالأول ما كان معه أبواه عندما كان يبكي أطفاله من الجوع، وهو واقف

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٢٣٣٣)، ومسلم (٢٧٤٣).

حامل القدح، بل كانا نائمين، وما رآه أحد، وما علم بذلك إلا الله الرقيب، والثاني ما منعه من المعصية بعد التمكن منها، وما يراه أحد، وما يعلم به إلا الله الرقيب، والثالث ما كان يعلم صاحب المال أنه ثمَّرَ له ماله، وما كان يخطر له ببال وما علم بذلك إلا الله الرقيب؛ لذا لما ضاق بهم الأمر كان رقيبًا أيضًا على أحوالهم مطلعًا على حاجاتهم، فقضاها لهم.

عن عبد الله بن دينار قال: خرجت مع ابن عمر إلى مكة، فعرسنا في بعض الطرق، فخرج ابن عمر لحاجة، وخرجت معه، فانحدر عليه راع من الجبل، فقال له ابن عمر: أراعي، قال: نعم، قال: بعني شاة من الغنم، قال: إني مملوك، قال: قل لسيدك أكلها الذئب، قال: فأين الله عزجل؟! قال عبد الله: فأين الله؟! ثم بكى، ثم قال للراعي: أقريب سيدك؟ قال: لا، قال: فاذهب معنا إلى المنزل، قال: فذهب فأعطاه في ثوبه طعامًا، ثم قال: ائتني أنت وسيدك غدًا على الماء، ثم ذهب، ثم غدا هو وسيده على عبد الله، فقال: بعني غلامك، فقال: نعم، فاشتراه منه فأعتقه»(١).

۞ ومنها: من استظل بمراقبة الرقيب في الدنيا أظله الرقيب في ظل العرش يوم القيامة:

وذلك في أرض المحشر، والشمس دانية من الرءوس، والكرب شديد تجد هؤلاء الذين ءامنوا أنَّ الله رقيب عليهم، ورعوا ذلك في حياتهم تحت ظل العرش، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن رسول الله ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى**

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣١/ ١٣٤).

لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[١].

ومنها: جعل حاجز بين العبد وبين المعاصي:

فالمراقبة لله تعالى تجعل الحواجز، بين العبد والمعاصي، فلا يتعدي الحدود ولا ينتهك الحرمات، وما عصى من عصى في وقت إلا عندما ضعفت مراقبته لله حين معصيته، قال رسول الله ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»**[٢] أي حق الإيمان؛ إذ إنه ضعفت مراقبته لله فتعدى حدوده، وما عُصم مَن عُصم ونجى مَن نجى إلا بمراقبة الله تعالى، وما ندم من ندم وعاد من عاد إلا لما تذكر أنَّ الله رقيب عليه مُطَّلِع عليه، وقد رأى منه ربه مالا يرضيه، فبادَرَ بالتوبة والرجوع لإصلاح ما أفسد.

قال رجل للجنيد: بم أستعين على غض البصر؟

فقال: بعلمك أنَّ نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه[٣].

وصدق القائل:

إذا ما خلوتَ الدهر يومًا فلا تقل ... خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ما مضى ... ولا أنَّ ما تخفي عليه يغيب

لهونا عن الأيام حتى تتابعت ... ذنوب على آثارهن ذنوب

فيا ليت أنَّ الله يغفر ما مضى ... ويأذن في توباتنا فنتوب[٤]

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالى (٤/ ٣٩٧).

(٤) الأبيات منسوبة للإمام أحمد: تاريخ بغداد للخطيب (٥/ ٢٠٥).

ومنها: إحسان العمل الذي يقدمه العبد لله:

فالذي يعلم أنَّ الله رقيب عليه يراقب عمله قبل أن يصعد إلى ربه، ويستقبله منه، فلا بد أن يزين عمله، ويقدمه لربه في أحسن صورة، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢].

ونهى عن تقديم الخبيث في الصدقة للفقراء والمساكين؛ لأنَّ الله رقيب عليها يراها ويراقبها، قال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ [البقرة: ٢٦٧].

قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: فسر النبي ﷺ الإحسان حين سأله جبريل صلوات الله عليهما وسلامه، فقال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة، فإنَّ من راقب الله أحسن عمله[(١)].

عن أبي بن كعب قال: بعثني النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصدقا[(٢)]، فمررت برجل، فلما جمع لي ماله لم أجد عليه فيه إلا بنت مخاض، فقلت له: أد بنت مخاض، فإنها صدقتك، قال: ذاك ما لا لبن فيه ولا ظهر، ولكن هذه ناقة فتية عظيمة سمينة، فخذها، فقلت له: ما أنا بآخذ ما لم أؤمر به، وهذا رسول الله منك قريب، فإن أحببتَ أن تأتيه، فتعرض عليه ما عرضتَ عليَّ فافعل، فإن قبله منك قبلتُه، وإن رده عليك رددتُه، قال: فإني فاعل، فخرج

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٣/ ١١٤).

(٢) مصدقًا: أي جامعًا للزكاة.

معي، وخرج بالناقة التي عرض عليَّ حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: يانبي الله، أتى رسولك ليأخذ من صدقة مالي، وأيم الله ما قام في مالي رسول الله ولا رسوله قط قبله، فجمعت له مالي، فزعم أنَّ ما عليَّ فيه بنت مخاض، وذلك ما لا لبن فيه ولا ظهر، وقد عرضت عليه ناقة فتية عظيمة ليأخذها، فأبى عليَّ، وها هي ذه، قد جئتك بها يا رسول الله، خذها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ذلك الذي عليك، فإن تطوعت بخير آجرك الله فيه، وقبلناه منك. قال: فها هي ذه يا رسول الله، قد جئتك بها فخذها، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقبضها، ودعا له في ماله بالبركة**»(١).

❁ ومنها: أنَّ المراقب لله في طاعة دائمة:

إذ التعبد بأسماء الله وصفاته من أعظم الطاعات، قال ابن عطاء: «أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات»(٢).

فالذي يؤمن بأنَّ الله رقيب عليه لا بد وأن يثمر عملًا صالحًا، فيقضي حياته في الطاعات، وفي إرضاء الرقيب، وكانوا يقولون :فإذا جلست إلى الناس فانظر إلى قلبك؛ لأنَّ الناس يراقبون ظاهرك أمَّا الرقيب يراقب باطنك، فالصالحون الذين يراقبون الرقيب شغلوا أوقاتهم بالطاعات؛ لأنَّ الله يراهم في كل وقت.

وكان أبو الدرداء يقول:

لولا أشياء ما أحببت العيش في الدنيا: الظمأ لله بالهواجر، والسهر لله

---

(١) أخرجه: أحمد (٥/ ١٤٢)، وأبوداود (١٥٨٤)، وحسن الألباني إسناده في صحيح أبى داود (١٤١١).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٩٧).

بالليل، ومجالسة أناس ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر(١).

فالذي يؤمن بأنَّ الله رقيب يأتي من الأعمال أجملها، وأحسنها، ويقدمها للرقيب سبحانه وتعالى.

عن قيس بن صالح أنَّ قومًا دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه، وإذا فيهم شاب داثر ناحل الجسم.

فقال له عمر: يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى؟ فقال: يا أمير المؤمنين أمراض وأسقام.

قال: سألتك بالله إلا صدقتني.

فقال: يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة، فصغر في عيني زهرتها وحلاوتها، واستوى عندي حجرها وذهبها، وكأني أنظر إلى عرش ربي، والناس يساقون إلى الجنة والنار، فأظمأت لذلك نهاري، وأسهرت له ليلي، وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه(٢).

۞ ومنها: أنَّ المراقبة تورث تعظيم الله، وعدمها يحدث استهانة بالله تعالى:

إنَّ عدم مراقبة الله يحدث استهانة بالله عياذًا بالله تعالى، واجتراء عليه، بل وجعله أهون الناظرين إليه.

لذلك فالعبد إذا أراد أن يعصي الله ولم يراقبه، يستتر من كل الخلق إلا الله، فحيث كان الله معه والناس يرونه لم يعصه، فإذا دخل بيته كان ربه معه، وأهله كذلك فلم يعصه، فإذا خلا بنفسه بقي هو وربه فقط، عندها يعصي الله، ويجترئ على المعصية، وكأنَّ الله الرقيب يقول له لم يبق إلا أنا وأنت،

---

(١) المصدر السابق (٤/ ٤٠٩).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٨/ ١٩١).

استحييت من الناس ولم تستحي مني!!

راقبت الناس ولم تراقبني!!

وأنا الرقيب عليك دون الناس.

فلا تجعل ربك أهون الناظرين إليك.

۞ ومنها: أنَّ المراقبة لله تعالى تحفظ حسنات العبد:

وإذا ذهبت المراقبة من قلب العبد عصفت بحسناته، وأصبحت هباء منثورًا، عن ثوبان: عن النبي ﷺ أنه قال: «**لأعلَمَنَّ أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله عز وجل هباءً منثورًا، قال ثوبان يا رسول الله صفهم لنا جَلِّهِم لنا أن لا نكون منهم، ونحن لا نعلم، قال أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**»(١).

۞ ومنها: أنَّ المراقبة تنشر للعبد المحبة بين قلوب العباد:

وانعدام المراقبة أو ضعفها يجلب للعبد اللعنة في قلوب العباد، فالله تعالى يعاقبهم بنقيض قصدهم، ويجعل قلوب الناس الذين اختبأوا منهم وراقبوهم دون الله تبغضهم وتلعنهم.

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ليحذر امرؤٌ أن تلعنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ثم قال أتدري مم هذا؟ قال: إنَّ العبد يخلو بمعاصي الله، فيلقى الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر.

---

(١) أخرجه: ابن ماجه (٤٢٤٥)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٢٣).

قال ابن الجوزي:

إنَّ للخلوة تأثيرات تبين في الخلوة، كم من مؤمن بالله عز وجل يحترمه عند الخلوات، فيترك ما يشتهي حذرًا من عقابه، أو رجاءً لثوابه، أو إجلالًا له، فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عودًا هنديًّا على مجمر فيفوح طيبه فيستنشقه الخلائق ولا يدرون أين هو؟!

وعلى قدر المجاهدة في ترك ما يهوى تقوى محبته، أو على مقدار زيادة دفع ذلك المحبوب المتروك يزيد الطيب، ويتفاوت تفاوت العود فترى عيون الخلق تعظم هذا الشخص، وألسنتهم تمدحه، ولا يعرفون لِمَ؟.

ولا يقدرون على وصفه لبعدهم عن حقيقة معرفته.

وقد تمتد هذه الأراييح بعد الموت على قدرها، فمنهم من يُذكر بالخير مدة مديدة، ثم يُنسى.

ومنهم من يُذكر مائة سنة، ثم يَخفي ذكره وقبره.

ومنهم أعلام يبقى ذكرهم أبدًا.

وعلى عكس هذا من هاب الخلق، ولم يحترم خلوته بالحق.

فإنه على قدر مبارزته بالذنوب، وعلى مقادير تلك الذنوب، يفوح منه ريح الكراهة فتمقته القلوب.

فإن قل مقدار ما جنى قل ذكر الألسن له بالخير، وبقي مجرد تعظيمه.

وإن كثر كان قصارى الأمر سكوت الناس عنه لا يمدحونه ولا يذمونه[1].

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي (١/ ٥٥).

۞ ومن آثاره: اليقين بأنَّ الله قريب من العبد:

فالمراقبة لله تعالى هي بمثابة الفوز والنجاح في الاختبار الذي عقده الله تعالى لعباده، فإنَّ الله تعالى مع أنه أقرب إلى العبد من حبل الوريد، بل هو أقرب إلى العبد من نفسه، لكنه عامل عباده معاملة الغائب عنهم اختبارًا لهم، وليعلم الله من يخافه بالغيب ممن هو في ضلال مبين.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أقرب إلى عبده من حبل الوريد، لكنه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه، فأمر بقصد نيته، ورفع اليدين إليه والسؤال له، فقلوب الجهال تستشعر البعد، ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر لكفُّوا الأكف عن الخطايا، والمتيقظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة وكفتهم عن الانبساط(١).

۞ ومنها: أنَّها تعالج الغفلة:

والغفلة هي التي تنحرف بالعبد عن الطريق، وتجعله يقع في الغواية دونما يشعر، فإنه إذا علم أنَّ ربه رقيب عليه، وأنه حي لا يموت، قيوم لا ينام كان قلبه حيًّا متيقظًا لا ينسى ربه، ولا يغفل عن رؤيته في قلبه، وتحسين عمله له، لذا فإنَّ الغافل الذي لا يرى ربه الرقيب بقلبه، ويغفل عن مراقبته، ويراه غير حاضر، ويراه بعيدًا عنه تُزال عنه هذه الغفلة عندما يعاين الموت، ويرى رسل ربه الرقيب حقًّا، ويعلم أنه كان معه قريبًا منه، قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝٢٠ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۝٢١ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾ [ق: ١٩ - ٢٢].

---

(١) المصدر السابق (١/ ٦٥).

❁ ومنها: أنَّها تورث العبد المحاسبة لنفسه:

ومحاسبة النفس تكون بعتابها ولومها على ما فرطت في جنب الله؛ لأنه يعلم أنَّ ربه رقيب عليه، ويحصي عليه عمله، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [**المجادلة**: ٦]، فلا بد من محاسبة النفس، فإن كان محسنًا حمد الله، واستمسك، وإن كان مسيئًا تاب، وأناب، واسترجع.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيئوا للعرض الأكبر[(١)].

وكان الأحنف بن قيس يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس النار، ثم يقول لنفسه: ياحنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟[(٢)].

❁ ومن آثارها: أنَّ المراقبة زينة للقلب:

فالمراقبة تهذب القلب وتربيه، وتطيبه وتنير له الطريق، وتهديه إلى المنارات التي تحفظه في طريقه، وتحفظه عن شين المعصية، ورداءة منظرها، وقبح فعالها.

قال سهل بن عبدالله:

لم يتزين القلب بشيء أفضل، ولا أشرف من علم العبد بأنَّ الله شاهده

---

(١) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣/ ٢٧٠)، وأبونعيم في الحلية (١/ ٥٢)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/ ٣٤٦)إسناده جيد إن كان ثابت سمعه من عمر.

(٢) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (١٣).

حيث كان[١].

اسم الله الرقيب يجتمع مع كثير من أسماء الله في تربية المسلم على أن يلتفت إلى السماء قبل الإقدام على العمل صالحًا كان أو غير صالح، فإن كان صالحًا زينه بالإخلاص والاتباع، وإن كان غير صالح سارع بالكف والإقلاع، ومنها:

اسم الله السميع الذي وسع سمعه الأصوات كلها، ويسمع دبيب النمل تحت الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

ومنها اسم الله البصير الذي يرى المُعلَن والخفي، ويستوي عنده العبد وهو في الظلام في قعر بيته، وهو في الطرقات في واضحة النهار الذي يرى العبد حين يقوم وتقلبه في الساجدين؛ لذا لما رفع بعض أصحاب النبي صلى الله عليهم أصواتهم بالدعاء قال رسول الله ﷺ» أيها الناس اربَعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، وهو معكم»[٢].

ومنها اسم الله الحفيظ قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [هود: ٥٧]، فهو حفيظ بعلمه، وحفيظ بفعله وتقديره، قال تعالى عن فرعون ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥١ – ٥٢].

---

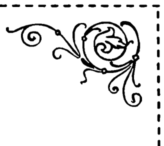
(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٩٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤)، قال النووي في شرح مسلم (١٧/ ٢٦) «اربعوا» بهمزة وصل وبفتح الباء الموحدة معناه: ارفقوا بأنفسكم، واخفضوا أصواتكم، فإنَّ رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليُسمِعَه، وأنتم تدعون الله تعالى، وليس هو بأصم ولاغائب، بل هو سميع قريب.

ومنها **العليم** الذي يعلم الجهر وما يخفى، ويعلم السر وأخفى، بل يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم ما تبدي النفوس وما تخفي، بل سبحانه يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون.

وغير ذلك من الأسماء التي تجتمع لهذا المعنى العظيم المبارك، ومع كل ذلك تجد من لم يوفق للإيمان بهذا الاسم حق الإيمان، ويُحرم من آثار الإيمان بها يَستخفي من الناس وينسى الله، ويراعي الناس في عمله، وهم ليسوا معه في كل وقت وحال، ولا يرعى حق الله تعالى وهومعه دائمًا، قال تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ **[النساء: ١٠٨]**.

❧◈☙




العـزيـز جلَّ جلالُه

العزيز هو القاهر.

العزيز هو القوي.

العزيز من الامتناع وهو الذي لا يُغلب، والذي يمنع من يريد، وينصر من يريد سبحانه وتعالى.

العزيز الذي ليس كمثله شيء، إذ الشيء العزيز في اللغة أي النادر القليل الوجود.

فالعزة تأتي على معاني: إما القوة، أوالقهر، أوالندرة والقلة، أو الامتناع.

فالله تعالى قوي بلغ الكمال في القوة، وهو سبحانه القوي على الحقيقة؛ لأنَّ القوة قد تكون متوهمة، وقد تكون نسبية مثل شخص قوي بالنسبة لمن هو أضعف منه، لكنه قد يكون ضعيفًا بالنسبة لمن هو أقوى منه.

لكنَّ الله تعالى قوي بإطلاق، قوي على الكمال والتمام، قوي على الحقيقة سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهـو العزيـز فلـن يُـرام جنابـه ... أنَّـى يُـرام جنـاب ذي السـلطان

وهـو العزيـز القـاهر الغـلاب لـم ... يغلبـه شـيء هـذه صـفتان

وهـو العزيـز بقـوة هـي وصـفه ... فـالعز حينئـذ ثـلاث معـان

وهـي التـي كملـت لـه سـبحانه ... مـن كـل وجـه عـادم النقصـان[1]

---

(١) متن النونية لابن القيم (ص٢٠٥).

الأدلة الدالة على هذا الاسم:

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة: ٩٥]، وقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء: ٩].

وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج: ٨].

وهذا يدلك على سر فعل الله أحيانًا، فإنَّ الله تعالى يظهر قوته في إهلاك بعض من حاد عن طريقه، وكذب رسله، وإن كان إهلاكهم لا يحتاج إلى كل هذه القوة التي فُعلت بهم، لكن الله تعالى يظهر قوته لعباده ليخوفهم بها، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٦].

صور من إظهار قوة الله وعزته:

إذا أراد الله تعالى أن يهلك أقوامًا جحدوا، وكفروا، وكذبوا، وصدوا عن سبيل الله، فقدر الله عليهم الإهلاك مثل قوم عاد الذين قال الله عنهم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: ٦ - ٨]، فهم أقوى البشر آنذاك، لما كفروا وكذبوا أراد الله تعالى أن يهلكهم، وإهلاكهم يحتاج أمرًا واحدًا من الله تعالى لملك الموت أن يقبض أرواح هؤلاء فيموتون.

لكنَّ الله تعالى إذا غضب أظهر قوته وعزته؛ لذلك سخر الله عليهم الريح، قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة: ٧ - ٨].

لمَّا أراد الله تعالى أن يهلك قوم لوط ماذا فعل؟

قال الله ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحجر: ٧٣ - ٧٥].

يالقوة الله العزيز!!

كلمات قليلة مختصرة لكنها تدل على مدى قوة الله وعزته سبحانه وتعالى، وقال تعالى عن إهلاكه لفرعون وقومه ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٥ - ٥٦].

ويجمع الله تعالى عددًا من هؤلاء الطغاة الجاحدين في سياق واحد، ويذكر سبحانه إهلاكهم بكلمات قليلة موجزة تدلك على يُسر الأمر وسهولته بالنسبة لله العزيز، فهو لا يعجزه شيء، وهم عاد وثمود وفرعون وقارون، قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠]. فهو العزيز القوي سبحانه وتعالى.

هذا هو الإهلاك. فماذا لو أراد العزيز أن يحذر وينذر؟

❁ صور لتحذير الله تعالى وإنذاره:

قوم موسى لما عاندوا وجحدوا أرسل الله لهم إنذارًا وتحذيرًا، وإذا بهذا الإنذار هو الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣ - ١٣٤].

❁ صورة أخرى من التحذير والإنذار:

لما تلاعب بنو إسرائيل بكتاب الله، وأخذوا بعض الكتاب وتركوا بعضه، وعملوا بالحيل، فأراد الله منهم أن يأخذوا الكتاب بقوة، فالله تعالى يأبى أن يُتعامَل مع وحيه بالتحايل، والهوى، بل لابد أن يؤخذ الكتاب بقوة وجد، قال تعالى: ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: ١٧١]، نُتق الجبل فوقهم ورفع وفي هذا الوقت قال الله لهم (خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ).

عن ابن عباس: أنهم لما امتنعوا عن الطاعة رفع عليهم الجبل ليسمعوا فسجدوا، وقال السدي: فلما أبوا أن يسجدوا أمر الله الجبل أن يقع عليهم، فنظروا إليه وقد غشيهم، فسقطوا سُجَّدًا، فسجدوا على شقٍّ، ونظروا بالشق الآخر، فرحمهم الله فكشفه عنهم، فقالوا والله ما سجدة أحب إلى الله من سجدة كشف بها العذاب عنهم، فهم يسجدون كذلك، وذلك قوله تعالى: (ورفعنا فوقكم الطور....).

وقال قتادة: (خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ) القوة: الجد وإلا قذفته عليكم.

قال: فأقروا بذلك: أنهم يأخذون ما أوتوا بقوة. ومعنى قوله: وإلا قذفته عليكم، أي أسقطه عليكم، يعني الجبل[1].

فالله حليم قوي... والله غفورعزيز.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٨٧- ٢٨٨).



آثار الإيمان باسم الله «العزيز»

❁ **منها: أنه يورث في قلب المسلم العزة واليقين:**

فإنَّ الله هو العزيز القوي، وكلما ازداد العبد إيمانًا ازداد عزةً، وإن كان في ظاهر الأمر ضعيفًا، لكنه عزيز بربه ودينه؛ لذا كان السلف يستمدون كل عزتهم من إيمانهم بالعزيز، لا من شيء آخر، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون: ٨].

عن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، فأتوا على مخاضة، وعمر على ناقة له، فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة ما يسرني أنَّ أهل البلد استشرفوك، فقال عمر: أوه لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلتُه نكالًا لأمة محمد ﷺ، إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله[1].

---

(١) أخرجه: الحاكم (١/ ١٣٠) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (١/ ٥٠).

قال إبراهيم بن شيبان: الشرف في التواضع، والعزة في التقوى[1].

لذلك جعل الله لعباده المؤمنين بعض هذه العزة، وهذا يدلك على القوة العظمى التي يمتلكها من يؤمن بالله، والذي يستمد العزة من العزيز سبحانه وتعالى.

ومنها: أنَّه يورث في قلب المسلم الاطمئنان والراحة:

فالمسلم وإن كان ضعيف العدة والعدد والعتاد في غالب أحواله، إلا إنه يأوي إلى ركن شديد ألا وهو ركن العزيز سبحانه وتعالى، وهو ركن قوي لا يُغلب؛ لذا لما قدر الله النصر لأوليائه، وأيدهم بالملائكة الكرام، وأعلمهم بذلك بين لهم أنَّ كل هذا للاطمئنان والبشارة، لكن النصر الحقيقي هو من عند الله؛ لأنه هو العزيز الحكيم.

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: ١٢٦].

بل بين سبحانه وتعالى أنه نصر نبيه ﷺ بعدما أخرجه قومه طريدًا هو ورجل واحد معه، لكنه بعد ذلك جعل كلمة الكافرين السفلى ونصره عليهم، وهل يقدر على ذلك إلا العزيز، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

بل ودخل مكة فاتحًا بعد ثمان سنين دخول عزة ونصر، وأعز الله أصحابه الذين طالما ابتُلوا في هذه البلاد.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٧٠٦).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فدخل مكة دخولًا ما دخله أحد قبله ولا بعده، حوله المهاجرون والأنصار لا يبين منهم إلا الحدق، والصحابة على مراتبهم، والملائكة فوق رؤوسهم، وجبريل يتردد بينه وبين ربه، وقد أباح له حرمة الذي لم يحله لأحد سواه، فلما قايس بين هذا اليوم، وبين يوم ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]، فأخرجوه ثاني اثنين دخل وذقنه تمس قربوس سرجه خضوعًا وذُلًّا لمن ألبسه ثوب هذا العز الذى رفعت إليه فيه الخليقة رؤوسها، ومدت إليه الملوك أعناقها، فدخل مكة مالكًا مؤيَّدًا منصورًا، وعلا كعبُ بلال فوق الكعبة بعد أن كان يُجر فى الرمضاء على جمر الفتنة، فأجابته القبائل من كل ناحية فأقبلوا يؤمون الصوت، فدخلوا فى دين الله أفواجًا، وكانوا قبل ذلك يأتون آحادا، فلما جلس الرسول على منبر العز، وما نزل عنه قط مدت الملوك أعناقها بالخضوع إليه، فمنهم مَن سلَّم إليه مفاتيح البلاد، ومنهم مَن سأله الموادعة والصلح، ومنهم من أقر بالجزيه والصغار، ومنهم من أخذ فى الجمع والتأهب للحرب، ولم يدر أنه لم يزد على جمع الغنائم وسوق الأسارى إليه، فلما تكامل نصره، وبلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، وجاءه منشور (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيمًا وينصرك الله نصرًا عزيزًا)، وبعده توقيع: (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا) جاءه رسول ربه يُخَيِّره بين المقام في الدنيا وبين لقائه، فاختار لقاء ربه شوقًا إليه، فتزينت الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة، لا كزينة المدينه يوم قدوم المَلِك، إذا كان عرش الرحمن قد اهتز لموت بعض أتباعه فرحًا واستبشارًا بقدوم روحه، فكيف

بروح سيد الخلائق[١].

وهو العزيز الذي يتولى أولياءه وينجيهم مهما ضاقت الأمور عليهم، قال ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨].

بل بين الله تعالى أنَّ من يتوكل عليه ويسلم الأمر إليه، فإنه يتوكل على قوي عزيز، فقال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٩].

❁ ومنها: تهييج النفس ودفعها لطلب العزة من العزيز:

وذلك ببذل الأسباب لنيل هذه العزة كالتمسك بدينه، والالتجاء إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ حتى يفوز العبد بلقب العزة، فإنه لله ولرسوله والمؤمنين، ويقطع على العبد طلب العزة بشيء من متاع الدنيا؛ إذ العزة الكاملة عنده سبحانه، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء: ١٣٩].

❁ ومنها: أنَّ العزيز هو القوي القادر على القلوب:

فهو وحده القادر على القلوب وقهرها، وهدايتها، وتزكيتها، فلا قنوط من الهداية، ولا يأس منها لأحد، فالله هو القوي القاهر وقتما يريد الهداية آتاها القلوب، ويمنعها من الآفات، ويعزها بالهداية والتوفيق؛ لذا طلب إبراهيم الهداية لذريته وأهله، واستدل لهذا الطلب بأن الله هو العزيز، فقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

---

(١) الفوائد لابن القيم - بتصرف - (١/ ٦٢).

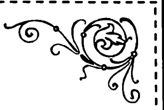
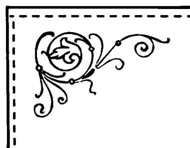
﴿وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾ [البقرة: ١٢٩].

وهو العزيز القاهر القادر وحده على القلوب المختلفة المتناحرة أن يوفقها ويؤلف بينها، وكل قوى الأرض ما تستطيع أن تؤلف بين القلوب على الحقيقة، وإن استطاعت جمع الأبدان، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)﴾ [الأنفال: ٦٣].

وهو العزيز القوي القاهر لمن زل بعدما جاءته البينات والهدى، عزيز قادر على عقابه وإهلاكه، وعزيز قادر على التوبة عليه، وعزيز قادر على قهر هذه النفوس المتمردة وهدايتها، قال تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩)﴾ [البقرة: ٢٠٩].

وقال تعالى حكاية عن نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)﴾ [المائدة: ١١٨].

❀◊❀

العليم جلَّ جلالُه

العليم هو الذي يعلم ما كان، وما يكون، ومالم يكن لو كان كيف كان يكون.

العليم هو الذي يعلم الشهادة والغيب.

العليم هو الذي يعلم ما تحمل كل أنثى، وما تغيض الأرحام، وما تزداد.

العليم هو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

العليم هو الذي يختار من عباده من يشاء، فمنهم شقي ومنهم سعيد.

العليم هو الذي له العلم الكامل فهو فوق كل ذي علم.

العليم هو الذي لا يحصر علمه ولا يُحاطِ به.

العليم هو الذي يُعلِّم عباده، ويقسم أرزاق العلم عليهم، فمُكْثِرٌ ومُقِلٌّ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا.

العليم هو الذي لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهو العليم أحاط علمًا بالذي ... في الكون من سر ومن إعلان

وبكل شيء علمه سبحانه ... فهو المحيط وليس ذا نسيان

وكذاك يعلم ما يكون غدًا وما ... قد كانا والموجود في ذا الآن

وكذاك أمر لم يكن لو كان كيف يكون ذاك الأمر ذا إمكان(١)

❁ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٩].

وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة: ١١٥].

وقال: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

[البقرة: ١٥٨].

وقال: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ [البقرة: ٢٢٧].

وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء: ١١].

وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء: ٢٦].

وقال: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ

---

(١) متن النونية لابن القيم (١/ ٢٠٤).

ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام: ٩٦].

ولعظم هذا الاسم وعظيم أثره اقترن بكثير من الأسماء الأخرى؛ إذ إنَّ كثيرًا من آثار الأسماء الأخرى تشترك مع آثار علمه سبحانه وتعالى ومنها:

❁ اقتران العلم بالحكمة:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء: ٢٦]، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [النساء: ١١].

وقال: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [التوبة: ١٠٥ - ١٠٦].

وقال: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: ١٤ - ١٥].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [النساء: ١٧٠]، فالحكمة والعلم يعملان سويًا، وكيف تصل الحكمة منتهاها وتكون حكمة تامة بالغة إلا بعلم، فلما كان له العلم الكامل التام، كانت له الحكمة البالغة.

اقتران العلم بالسعة:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)﴾ [البقرة: ١١٥]، وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقال: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢)﴾ [النور: ٣٢]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)﴾ [المائدة: ٥٤]؛ وذلك لأنَّ الله تعالى واسع في خلقه، وواسع في رزقه، وواسع في رحمته، وكل ذلك لا يتم إلا بعلم؛ لذا فسبحانه وتعالى واسع في علمه أيضًا.

اقتران العلم بالسمع:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧)﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)﴾ [البقرة: ٢٢٧]، وقال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١)﴾ [آل عمران: ١٢١]، وقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧)﴾ [الأنفال: ١٧]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا

نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وقال: ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنفال: ٦١]، وقال: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤]، وقال: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢٢٠].

فالله تعالى وسع سمعه الأصوات، ولا يخفى عليه صوت مهما خفت واختفى، وكذلك علمه فلقد أحاط بكل شيء علمًا، وإحاطة الله تعالى بخلقه تقتضي أن يكون سبحانه سميعًا لكل شيء، عليمًا بكل شيء، فمن دعاه سمِعَه وعلم نطقه، ومن ناداه سمِعَه وعلم حاله، المكروب يسمع أناته ويرى مكانه، والشاكر يسمع تحميده ويعلم ما في قلبه، سميع عليم سبحانه.

۞ اقتران العلم بالحلم:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الحج: ٥٨ - ٥٩]، فما يحدث لأوليائه يحدث بعلمه، وليس تعذيبًا لهم، بل هو حليم بهم يكفر سيئاتهم، ويرفع درجاتهم، ويهذب نفوسهم، الله عليم حليم، فمع علمه بالخفايا والصدور، لكنه حليم بمن عصاه، فما أظهر معايبه للناس مع علمه به، بل علم هفواته، وحلم به فستره، فهو العليم الحليم سبحانه.

☐ اقتران العلم بالعزة:

قال تعالى: ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النمل: ٧٨]، وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ

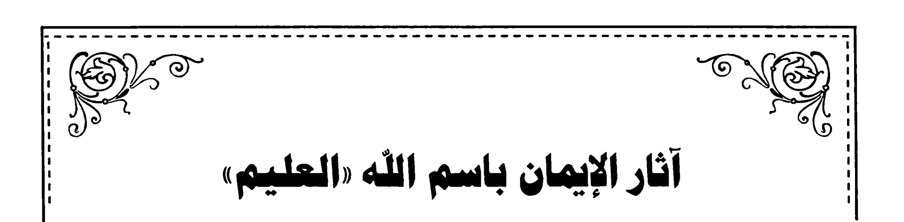
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ [الزخرف: ٩].

وهكذا العلم والعزة يعملان سويًّا، فالعزيز القوي القاهر الذي يعز هذا ويذل ذاك، ويعطي هذا ويمنع ذاك، وينصر هذا ويهزم ذاك، يكون عالمًا بكل خلقه، ولا يخفى عليه كيد الكائدين، ومكر الماكرين، فيقهرهم ويغلبهم، ولا يعزب عن علمه ضعف الضعفاء والمستضعفين المظلومين، فينصرهم ويؤيدهم.

واقترن اسم الله العليم بكثير من الأسماء الأخرى، فاقترن باسم الله الفتاح، قال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: ٢٦]؛ إذ إنه سبحانه لا يفتح على الناس من عطاياه عبثًا بل يفتح بعلم، ويضيِّق بعلم.

واقترن باسم الله القدير، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤]؛ إذ إنه لكي يفعل ما يشاء ويقدر عليه اقتضى أن يكون علمه محيطًا بكل شيء.

❊ ❊ ❊



آثار الإيمان باسم الله «العليم»

❁ **منها: الخوف والمراقبة:**

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

إنه يعلم ما يخفيه العبد على الناس، بل ويعلم الغيب الذي لم يفعله قبل أن يفعله، يعلم الغيب كما يعلم الشهادة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام: ٧٣].

إنَّ العليم لا يعلم ما يفعله عباده فقط ولو كان لكفى، وإنما يعلم ما في النفوس، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة: ٢٣٥].

ويعلم السر والجهر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام: ٣].

ويعلم ما تخفي الصدور، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩].

ويعلم ما يبديه العبد وما يخفيه، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [الأحزاب: ٥٤]؛ لذا لما أراد الله أن يعلم

عباده أنه معهم، ويراقب أمورهم، ولا يخفى عليه من أمرهم شيئًا، ولا يشغله عدد عن عدد ولا شأن عن شأن بدأ الآية بالعلم وختمها بالعلم، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].

وأنه ليس له رب سواه ولا معبود غيره، فالرب يكون عليمًا لا يخفى عليه شيء، وإلا كيف يكون إلهًا معبودًا مطاعًا؛ لذا لما دعا الله الناس لعبادته، وبين استحقاقه لذلك بين أنه وسع كل شيء علمًا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٣ - ٦٤].

❁ ومنها: بيان فضل العلم؛ إذ العلم صفة من صفات العليم سبحانه:

لذا جعل النبي ﷺ اللعنة على الدنيا إلا ما فيها من الذكر والعلم، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنَّ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما والاه، وعالم أو متعلم»[1].

وجُعل المخرج والنجاة من طريق العلم، قال عون بن عبدالله: قلت لعمر ابن عبدالعزيز: يُقال إن استطعتَ أن تكون عالمًا فكن عالمًا، فإن لم تستطع

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٠٩).

فكن متعلمًا، فإن لم تكن متعلمًا فأَحِبَّهم، فإن لم تحبهم فلا تبغضهم، فقال عمر: سبحان الله! لقد جعل الله عز وجل له مخرجًا[١].

وجعل النبي ﷺ تعلم آيتين من كتاب الله تعالى أفضل من الفوز بناقتين كوماوين، عن عقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة، فقال: «**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق، فيأتي بناقتين كوماوين من غير إثم ولا قطيعة رحم، فقلنا يا رسول الله نحب ذلك، قال أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خيرٌ من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أربع ومن أعدادهن من الإبل**»[٢].

واختص الله به أفضل خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم، فالسعي إليه سعي إلى محبوبٍ لله تعالى؛ لذا سماه الله تعالى رحمة، فقال ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: ٦٥].

وبين الله تعالى أنَّ ما آتاه للأنبياء إنما هو العلم، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل: ١٥]، وقال: ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحجر: ٥٣].

واختص به بعض الخلق من غير أنبيائه، وبين أنَّ إعطاءهم العلم هو من إرادة الخير بهم، عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يرد الله**

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٧/ ٦٣).

(٢) أخرجه: مسلم (٨٠٣).

به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسمٌ والله يعطي، ولا تزال هذه الأمة قائمةً على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»[١].

وبين تعالى أنه يبين حدوده لأهل العلم، فقال ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة: ٢٣٠].

وبين أنه اختصهم بفهم كتابه، فقال ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾

[النساء: ٨٣].

وبين تعالى أنه لا يعقل أمثاله وأحكامه إلا أهل العلم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وبين أنه هداهم وبَصَّرَهم، فهم يعلمون ويرون أنَّ ما أنزله الله هو الحق، فقال تعالى: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩].

وخصهم الله بالبيان والتعليم وإقامة الحجة في الدنيا، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾

[الأنبياء: ٧].

وفي الآخرة أيضًا، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾

[الروم: ٥٦].

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

وجعل سلوك طريق العلم يسهل للعبد طريق الجنة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**ما من رجل يسلك طريقًا يطلب فيه علمًا إلا سهل الله عز وجل له به طريقًا إلى الجنة**»(١).

وجعل أهل العلم أخشى الناس لله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: صنع النبي ﷺ شيئًا ترخَّصَ فيه، وتنزه عنه قومٌ، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فحمد الله، ثم قال «**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية**»(٢).

فبين ﷺ أنَّه أشد الناس لله خشية؛ وذلك لأنه أعلمهم بالله.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه(٣).

وقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

مـا الفخـر إلا لأهـل العلـم إنهـم ... علـى الهـدى لمـن اسـتهدى أدلاء

وقـدر كـل امـرىء مـا كـان يحسـنه ... والجـاهلون لأهـل العلـم أعـداء

ففـز بعلـم تعـش حيًّـا بـه أبـدًا ... النـاس مـوتى وأهـل العلـم أحيـاء

---

(١) أخرجه: أبوداود (٣٦٤٣)، والترمذي (٢٦٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٧).

قال أبو الأسود الدؤلي: ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك[١].

وسئل **ابن المبارك مَنِ الناس؟** فقال العلماء.

قيل فمَنِ الملوك؟ قال الزهاد.

قيل فمن السفلة؟ قال الذين يأكلون الدنيا بالدين.

ثم قال: لم يُجْعَلْ العالم من غير الناس؛ لأنَّ الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم، فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله، وليس ذلك بقوة شخصه فإنَّ الجمل أقوى منه، ولا بعِظَمِه فإنَّ الفيل أعظم منه، ولا بشجاعته فإنَّ السبع أشجع منه، ولا بأكله فإنَّ الثور أوسع بطنًا منه، ولا بمجامعته فإنَّ أخس العصافير أقوى على السفاد منه، بل لم يخلق إلا للعلم[٢].

قال ابن وهب :

كنتُ بين يديْ مالك، فوضعتُ ألواحي وقمتُ أصلي، فقال: ما الذي قمتَ إليه بأفضلَ مما قمتَ عنه[٣].

۞ ومنها : التذلل والخضوع للعليم لطلب العلم النافع :

إذ العلم كله بيديه؛ وهو من أجلِّ عطاء الله تعالى؛ لذا لا يُنال إلا بالتذلل والتضرع لله تعالى بطلبه؛ لذا أمر الله تعالى النبي ﷺ أن يدعو الله تعالى أن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٧)، المدخل للعبدري (١/ ٩٦).

(٣) المدخل لابن الحاج المالكي (١/ ٦٣).

يزيده علمًا، فقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه: ١١٤].

عن مكحول أنه دخل على أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فسمعته يذكر: أنَّ رسول الله كان يقول «**اللهم انفعني بما علمتني،وعلمني ما ينفعني،وارزقني علمًا تنفعني به**»(١).

ودعا به لابن عباس لما فعل فعلًا أعجبه، عن ابن عباس: أنَّ النبي ﷺ أتى الخلاء، فوضعتُ له وضوءًا، فلما خرج قال من وضع هذا، فأُخبِر، قال «**اللهم فقهه في الدين**»(٢)، ولا علم للعبد إلا ما علَّمه العليم سبحانه ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ [البقرة: ٣٢].

وكانت أول آية نزلت في القرآن كان فيه نسبة العلم إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق: ١ - ٥].

ومنَّ على أنبيائه أنه علَّمهم بعض العلم، فقال لنبيه ﷺ ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [النساء: ١١٣].

وقال عن عيسى ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٤٨﴾ [آل عمران: ٤٨].

---

(١) أخرجه: الحاكم (١/ ٦٩٠)، وصححه، والطبراني في الأوسط (٢/ ٢٠٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١١/ ٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

وقال عن لوط ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وقال عن داوود وسليمان ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقال عن يوسف ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ [يوسف: ٦].

ودعا بها إبراهيم لذريته من بعده، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وجعل من منته على عباده أن بعث فيهم نبيًّا يعلمهم، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]، وأمر نبيه أن يعلم أمته مما علمه الله تعالى، عن عياض بن حمار: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في خطبته «**إنَّ ربي أمرني أن أُعَلِّمَكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا**»[1].

(١) أخرجه: مسلم (٢٨٦٥).

ومنها: التواضع ونسبة العلم والفضل كله لله تعالى:

فهو العليم سبحانه، وهو الذي يقسم الأرزاق ويَمُنُّ بالعلم، فالفضل والبداية منه، والتوفيق والتعليم بيديه، والذي يعطي العلم قادر على الحرمان منه، فلابد من التواضع، ونسبة الفضل والعلم إليه؛ لذا لما سئل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أعلم الناس، وقال: أنا، عتب الله عليه أن لم يرد العلم إليه، عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قام موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئِل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، قال: فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أنَّ عبدًا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك.....**»[1]؛ إذ إنَّ العلم من عنده، وهو الذي أعطاه لعباده مِنَّةً منه وفضلًا، ومهما أوتي العبد من العلم فإنما أخذ منه القليل قال تعالى «**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**»، ولما لقي موسى الخضر وركبا السفينة: جاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: ياموسى ما نقص علمي، وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر»[2].

ومنها: أنه يورث القلوب المؤمنة اطمئنانًا وأمانًا وثقةً:

وذلك لأنَّ كل ما يحدث في الكون يحدث بعلمه، ولا شيء يغيب عنه، وهذا من دوره، أن يعلمهم أنَّ ما يحاك بهم دائما في كل زمان ومكان وإن خفي عليهم، فإنه لا يخفى على العليم سبحانه، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) المصدر السابق.

ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٧].

وقال تعالى مُطَمئِنًا لنبيه ﷺ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المائدة: ٦١].

وهذا يعلم المؤمنين أنَّ الله معهم في المحن والبلايا وليسوا وحدهم، بل معهم العليم سبحانه؛ لذا قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال: ١٧]، وقال: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: ١٤ - ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ [يونس: ٦٥].

ولا يحزنك مكرهم وكيدهم وتشنيعهم وصدهم عن سبيل الله تعالى، فإنَّ الله يسمع ويعلم كل شيء، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ [هود: ٥].

وضرب الله الأمثلة الواقعية التي تبين للفئة المؤمنة أنَّ الله معهم، وأنه عليم بأحوالهم، ومكانهم لا يخفى عليه، وهو عليم بالصدور وما يدور فيها؛ لذا يدبر لهم أسباب النصر فهو العليم، قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنفال: ٤٣].

وكما هو عليم بأحوالكم، فهو أيضا عليم بأحوال الظالمين، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنعام: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء: ٤٥].

ومنها: أنَّ العبد لا يخاف ظلمًا ولا هضمًا:

فالله تعالى العليم: يعلم الصالحات، فلا يخفى عليه عمل، وهو لا يضيع أجر من أحسن عملًا؛ لذا أمر رسله بالعمل؛ إذ إنه يعلم أعمالهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١].

وأمر المؤمنين بذلك، فقال ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠]، وقال: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥].

وقال: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ

وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ٢٠].

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور: ٤١].

ويعلم التائب ويتوب عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء: ١٧].

بل قد يعمل العبد صالحًا ولا يشعر به، لكن العليم يعلمه، فعن بلال بن الحارث المزني يبلغ به النبي ﷺ قال: «**وإنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله بها رضاه إلى يوم القيامة**»(١)، فالبغيُّ التي سقت كلبًا وغفر لها بذلك ما كانت تظن أنَّ هذا عمل صالح، فضلًا عن أن يكون سببًا في مغفرة الله لها، والذي سقى كلبًا وغُفر له بسببه ما شعر أنَّ هذا عمل صالح وربما أنه لا يتذكر ذلك، لكنَّ العليم علمه وحفظه له، فهو العليم سبحانه.

۞ ومنها: أنَّ الاصطفاء والاختيار يقع بعلم الله تعالى وحكمته:

فلا يقع اختيار الله لعباده عبثًا ولا سدى، فالله يخلق ما يشاء ويختار، واختياره يكون على وفق علمه؛ لذا قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: ٣٣ - ٣٤].

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٣١٩)، وابن ماجه (٣٩٦٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦١٩).

واصطفى الله تعالى أناسًا بعلمه وحكمته لطاعته، ووعدهم رفقة أنبيائه في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠].

قال تعالى: ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾﴾ [النور: ٣٥].

ومنها: الالتزام بحكم الله تعالى والتمسك بشرعه:

فالشرع شرَّعه الله تعالى بعلم تام كامل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فيجب الالتزام به، وعدم رده بالنظر للعقل القاصر، فإنَّ الإنسان خُلِق ظلومًا جهولًا، فكيف يخضع حكم الحكيم العليم لحكم ونظر الظالم الجهول؛ لذا فإنَّ الله تعالى أشار إلى أنَّ هذه الأحكام، وهذا القرآن نزل من عند العليم سبحانه، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ [النمل: ٦].

وقال: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: ٦].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١].

وقال: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٢]؛ وختم الله تعالى كثيرًا من الآيات التي تتكلم عن مثل هذه الأحكام بإثبات العلم له سبحانه.

قال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾ [النساء: ١١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [الدخان: ٣ - ٦].

وبين سبحانه أنَّ البعد عن حكم الله العليم هو طريق الضلال والغواية، قال تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [النساء: ١٧٦].

فلقد فضل الله بعضهم على بعض في الميراث وفضل حالًا على حال، وكل ذلك بعلمه وحكمته؛ لذا قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة: ٦٠].

❁ ومن آثار علم الله تعالى: رحمته وحلمه بالعباد:

وهذا يورث الاعتراف بالفضل والشكر له، فهو الذي يعلم التائب، ويتوب عليه ويهدي الناس لسبل الخير والهداية، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء: ٢٦].

وبين تعالى أنه لولا فضله وعلمه بما تصير إليه الأمور ما زكى أحدًا أبدًا، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١].

وبين سبحانه وتعالى أنَّ أوامره وتوجيهاته رحمة بالعباد؛ لأنه هو العليم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾ [الدخان: ٣ - ٦].

الله عليم حليم رحيم لما علم أنَّ بني آدم مذنبون خطاءون كتب لهم التوبة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء: ١٧].

ولما علم مكائد الشيطان لهم ومصائده بيَّنها لهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة: ١١٥].

وأمر سبحانه عباده إن نزغ الشيطان لهم فليستعيذوا بالعليم الذي يعلم أسرار الأمور، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

ونهى الناس أن يتبعوا خطوات الشيطان، وأمرهم أن يستجيبوا لقول العليم، فإنه يعلم وأنتم لا تعلمون، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١].

ولما علم كثرة ذنوبهم، وقلة حسناتهم ضاعف حسناتهم، وغفر كثيرًا من زلاتهم.

ولما علم أنَّ النفس متقلبة، تصبح بالإيمان وتمسي بالكفر، وتمسي بالإيمان وتصبح بالكفر أمهلها للتوبة إلى أن تغرغر، وجعل الأعمال بالخواتيم.

ولما علم أنَّ الشيطان لهم بالمرصاد في كل وقت أذن بالتوبة في كل وقت ما دامت أرواحهم في أجسادهم.

كل ذلك من آثار علمه، فله الحمد والمنة، والشكر على علمه وفضله.

❁ ومنها: الاطمئنان للرزق:

فالرزق يُعطَى بعلمه، وليس بقدرة العبد ومهارته، فما بسط الرزق إلا بعلمه، وما قل وقدر إلا بعلمه، والعبد لا يعلم مصادر رزقه ومواضعه ولا يعلم قدره؛ لذا عليه أن يتوجه للعليم بطلب الرزق الحلال منه؛ لذا ختم الله بعض ءايات الرزق باسمه العليم؛ لتعلم أنه ليس رزاقًا فقط، بل يعلم الرزق ومواضعه وقدره قبل أن يرزق وبعد، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت: ٦٠]، وقال:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة: ٢٨]، وقال: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١].

❁ ومنها: أنَّ آثار العلم النافع باقية لا تنقطع ولو بموت صاحبها:

إذ هي من العليم صاحب العلم الباقي الدائم، فيكرم الله تعالى صاحب العلم بعد موته بأن يجري عليه عمله وعلمه بعد موته، كأنه حي يفعله؛ إذ إنه وإن مات فهو حي بالعلم وانتفاع الناس به، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[١].

وكذلك العلم النافع يُجرَي على صاحبه أجرُ الأعمالِ التي لم يعملها، لكنه أصلح النية بتوفيق الله له، ثم بعلمه، قال رسول الله ﷺ: «**إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا، فهو صادق النية يقول لو أنَّ لي مالًا لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالًا ولم يرزقه علمًا، فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًّا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالًا ولا علمًا، فهو يقول لو أنَّ لي مالًا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته فوزرهما سواء**»[٢].

---

(١) أخرجه: مسلم (١٦٣١).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع

وجعل الله العلم حياة للقلوب كما أنَّ الماء حياة للأبدان، عن أبي موسى قال:قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضًا، فكانت منها طائفةٌ طيبةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أَجادِب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفةً منها أخرى إنما هي قيعانٌ لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه بما بعثني الله به، فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**»[١]، فلما أحيا الله القلوب بهذا العلم جعل أصحابه أحياء باستمرار أجرهم، وإن ماتت أبدانهم.

ومنها: أنَّ العلم دليل اختيار العليم للعبد:

❑ فجعلهم النبي ﷺ ورثة الأنبياء، عن كثير بن قيس قال: كنت جالسًا عند أبي الدرداء في مسجد دمشق، فأتاه رجل، فقال: يا أبا الدرداء أتيتك من المدينة مدينة رسول الله ﷺ لحديث بلغني أنك تحدث به عن النبي ﷺ، قال: فما جاء بك تجارة؟ قال: لا. قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإنَّ طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء، وإنَّ فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. إنَّ العلماء ورثة الأنبياء**

(٣٠٢٤).

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا. إنما ورثوا العلم. فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[١].

وقال الفضيل: عالم مُعلِّم يُدعَى كبيرًا في ملكوت السماء[٢].

□ ولفضلهم عدَّلهم الله تعالى، وقبل شهادتهم على أجل مشهود عليه ألا وهو التوحيد، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

استشهد الله عز وجل بأهل العلم على أجل مشهود عليه وهوتوحيده، فقال﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

الثاني: اقتران شهادتهم بشهادته.

الثالث: اقترانها بشهادة ملائكته.

الرابع: أنَّ في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم، فإنَّ الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول.

الخامس: أنه وصفهم بكونهم أولى العلم، وهذا يدل على اختصاصهم به، وأنهم أهله وأصحابه.

---

(١) أخرجه: أبوداود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٢).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٦٨٥)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

السادس: أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجل شاهد، ثم بخيار خلقه وهم ملائكته، والعلماء من عباده، ويكفيهم بهذا فضلًا وشرفًا.

السابع: أنه استشهد بهم على أجل مشهود به، وأعظمه وأكبره، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم.

الثامن: أنه سبحانه جعل شهادتهم حجةً على المنكرين، فهم بمنزلة أدلته، وآياته، وبراهينه الدالة على توحيده.

التاسع: أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه، ومن ملائكته، ومنهم، ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر غير شهادته، وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته.

العاشر: أنه سبحانه جعلهم مؤدين لحقه عند عباده بهذه الشهادة، فإذا أدوها فقد أدوا الحق المشهود به، فثبت الحق المشهود به، فوجب على الخلق الإقرار به، وكان ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وكل من ناله الهدى بشهادتهم، وأقر بهذا الحق بسبب شهادتهم، فلهم من الأجر مثل أجره، وهذا فضل عظيم لا يدرى قدره إلا الله[1].

❑ أعظم ما يلقى العبد به ربه العلم، قال أبو الحسين بن سالم: جاء رجل إلى سهل بن عبد الله، وبيده محبرة وكتاب، فقال لسهل: أحببت أن أكتب شيئًا ينفعني الله به.

فقال: اكتب، إن استطعت أن تلقى الله، وبيدك المحبرة فافعل.

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم -بتصرف- (١/ ٤٨).

فقال: يا أبا محمد ! فائدة.

فقال: الدنيا كلها جهل إلا ما كان علمًا، والعلم كله حجة إلا ما كان عملًا، والعمل موقوف إلا ما كان على السنة، وتقوم السنة على التقوى(١).

❑ جعلهم الله منارات الله في أرضه، بهم يُقتدى ويُهتدى، ويُرجع إليهم عند النوازل والخلاف، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣].

قال أبومسلم الخولاني:

مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء يهتدون بها(٢).

ومن أجل كل هذا ارتبط العلم بالعمل والتقوى، فمن حَادَ حِيدَ به؛ فمن يحد عن طريق الله تعالى يحرم من العلم.

قال عبدالله بن مسعود:

إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها(٣).

قال الشافعي:

شكوتُ إلى وكيع سُوءَ حِفْظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأنَّ العلم نورٌ ... ونورُ الله لا يُهدى لعاصي(٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى (١٤/ ٣٤٨).
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧/ ٢٢٦).
(٣) صفة الصفوة (١/ ٤١٥).
(٤) «ديوان الإمام الشافعي» (١/ ٦١).

❁ ومن هذه الآثار: عظم ذنب مَن صَرَفَ هذا العلم لغير العليم سبحانه:

لأنَّ الله العليم هو الذي منَّ على عباده به، فكيف يكون هو العليم وهو صاحب المنة بالفضل والعلم، وصاحب الأجر والجزاء عليه، ثم يُصرَف العلم إلى عبد ظلومٍ جاهلٍ لمدحٍ، أو مراآةٍ، أو عَرَضٍ من الدنيا، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**منْ تعلَّم علمًا مما يُبتغَي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**» يعني ريحها[1].

عن جابر بن عبد الله: أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا تعلَّموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار**»[2].

❁ ومنها: أنَّ العليم يحب إزالة الجهل بالعلم:

إنَّ الله تعالى لحبه للعلم أوجب على مَن مَنَّ عليهم بالعلم أن يُعلِّموا الناس العلم، ويزيلوا جهلهم؛ إذ العلم نور، والجهل ظلام، وتوعَّد مَن مَنَّ العليم عليه ببعض العلم، وكتمه عن عباده، واستأثر به لنفسه، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سُئِل عن علم فكتمه أُلْجِم يوم القيامة بلجام من نار**»[3]، فهذا من العلم الذي لا ينفع؛ لذا كان ﷺ يستعيذ بالله من

---

(١) أخرجه: أبوداود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٥٩).

(٢) أخرجه: ابن ماجه (٢٥٤)، وابن حبان (١/ ٢٧٨)، والحاكم (١/ ١٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٧٠).

(٣) أخرجه: أبوداود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٨٤).

علم لا ينفع، عن زيد بن أرقم: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**»[١].

قال سلمان: علم لا يقال به ككنز لا ينفق منه[٢].

قال عمر بن الخطاب:

تَعلَّموا العلم وعلِّموه الناس، وتَعلَّموا الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم، وتواضعوا لمن تعلموه العلم، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم[٣].

قال علي بن أبي طالب:

لا يؤخذ على الجاهل عهد بطلب العلم حتى أُخذ على العلماء عهد ببذل العلم للجهال[٤].

۞ ومنها: أنَّ العلم مُهذِّبٌ للنفوس مُصلِحٌ للنيات؛ لكونه من العليم بالقلوب:

فعامة الأعمال تحتاج للنية الصالحة قبلها لتصلح الأعمالُ وتُقبل، لكن العلم هو الذي كثيرًا ما يهذب النية ويصلحها، فقد لا يُراد بالعلم ابتداءًا وجه الله، ثم يصبح بعد ذلك لله.

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٧٢٢).

(٢) أخرجه: الدارمى في سننه (٢/ ١١٣).

(٣) شعب الإيمان للبيهقى (٣/ ٢١٨).

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (١/ ٢٤١).

قال الثوري:

تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله[١].

قال الحسن البصري :

لقد طلب أقوام العلم ما أرادوا به الله ولا ما عنده قال: فما زال بهم العلم حتى أرادوا به الله وما عنده[٢].

قال عبدالله بن المبارك:

تعلمنا العلم للدنيا، فدلنا على ترك الدنيا[٣].

قال محمد بن الفضل السمرقندي:

كم من جاهل أدركه العلم فأنقذه، وكم من ناسك عمل عمل الجاهلية فأوبقه، احضر العلم وإن لم تحضرك النية، فإنما تطلب بالعلم النية[٤].

ومن أجل كل هذا كان العلم جامعًا لكل أعمال الخير وأعظمها.

قال معاذ بن جبل:

تعلموا العلم؛ فإنَّ تعلمه لله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار أهل الجنة، والأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى (٢/ ٢٣٧).

(٢)جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (٢/ ٥٢).

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٣٤).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٣٠١).

الأعداء، والدين عند الأجلاء، يرفع الله تعالى به أقوامًا، ويجعلهم في الخير قادة وأئمة، تُقتبَس آثارهم، ويُقتَدَى بفعالهم، ويُنتَهَى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، حتى الحيتان في البحر وهوامه، وسباع الطير وأنعامه، لأنَّ العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلم، يبلغ بالعلم منازل الأخيار، والدرجة العليا في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام، إمام العمال، والعمل تابعه، يُلهَمُه السعداء، ويُحرَمُه الأشقياء[1].

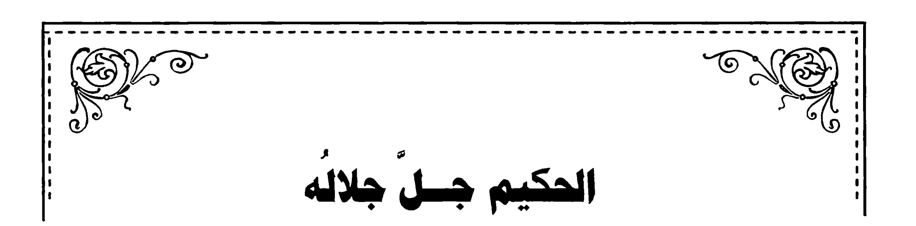
قال أبوبكر الآجري:

العلماء في كل حال لهم فضل عظيم، في خروجهم لطلب العلم، وفي مجالستهم لهم فيه فضل، وفي مذاكرة بعضهم لبعض لهم فيه فضل، وفيمن علَّموه العلم لهم فيه فضل، فقد جمع الله للعلماء الخير من جهات كثيرة[2].

---

(١) أخلاق العلماء للآجري (١/ ٢٤)، وحلية الأولياء لأبى نعيم (١/ ٢٣٨).

(٢) أخلاق العلماء للآجري (١/ ٣٢).



الحكيم جــلّ جلاله

الحكيم هو الذي يقضي ويقدر بالحكمة البالغة.

الحكيم الذي يقضي بالعدل ولا يظلم الحكيم أحدًا.

الحكيم هو الذي يضع الأشياء في مواضعها، ويقدرها بإحكام، ويوقعها على أحسن الوجوه.

الحكيم هو الذي يحكم بين عباده.

ولعظم الحكمة وفضلها ما وصف بها إلا ما كان له قدر ومكانة، فوصف الله تعالى كلامه بالحكمة والإحكام، فقال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود: ١]، وقال: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ [يس: ٢].

ووصف الوحي المنزل على نبيه ﷺ والسنة بالحكمة، فقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤﴾ [الأحزاب: ٣٤].

ووصف النبوة بالحكمة، فقال: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠﴾ [ص: ٢٠].

وأعطاها من شاء من أنبيائه وأوليائه ومدحه بذلك، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: ١٢].

بل وطلبها إبراهيم لذريته، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٩].

وجعل أفضل الأعمال لا تكون إلا بالحكمة ألا وهي الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

بل جعل ربنا تعالى من أوتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، قال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ومن أول ما أُعطي النبي ﷺ استعدادًا لأعباء الدعوة الثقيلة، ولقاء الله تعالى في المعراج أنِ امتلأ صدره بالحكمة، عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ﷺ، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى**

السماء الدنيا...»(١).

ومن أجل علو مكانتها وقدرها جعل النبي ﷺ الحسد والغبطة في شيئين: منهما الحكمة، قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهـو الحكـيم وذاك مـن أوصـافه ... نوعـان أيضًـا مـا همـا عـدمان

حُكْـم وإحكـام فكـل منهمـا ... نوعـان أيضًـا ثابتـا البرهـان(٣)

۞ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

جاء اسم الله الحكيم مقترنًا بكثير من الأسماء، منها:

☐ اسم الله العليم:

إذ العلم وسعته لا يصلح إلا إذا كان محاطًا بالحكمة، فلما كان علم الله واسعًا أحاط بكل شيء علمًا كانت حكمته تامة كاملة بالغة، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ٣٢]، فعند الحديث عن التوبة وأهلها وقبول الله للتائبين بين سبحانه أنه عليم حكيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [النساء: ١٧].

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

(٣) متن النونية لابن القيم (٢٠٥).

وعند الحديث على ما تحويه القلوب من خير ومن شر بين أنه عليم حكيم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٠) وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾ [الأنفال: ٧٠ - ٧١].

وعند مخالفة أمره والتحليل والتحريم من دونه بين أنه سيجزيهم وصفهم لأنه حكيم عليم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩)﴾ [الأنعام: ١٣٩]، وغيرها كثير.

❑ **اسم الله العزيز:**

إذ العزة بغير حكمة تؤدي إلى الظلم، واستخدام القوة والقهر في غير مواضعها، لذا فالعزيز القوي القاهر كان حكيمًا.

فعند أمره ونهيه يجمع الله تعالى بين العزة لتخويف عباده، والحكمة لطمأنة قلوبهم، وأنه لا يأمر وينهى عبثًا بل كله بحكمة بالغة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)﴾ [البقرة: ٢٤٠].

وعند بيان قدرته على الخلق والتصوير واختلاف الناس، بين أنَّ كل ذلك بعزته وحكمته، فقال ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦)﴾ [آل عمران: ٦].

وبين أنَّ إقامة الحدود وعقاب الجاني إنما هو بحكمته البالغة، كما هو

بقوته وعزته، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨].

بل هما أول اسمين خاطب الله تعالى بهما نبي الله موسى؛ إذ فيهما جماع ما يحتاجه الداعي إلى الله، والعامل لدينه أن يعلم أنَّ ربه قوي عزيز قاهر، فلا يَخَفْ، وأنَّه حكيم فيطمئنُّ لحكمه وقضائه، قال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [النمل: ٩].

واقترن اسم الله الحكيم بكثير من الأسماء الأخرى لما له من الأثر في تدبير الأمور وإحكامها مثل اسم الله الخبير، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

واقترن باسم الله التواب، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [النور: ١٠].

واقترن باسم الله العلي، قال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]، واقترن باسم الله الواسع، قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النساء: ١٣٠].

بل بين سبحانه وتعالى أنه ليس حكيمًا فقط، بل هو خير الحاكمين، فقال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأعراف: ٨٧].

بل هو أحكم الحاكمين، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين: ٨]؛ لذلك أنكر الله

تعالى على من اتخذ من دون الله تعالى حَكَمًا، قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٤].

☙◊❧



آثار الإيمان باسم الله «الحكيم»

منها: الثقة بالله وقضائه والتسليم له:

فإنَّ ذلك يورث العلم بأنَّ كل ما يقدره الله هو بحكمة بالغة ونفع عميم، لكن العبد لجهله، وقصر حكمته قد لا يفهم مراد الله، وحكمته من أفعاله، فعليه أن يُسلِّم ويرضى، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

فما هَدى من هَدى إلا بحكمة، وما أضل من أضل إلا بحكمة، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧].

وما أمرض من أمرض إلا بحكمة، وما عافى من عافى إلا بحكمة، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه**»[1]، ولَكَمْ عاقب أناسًا وقطع دابرهم بحكمته لمَّا علم أنه لا أمل في هدايتهم وما يستحقونها، وكل ذلك بحكمة.

ولَكَمْ أمهل أناسًا ارتكبوا الآثام والمعاصي، وأصروا عليها زمنًا لعلمه

---

(١) سبق تخريجه.

بصلاح قلوبهم، فأمهلهم ثم هداهم، وكل ذلك بحكمة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا جرى على العبد مقدورٌ يكرهه فله فيه ستة مشاهد:

أحدها: مشهد التوحيد، وأنَّ الله هو الذي قدره وشاءه وخلقه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

الثاني: مشهد العدل، وأنه ماض فيه حكمه، عدل فيه قضاؤه.

الثالث: مشهد الرحمة، وأنَّ رحمته في هذا المقدر غالبة لغضبه وانتقامه.

الرابع: مشهد الحكمة، وأنَّ حكمته سبحانه اقتضت ذلك، لم يقدره سُدًى، ولا قضاه عبثًا.

الخامس: مشهد الحمد، وأنه له سبحانه الحمد التام على ذلك من جميع وجوهه.

السادس: مشهد العبودية، وأنه عبد محض من كل وجه تجري عليه أحكام سيده وأقضيته[1].

❁ ومنها: الالتزام بحكم الله الشرعي:

فإنه شرع شرعه بحكمة بالغة في التشريع، فجعل قصصه أحسن القصص، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف: ٣].

وجعل نبأه وخبره الحق الذي لا مرية فيه، قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ٣٢).

ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

وجعل حكمه أحسن الحكم، قال تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

وهدايته وإرشاده يكون للطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

بل وإنه يهدي لأقوم طريق وأفضله، وأنفعه وأصلحه للعباد جميعًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩]؛ لذا نفى الله تعالى الإيمان عمن لم يقبل حكمه، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، وقال: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: ١١٤].

إذ إنَّ عدم الرضا بشرعه وأمره ونهيه، أو الطعن فيه، إنما هو في مضمونه طعن في حكمته، ووصف لها بالنقص والخلل، حاشاه سبحانه وتعالى؛ لذا ما جعل الله الحكم بين الناس لأحد؛ إذ إنَّ ترك حكم الله والذهاب لغيره إنما هو تركٌ لكمال الحكمة، وذهابٌ إلى نقصها وعورها؛ فمن أجل مصلحة العباد جعل الحكم له وحده؛ لأنه الحكيم، حتى النبي ﷺ ما أُذن له أن يحكم بين الناس بهواه أو بما يراه، مع أنه أكملُ البشر صفةً، وأرجحهم عقلًا، وأكثرهم حكمةً، لكن قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ

ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩].

إنه حكيم في تشريعه وأمره ونهيه كما هو حكيم في قضائه وقدره.

۞ ومنها: تعلم الحكمة وتعليمها للناس:

إذ هي جامعة لكل سبل الخير، نافعة لكل من حصلها أو بذلها.

فالحكمة أفضل هدية، وجعلها النبي ﷺ جُلَّ الخير؛ إذ دعا بها لابن عمه وحبيبه ابن عباس، قال: «**اللهم علمه الحكمة**»(١).

وأوصى بها وهب بن منبه أبناءه فقال:

يابني عليكم بالحكمة، فإنَّ الخير في الحكمة كله، وتشرف الصغير على الكبير، والعبد على الحر، وتزيد السيد سؤددًا، وتُجلِس الفقير مجالس الملوك(٢).

عن أبي عبدالرحمن الهبلي أنه قال: ليس هدية أفضل من كلمة حكمة تهديها لأخيك(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٧٥٦).

(٢) أخرجه: الدارمى في سننه (١/ ١١٩).

(٣) أخرجه: الدارمي في سننه (١/ ١١٢).

بل وتعليم الحكمة قد يقي الناس من العذاب، فعن ثابت بن عجلان الأنصاري قال: كان يقال: إنَّ الله ليريد العذاب بأهل الأرض، فإذا سمع تعليم الصبيان الحكمة صرف ذلك عنهم. قال مروان يعني بالحكمة القرآن[١].

❁ ومنها: الأخذ بأسباب الحكمة:

❑ ومن ذلك أن يكون العبد من أهل القرآن: فإنَّ القرآن وصفه الله بالحكمة، فكل من التزمه واقترب منه أوتي من الحكمة على قدر قربه.

عن كعب قال:

عليكم بالقرآن، فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم[٢].

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا، محزونًا، حكيمًا، حليمًا، سكينًا[٣].

❑ **ومنها: مجالسة الحكماء:**

فإنَّ مجالسهم نعم المجالس.

قال عون بن عبدالله:

نعم المجلس مجلس ينشر فيه الحكمة، وترجى فيه الرحمة[٤].

وأوصى لقمان الحكيم ابنه، فقال:

يابني جالس العلماء، وزاحمهم بركبيك، فإنَّ الله يحيي القلوب بنور

---

(١) أخرجه: الدارمى في سننه (١٠/ ٢٧٢).

(٢) أخرجه: الدارمى في سننه (٤/ ٢٠٩٥)، وأبونعيم في حلية الأولياء (٥/ ٣٧٦).

(٣) أخرجه: ابن أبى شيبه في مصنفه (٧/ ٢٣١)، وأبونعيم في حلية الأولياء (١/ ١٢٩).

(٤) أخرجه: الدارمي في سننه (١/ ٩٩).

الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء(١).

□ ومنها: كثرة الصمت وقلة الكلام:

لذا رغَّب فيها النبي ﷺ، وجعلها من الإيمان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»(٢).

قال عمر بن عبدالعزيز:

إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس، فاقتربوا منه، فإنه يُلقِّن الحكمة(٣).

وقال وهب بن منبه:

أجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت(٤).

ومنها: أنَّ الهداية والضلال للعباد بحكمة بالغة:

فالهداية تكون بتوفيقه للمهتدين، وما اختارهم للهداية واختار الهداية لهم إلا بحكمة، وما سلب من سلب الهداية وقدر له الضلال إلا بحكمة بالغة، فعلى العبد أن يطلب من الله التوفيق بحكمته، وإذا رأى من أضل اللهُ فلا يَرتَبْ أو يشك في حكمه، بل يوقن تمام اليقين أنه ما أضلهم عبثًا، ولكن أضلهم

---

(١) موطأ مالك (٥/ ١٤٥٨)، والزهد لأحمد بن حنبل (١/ ١٠٧)، ومدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٢٦٢).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٨).

(٣) الصمت لابن أبى الدنيا (٦٥٢).

(٤) الصمت لابن أبي الدنيا (٦١٩).

بتمام حكمته.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

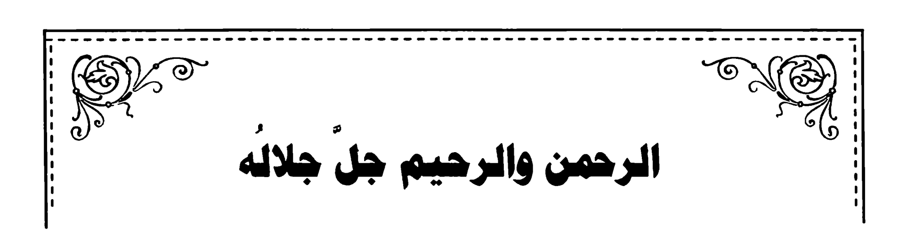
وقد أجمع العارفون على أنَّ كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبده، وأجمعوا أنَّ التوفيق أن لا يكلك الله لنفسك، وأنَّ الخذلان أن يخلي بينك وبين نفسك.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: إني لا أحمل هم الاجابة ولكن هم الدعاء، فإذا أُلهِمتُ الدعاء فإنَّ الاجابة معه.

وعلى قدر نية العبد، وهمته، ومراده، ورغبته فى ذلك يكون توفيقه سبحانه، وإعانته، فالمعونة من الله تنزل علي العباد علي قدر هممهم، وثباتهم، ورغبتهم، ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك، فالله سبحانه أحكم الحاكمين، وأعلم العالِمين، يضع التوفيق في مواضعه اللائقة به، والخذلان في مواضعه اللائقة به هو العليم الحكيم[١].

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ٩٧).



الرحمن والرحيم جلَّ جلالُه

اسم الله الرحمن، واسمه الرحيم وردا كثيرًا في كتاب الله تعالى ورودًا يتناسب مع سعة هذا الاسم، ومع شدة احتياج الناس إليه.

فاسم الله الرحمن معناه أنَّ ذاته سبحانه وتعالى متصفة بالرحمة.

أمَّا الرحيم هو الذي يرحم عباده، يرحم من يشاء، وقتما يشاء سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقال: ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة: ١١٧].

قال ابن منظور :

والرحمن خاص بالله لا يسمى به غيره ولا يوصف، والرحيم يوصف به غير الله تعالى يقال رجل رحيم، ولا يُقال رحمن[1].

وقال الخطابي:

فالرحمن ذو الرحمة الشاملة للخلق، والرحيم خاص بالمؤمنين، قال الله تعالى: «**وكان بالمؤمنين رحيمًا**»[2].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٢٣٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٣٥).

❁ **الأدلة الدالة على هذين الاسمين:**

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة: ٣٧]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾ [هود: ٩٠]،وقد اقترن هذان الاسمان ببعضهما كما في الفاتحة﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ [الفاتحة: ٣]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾ [النمل: ٣٠]، وقوله ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

خصائص صفة الرحمة:

❁ **رحمة الله تعالى واسعة وعامة:**

قال الله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦].

فعلم الله الواسع الذي لا يخفى عليه شيء قرن مع رحمة الله الواسعة التي لا يستغنى عنها شيء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر: ٧].

عن أبي سلمة: أنَّ أبا هريرة قال: أقام رسول الله ﷺ الصلاة وقمنا معه فقال أعرابي في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا، فلما

سلم رسول الله ﷺ قال للأعرابي: «**لقد تحجرت واسعًا**» يريد رحمة الله[١]، ومِن سعتها أنَّ كل أفعاله سبحانه فيها بعض آثار هذه الرحمة، حتى ما أُعِدَّ للعذاب كالنار، فقد جعل الله تعالى رحمة في خلقها بأن يخوف بها عباده ليرجعوا إليه.

قال سفيان بن عيينة:

خلقت النار رحمة يخوف الله عباده لينتهوا[٢].

❁ رحمة الله تعالى عظيمة، فإنها أعظم من رحمة الأم بولدها:

إنَّ تصور عظم رحمة الله تعالى أمر لا يطيق العقل إدراكه، ولا يقدر على تصوره، لكن يضرب النبي ﷺ لذلك مثلًا لتقريب الصورة لأصحابه، بأقصى صورة يستطيع العبد أن يتصور فيها الرحمة، فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذ وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ : «**أترون هذه طارحة ولدها في النار**»، قلنا: لا وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «**لَلَّهُ أرحم بعباده من هذه بولدها**»[٣].

لذا خلق الله الرحمة مائة جزء، جعل منها جزءًا في الدنيا، فبها يعطف الكبير على الصغير، وبها ترحم الأم ولدها، وبها ترفع الدابة حافرها عن صغيرها، هذه رحمة من مائة رحمة، عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين**

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٠١٠).

(٢) أخرجه: أبونعيم في الحلية (٧/ ٢٧٥).

(٣) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة»(١).

ولكن هذه ليست صفة الرحمة؛ لأنَّ صفة الرحمة ليست مخلوقة، فصفات الله ليست مخلوقة، ولكن الله خلق رحمةً في قلوب العباد، فقسمها مائة جزء، الجزء الذي يتراحمون به في الدنيا جزء من مائة رحمة مخلوقة، فما بالك بصفة الرحمة، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: **«لو تعلمون قدر رحمة الله لاتكلتم عليها، وما عملتم إلا قليلًا»**(٢).

۞ ومن خصائص صفة الرحمة: أنها لا يحجبها شيء:

مهما كانت القوة، ومهما كان الحاجب لا يستطيع أن يحجب رحمة الله، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢].

فأصحاب الكهف لم يجدو الراحة والسعادة في قصورهم، ووجدوها في الكهف المظلم، الكهف الصلد الخشن، تغيَّر كل ذلك لمَّا حلَّت في الكهف رحمة الله؛ لذلك قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الكهف: ١٦].

الكهف الصغير الضيق تُنشر فيه الرحمة فيصير فضاءًا واسعًا.

الكهف الصلد الخشن تُنشر فيه رحمة الله فيصير رقيقًا لينًا.

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٧٥٣).

(٢) زوائد البزار للهيثمي (٤/ ٨٥)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢١٦٧).

الكهف المظلم المخيف تُنشر فيه رحمة الله فيصير مضيئًا آمنًا.

إنها آثار رحمة الرحمن الرحيم.

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللهُ:

ورحمة الله عز وجل رحمة عامة وتامة، أما تمامها فمن حيث إنه أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها، وأما عمومها فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق، وعم الدنيا والآخرة(١).

❁ رحمة الله لعباده ليست عن ضعف ولا عجز ولا حاجة:

لذا قرنها الله مع الصفات الدالة على الملك والهيمنة والعزة، فقال تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ [آل عمران: ١٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء: ٩].

وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣].

فرحمة الله لخلقه ليست عن ضعف أو عجز، بل مع القوة والهيمنة والعزة، وهذا بخلاف الرحمة في قلوب المخلوقين، فإنها مع أنها من صفات المحامد، لكنها تكون عن ضعف من المخلوق، فيرحم بعضهم بعضًا لأنه يتألم لحالهم، وكذلك رحمة الله لعباده ليس له فيها نوع مصلحة البتة،

---

(١) المقصد الأسني للغزالي (١/ ٦٢).

بخلاف المخلوق، فإنَّ له في رحمة غيره نوع مصلحة أنه يدفع عن نفسه تألمها، أمَّا الله عز وجل فلا مصلحة له في رحمة عباده، إنما هي مصلحتهم الخالصة.

❁ ومن خصائصها: أنها سبقت غضبه:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إنَّ رحمتي سبقت غضبي**»(١).

❁ ومن خصائصها: أنها مكتوبة على الله تعالى:

كتبها ربنا على نفسه، مع أنه لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، ولا يُفرَض ولا يُكتَب عليه شيء، لكن كتب هو على نفسه الرحمة، قال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢].

❁ ومن خصائصها: أنها أعظم جزاء من الله تعالى:

لذا إذا عظم العمل جعل الله المكافأة عليه بالرحمة.

فجعل الرحمة جزاء الجهاد في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٥ - ٩٦].

وجعل الرحمة جزاء المهاجرين، قال تعالى: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء: ١٠٠].

وجعل الرحمة جزاء الشهادة، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٧].

وجعل الرحمة جزاء الصابرين على المصائب والابتلاء، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٦ - ١٥٧].

وجعلها جزاءًا لمن فر بدينه وترك متاع الحياة الدنيا، قال تعالى عن أهل الكهف ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الكهف: ١٦].

وجعلها جزاءًا للمتمسك بدينه المعتصم به، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [النساء: ١٧٥].

وجعلها جزاءًا لمن جمع الإيمان، والهجرة، والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [التوبة: ٢٠ - ٢١].

وجعلها جزاءًا للمتسامح في بيعه وشرائه واقتضائه، عن جابر: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**»(١).

---

(١) أخرجه: البخاري (٢٠٧٦).

وجعلها جزاءً لقيام الليل والناس نيام، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت رش في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى رشت في وجهه الماء**»(١).

❑ **هل تتعارض رحمة الله مع ابتلائه لخلقه، وعباده الصالحين؟**

الجواب عن ذلك: أنَّ الله تعالى ما ابتلى عباده الصالحين إلا ليرحمهم سبحانه وتعالى.

وفي الابتلاء رحمات كثيرة لا يعلمها كثير من الناس منها:

بالابتلاء يرفع الله الدرجات ويكفر السيئات.

وبالابتلاء يتخذ من الناس شهداء.

وبالابتلاء يعلم الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق.

وبالابتلاء تتربى الأجيال على التحمل والبذل والتضحية، وغير ذلك.

والواقع يشهد بذلك، فقد يكون الإنسان مريضًا، فإذا عالجه الطبيب شكر له، حتى وإن كان العلاج مُرًّا، وقد يكون هذا العلاج بإسالة دم، أوشدة ألم ومشقة، أو ببتر عضو، لكنه يَحمَد له ذلك، ويرى أنَّ ذلك رحمة منه.

ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض.

بل لعظمها قد يطمع فيها العصاة في الدنيا، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كان رجلان من بني إسرائيل متواخيين أحدهما مجتهد**

---

(١) أخرجه: أبوداود (١٣٠٨)، والنسائي (١٦١٠)، وابن ماجه (١٣٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٩٣).

في العبادة، والآخر مذنب، فأبصر المجتهدُ المذنبَ على ذنب، فقال له: أقصر، فقال له: خلني وربي، قال: وكان يعيد ذلك عليه، ويقول: خلني وربي حتى وجده يومًا على ذنب فاستعظمه، فقال ويحك أقصر، قال: خلني وربي أَبُعِثتَ عليَّ رقيبًا؟ ! فقال: والله لا يغفر لك أبدًا، أو قال: لا يدخلك الله الجنة أبدًا، فبعث إليهما ملك، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عنده جل وعلا، فقال ربنا للمجتهد: أكنت عالمًا، أم كنت قادرًا على ما في يدي، أم تحظر رحمتي على عبدي؟ اذهب إلى الجنة يريد المذنب، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار فوالذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»[1].

❁ رحمة الله لعباده يوم القيامة:

ومن آثار الرحمة في الآخرة ألَّا يدخل الجنة أحد بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته؛ لأنَّ العمل مهما عظم لا ينجي صاحبه؛ إذ كل عمل العبد لا يؤدي الشكر الذي يليق بنعمة واحدة من نعم الله تعالى عليه. فكيف يدخله الجنة؟!

□ ما حال أهل النار مع الرحمة؟

أهل النار بعدما دخلوا النار هل انقطعت بهم الرحمة أم مازال لهم نصيب من رحمته؟

نعم تتغمد الرحمة بعضهم وقتًا ما.

فهناك الشفاعة بعدما يدخلون النار ويصيرون فحمًا قد امتحشوا ثم تنالهم الرحمة، فيأمر الله تعالى الشفعاء أن يشفعوا، فيأتي الأنبياء والصديقون

---

(١) أخرجه: أحمد (٢/ ٣٢٣)، وأبوداود (٤٩٠١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٥٥).

والشهداء والملائكة يشفعون،قال رسول الله ﷺ:«**شفاعتي لأهل الكبائر**»[١]

فيُخرج الشفعاء من النار أناسًا كثيرين، وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ«...، **ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من خيرٍ فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون لم نذر فيها خيرًا**»

وكان أبوسعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم «**إن الله لا يظلم مثقال ذرةٍ وإن تك حسنةً يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا**»[٢].

ويبقى أناس في النار، يكون عملهم قليلًا جدًّا لا تقوى شفاعة الشفعاء أن تخرجهم؛ لذلك فالله تبارك وتعالى يقول: «**شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط**»[٣].

يالها من رحمة عظيمة!

ويوم القيامة يطمع أهل الكفر والضلال في رحمته، بل وإبليس نفسه يطمع فيها؛ لما يرى من سعة الرحمة يومئذ، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ «**والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه**»[٤].

---

(١) أخرجه: أحمد (٣/ ٢١٣)، وأبوداود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٦)، وابن ماجه (٤٣١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧١٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣).

(٣) أخرجه: مسلم.

(٤)أخرجه: الطبراني في الكبير(٣/ ١٦٨)، والأوسط(٥/ ٢٥٠)، وقال الهيثمى وفي إسناد الكبيرسعد بن طالب أبوغيلان وثقه ابن حبان وأبو زرعة، وفيه ضعف وبقية رجال

❁ أناس حُرموا من هذه الرحمة:

ومع عظم هذه الرحمة وسعتها تجد أناسًا أشقياء حُرموا من هذه الرحمة، عن أبى هريرة قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول «**لا تُنزَع الرحمة إلا من شقى**»(١).

مثل مَن؟

❑ عن أبي هريرة قال: قَبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسٌ، فقال الأقرع بن حابس إنَّ لي عشرةً من الولد ما قبَّلتُ منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال «**من لا يَرحم لا يُرحم**»(٢)، فالله تعالى يحب الرحمة ويحب عباده الرحماء.

❁ ومن هؤلاء المحرومين من الرحمة:

أناس يعذبون الناس بغير حق، فهؤلاء يحرمون من الرحمة، عن أبي مسعود البدري قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي «**اعلم أبا مسعود**» فلم أفهم الصوت من الغضب، قال فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: «**اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود**» فألقيت السوط من يدي، فقال: «**اعلم أبا مسعودٍ أنَّ الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**» قال: فقلت لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا، وفي حديث جرير: فسقط من يدي السوط من هيبته، وفي حديث أبي معاوية: فقلت: يا رسول الله هو حرٌّ

الكبير ثقات انظر مجمع الزوائد (١٠/ ٣٦٤).

(١) أخرجه: أحمد (٢/ ٤٤٢)، وأبوداود (٤٩٤٢)، والترمذي (١٩٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٦٧).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

لوجه الله، فقال «**أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار**»(١).

بل ومن رحمته سبحانه وتعالى وحبه للرحمة، أنه قد عاتب نبيًّا في تعذيبه النمل لما أحرق وادي النمل، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قرصَتْ نملةٌ نبيًّا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأُحْرِقَت، فأوحى الله إليه أن قرصتك نملةٌ أحرقتَ أمةً من الأمم تسبح**»(٢).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**نزل نبيٌّ من الأنبياء تحت شجرة، فلدغِته نملةٌ، فأمر بجهازه فأخرِج من تحتها، ثم أمِر ببيتها فأحرق بالنار، فأوحى الله عز وجل إليه، فهلَّا نملةً واحدةً**»(٣).

وأدخل الله تعالى امرأة النار في تعذيب هرة، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن النبي ﷺ قال «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**»(٤).

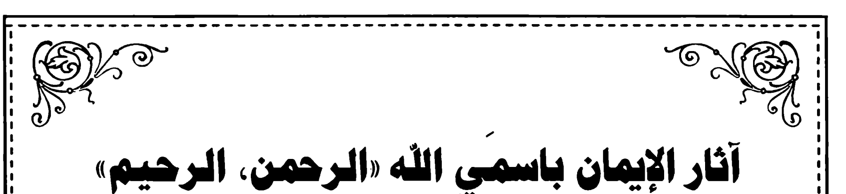
---

(١) أخرجه: مسلم (١٦٥٩).

(٢) أخرجه: البخاري (٣٠١٩).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٣١٩)، ومسلم (٢٢٤١).

(٤) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٢٤٢).



آثار الإيمان باسمَيِ الله «الرحمن، الرحيم»

❁ منها: عدم اليأس من رحمة الله تعالى:

فإنها واسعة وسعت كل شيء حتى من يعصيه ويتعدى حدوده، بل ومَن أسرف على نفسه في المعاصي، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]، بل إنَّ الله يُطَمِّع فيها مَن أجبَرَ جواريَهُ على البغاء يومًا، قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [النور: ٣٣].

فلم يقل ومن يكرههن فإنَّ الله عزيز حكيم، أو فإنَّ الله شديد العقاب، بل قال «**فإنَّ الله من بعد إكراههن غفور رحيم**»؛ لذا لما طُلِبَ من النبي ﷺ أن يدعو على المشركين قال «**إني لم أبْعَث لعانًا، وإنما بُعِثت رحمة**»(١).

❁ ومنها: لزوم التعرض للرحمة وطلبها في مواطنها:

ومن ذلك:

❑ كن رحيمًا بالخلق يرحمك الله، عن أسامة قال: كان ابنٌ لبعض بنات النبي ﷺ يقضي، فأرسلت إليه أن يأتيها فأرسل «**إنَّ لله ما أخذ، وله ما أعطى،**

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٥٩٩).

وكلٌّ إلى أجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب»، فأرسلت إليه فأقسمت عليه، فقام رسول الله ﷺ، وقمت معه ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وعبادة بن الصامت، فلما دخلنا ناولوا رسول الله ﷺ الصبي، ونفسه تقلقل في صدره، حسبته قال: كأنها شنة، فبكى رسول الله ﷺ، فقال سعد بن عبادة: أتبكي؟ فقال «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[1].

وقال رسول الله ﷺ:«**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن فى الأرض يرحمكم مَن فى السماء، الرحم شجنة من الرحمن، فمَن وصلها وصله الله، ومَن قطعها قطعه الله**»[2].

وجعل التراحم مما يُمَيَّز به المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ «**مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[3].

وقال: «**ارحموا تُرحموا**»[4]، وقال: «**مَن لا يَرحم لا يُرحم**»[5].

قال ابن بطال في تعليقه على حديث «**مَن لا يَرحم لا يُرحم**» :

فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن،

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣).

(٢) أخرجه: أبوداود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٢٢).

(٣) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٤) أخرجه: أحمد (٢/ ١٦٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٩٧).

(٥) سبق تخريجه.

والكافر، والبهائم المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسعي، والتخفيف في الحمل، وترك التعدي بالضرب[١].

وعلق النبي ﷺ الإيمان على هذه الرحمة فقال: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا، قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم، قال: إنه ليس برحمة أحدكم ولكن رحمة العامة رحمة العامة**»[٢].

ونفى كمال الإيمان عمن لا يرحم الصغير المحتاج للرعاية والرحمة، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا**»[٣].

بل أمر بالرحمة بالضعفاء حتى عند العبادة والصلاة، فأمر بالتخفيف من أجلهم، عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإنَّ فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء**»[٤].

وكان ﷺ يريد التطويل في الصلاة، فإذا سمع بكاء الصبي خفف، عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إني لأقوم في الصلاة وأنا أريد أن أُطَوِّل فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز كراهية أن يشق على أمه**»[٥].

بل وأمر ﷺ برحمة الحيوان، عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٤٠).

(٢) أخرجه: الحاكم (٤/ ١٨٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٥٣).

(٣) أخرجه: أبو داود (٤٩٤٣)، والترمذي (١٩٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٤).

(٤) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٧٠٣)، ومسلم (٤٦٧).

(٥) أخرجه: البخاري (٨٦٨)، ومسلم (٤٧٠)، واللفظ للبخاري.

ﷺ ذات يوم خلفه، فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أخبر به أحدًا أبدًا، وكان رسول الله ﷺ أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل، فدخل يومًا حائطًا من حيطان الأنصار، فإذا جمل قد أتاه، فجرجر وذرفت عيناه، قال بهز وعفان: فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه، فمسح رسول الله ﷺ سراته وذفراه، فسكن، فقال: «**مَن صاحب الجمل؟**» فجاء فتى من الأنصار، فقال: هو لي يا رسول الله، فقال: «**أما تتقى الله في هذه البهيمة التي ملككها الله، إنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه**»(١).

عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش (أي تفرش جناحيها وتقرب من الأرض)، جاء النبي ﷺ، فقال: «**مَن فجع هذه بولدها رُدُّوا ولدها إليها**»(٢).

حتى عند الذبح أمر بالرحمة بالحيوان، عن شداد بن أوس قال: ثنتان حفظتهما من رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، لِيُحِدَّ أحدكم شفرته، ولْيُرِحْ ذبيحته**»(٣).

❑ تمسكْ بأمر الله، والزم تقواه يرحمْك الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥].

❑ راقب الله في عملك وقولك وكن من المحسنين يرحمْك الله تعالى،

---

(١) أخرجه: أحمد (١/ ٢٥٠)، وقال الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في الصحيحة (١/ ٢٠).

(٢) أخرجه: أبوداود (٢٦٧٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٨٧).

(٣) أخرجه: مسلم (١٩٥٥).

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦].

❁ ومن آثاره أيضًا: أنَّ يكون العبد واصلًا لرحمه بارًا بها:

فإنَّ الله اشتق اسمها من اسمه، عن عبد الرحمن بن عوف قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله أنا الرحمن، وهي الرحم شققت لها اسمًا من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها بتته**»(١).

❁ ومنها: الرضا بقضاء الله وقدره والصبر على المصائب:

وليعلم العبد أنَّ ربه رحيمٌ، وما قدر البلاء له ليعذبه، بل قد يكون ذلك رحمة به، يكفر سيئاته، ويغفر ذنوبه، ويهون عنه كثيرًا من أهوال القيامة، ويرفع درجاته، بل قد يمنعه من متاع كثير من الدنيا رحمة به ورأفة.

قال ابن القيم رحمه الله:

ومن رحمته أن نَغَّص عليهم الدنيا وكَدَّرها لئلا يسكنوا إليها، ولا يطمئنوا إليها، ويرغبوا عن النعيم المقيم في دار جواره، فساقهم إليها بسياط الابتلاء والامتحان فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم»(٢).

❁ ومنها: أنَّ التعرض لرحماته إنما هو إدامة الصلة به:

ولا بد للعبد من بقاء الحبل موصولًا بينه وبين ربه؛ لأنَّ الرحمة هي الحبل الموصول بين الله وبين خلقه، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

---

(١) أخرجه: أبوداود (١٦٩٤)، وصححه الألباني في صحيح أبى داود (١٤٨٧).

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ١٧٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

الرحمة سبب واصل بين الله- عز وجل- وبين عباده، به أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها يسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم، فبينهم وبينه سبب العبودية، وبينه وبينهم سبب الرحمة(١).

❁ ومنها: الشكر له ومحبته؛ إذ إنَّ كل الخيرات من آثار رحمته:

فكل عطاء يرجع إلى رحمته، وكل رزق وعافية ونصر وهداية وغيرها كلها من آثار رحمته، فله الحمد والشكر والثناء؛ لذا سمى الله الرزق رحمة، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ١٠٠].

وسمى المطر رحمة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨]، وغيرها كثير.

❁ ومنها: المغفرة ومحو الذنوب والخطايا والآثام:

لقد اقترن اسم الله الغفور، واسمه التواب باسمه الرحيم كثيرًا، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٦٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٥).

[البقرة: ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧].

وهذا دليل على شدة ارتباط الرحمة بالمغفرة والتوبة، وأنَّ التوبة على العباد ومغفرة ذنوبهم من آثار رحمته.

❁ ومنها: الطلب الدائم لرحمة الله تعالى:

إذ كل خيرونجاة في الدنيا والآخرة إنما هو من آثار الرحمة؛ لذا أمر النبي ﷺ بالدعاء بها للأحياء والأموات؛ إذ إنها لا يستغني عنها حي ولا ميت، فأمر بالدعاء بها لمَن عطس أن يُشمَّت، ويقال له يرحمك الله، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم**»(١).

وكان هو دعاء النبي ﷺ لمن مات قبل أن يدفن، عن عوف بن مالك قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة، فحفظت من دعائه، وهو يقول: «**اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقِّه من الخطايا كما نقَّيتَ الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله**

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٢٢٤).

دارًا خيرًا من داره، وأهلًا خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر - أو من عذاب النار-» قال: فتمنيت أن أكون أنا ذلك الميت[(١)]، وجعلها ﷺ دعوة دائمة للأموات، كلما دخل الإنسان المقابر، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت كيف أقول يا رسول الله، قال: قولي **«السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»**[(٢)]، بل وجعلها الله تعالى دعوة الملائكة لعباده الصالحين الدائمين على الطاعة والعبادة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مجلسه، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ما لم يحدث، وأحدكم في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه»**[(٣)].

❁ ومنها: أنَّ العبد عليه أن يتخفف من الدنيا ليزداد من رحمة الله:

فكلما ضعف تعلق العبد بالدنيا، وازداد تعلقه بالآخرة زاد نصيبه من رحمة الله تعالى؛ لذا جعل النبي ﷺ نصيب من يحلق رأسه في الحج والعمرة من الدعاء بالرحمة أكثر من نصيب من يقصر؛ ذلك لأنَّ من يقصر عنده بعض التعلق ببعض متاع الدنيا، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون، فقال رسول الله ﷺ **«يرحم الله المحلقين»**، قالوا: يا رسول الله والمقصرين، قال: **«يرحم الله المحلقين»**، قالوا: يا رسول الله والمقصرين، قال: **«يرحم الله المحلقين»**، قالوا: يا رسول الله والمقصرين، قال:

---

(١) أخرجه: مسلم (٩٦٣).

(٢) أخرجه: مسلم (٩٧٤).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩)، واللفظ له.

«والمقصرين»(١).

۞ ومنها: ملازمة الهدى، واتباع نهج المصطفى ﷺ:

فكلما كان العبد أكثرَ اتباعًا للنبي ﷺ، وملازمة لسنته كان نصيبه من رحمة الله أكبر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه الرحمة التي تحصل للمهتدين تكون بحسب هداهم، فكلما كان نصيب الواحد من الهدى أتم كان حظه من الرحمة أوفر، فتجد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا أرحم الأمة كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

والصِّدِّيق أرحم الأمة بالأمة، فقد جمع الله له بين سعة العلم وسعة الرحمة، وهكذا الرجل كلما اتسع علمه اتسعت رحمته(٢).

۞ ومنها: أنه يورث المحبة لله تعالى:

وذلك لما يرى من عظيم مَنِّه، وسعة رحمته وكل فضل ونعمة وعطاء من آثار رحمته، وأن رحمته الواسعة شملت العبد قبل أن يعمل بمقتضاها، وقبل طلبه لها، وبعد ذلك.

---

(١) أخرجه: البخاري (١٧٢٧)، ومسلم (١٣٠١).

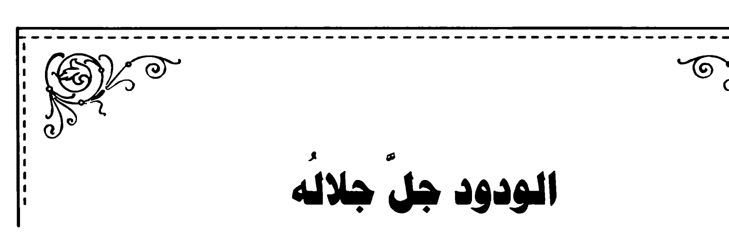
(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ١٧٣).

قال عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اللهم إن لم أكن أهلًا أن أبلغ رحمتك، فإنَّ رحمتك أهل أن تبلغني، رحمتك وسعت كل شيء، فلتسعني رحمتك ياأرحم الراحمين، اللهم إنك خلقتَ قومًا فأطاعوك فيما أمرتَهم، وعملوا في الذي خلقتَهم له، فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك ياأرحم الراحمين»[(١)].

ജ◊ഇ

(١) أخرجه: أبونعيم في الحلية (٥/ ٢٩٨).



الودود جلّ جلاله

الودود هو الحبيب إلى عباده.

الودود هو المُحِبُّ لعباده.

الودود هو الذي يتودد إلى عباده بصنوف الإنعام والمنن.

الودود هو الذي يحب الود والتراحم والتعاطف.

الودود هو المحب الخير لعباده، ويكره لهم العنت والشر.

الودود هو الذي ينشر الود والمحبة والألفة بين عباده الصالحين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو الودود يحبهم ويحبه ... أحبابُه والفضل للمنان

وهو الذي جعل المحبة في قلو ... بهم وجازاهم بحب ثان

هذا هو الإحسان حقًّا لا مُعا ... وَضَةً ولا لتوقع الشكران

لكن يحب شكورهم ... لا لاحتياج منه للشكران[1]

۞ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البروج: ١٤].

---

(١) متن النونية لابن القيم (٢٠٨).

واقترن اسم الودود في القرآن باسمين وهما اسم الله الغفور، واسم الله الرحيم وكفى بهما للعبد.

فالودود يغفر الذنوب، والودود يرحم عباده ويتودد لهم.

وهل يريد العبد مغفرة الذنوب ورحمة الله فقط؟

نعم؛ لأنَّ الذنوب تفسد على العبد حياته ودنياه وآخرته، فقد يُحرم الرزق بالذنب يصيبه، ويُحرم العلم بالذنب يصيبه، ويُحرم الولد بالذنب يصيبه، وتتنزل عليه البلايا بالذنب يصيبه، ويُحرم الصالحات والتوفيق بالذنب يصيبه، وتتكدر عليه حياته وتصبح ضنكًا بالذنب يصيبه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

وقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران:١٦٥]؛ لذا إذا غفر الله له فقد رحمه.

وإن رحمه فتح عليه كل البركات، وكل هذا من آثار وُدِّه، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

❀◊❀



آثار الإيمان باسم الله «الودود»

❁ **منها: المحبة والشكر للودود سبحانه:**

فالتعرف على مدى وُدِّ الله لعباده وإكرامه لعباده يورث في القلب محبة لله، وشكرًا له، واعترافًا بالتقصير والتفريط، إذ إنَّ الملك الخالق الرزاق الغني يتودد لعباده، ويدعوهم لحبه، وللفوز بمحبته لهم، لذا كانت صفات العطاء والرحمة والتوبة أكثر من صفات العقاب والانتقام والعذاب، إنَّ كل هذا من آثار وده.

❁ **ومنها: أنَّ رضا الله الودود قريب وليس بعيداً عن العبد:**

وما على العبد إلا أن يخلص النية في طلب الرضا؛ إذ إنك تطلب رضا الودود الذي يحبك ويحب لك الخير، فقد يرضى عنك بفعل قليل في نظرك ولا عنت فيه، عن عائشة: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**»(١)،فهو سبحانه وتعالى يتودد لعباده، فيقول تسوكوا ياعبادي أرض عنكم.

ويرضى عنك بفعلٍ أردت به وجه الودود ولم ترد وجه الناس وهذا هو سر مغفرة الله للبغي الذي سقت كلبًا، وغفر لها بعد طول بغاء وفساد؛ إذ إنها

---

(١) أخرجه: النسائى (٥)، وابن حبان (٣/٣٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٩٥).

سقت كلبا[1] شفقة به ولم يرها أحد، ولم يعلم بحالها أحد، وما تنتظر من المخلوق مكافأة ولا جزاء، فعُلم أنها ما أرادت بذلك إلا وجه الله، فنالت وُدَّ الله ورضاه بسقيها لكلب، إنَّ الله ودود يتودد إلى عباده.

۞ ومنها: أنَّ الودود ليس ودودًا بالطائعين فقط بل ودودٌ بالعصاة المذنبين:

كالمحب يحلم على أحبابه، يعصونه وهو يدعوهم إلى التوبة، يتمادون ولا يلتفتوا وهو يمهلهم، أسرفوا على أنفسهم، ويكلمهم بلغة الحنو والود والمحبة، يقول ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

فلم يقل أيها العصاة المذنبون المخطئون، وإنما قال «**ياعبادي**»، ولم يقل يامَن فعلتَ الصغائر، أو يامَن عصيت وأذنبت، بل قال «**أسرفوا على أنفسهم**»، ومع إسرافهم على أنفسهم بالمعاصي والذنوب يتودد إليهم لكي لا يقنطوا من رحمته، فقال: «**لا تقنطوا من رحمة الله**»، بل يزيد سبحانه في وُدِّه، ويطمئن قلوبهم أنَّ هذا ليس خاصًّا بأحد ولا بذنب معين، بل إنه «**يغفر الذنوب جميعًا**».

۞ ومنها: أنَّ الله الودود يحب الوُدَّ:

فبنى أسس الحياة علي الوُدِّ والوِداد، فمنَّ به على الزوجين؛ إذ الحياة بينهما لا تقوم إلا بمحبة وود، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

وأمر بالزواج من المرأة الودود فإنه بودها تستقيم كثير من الأمور،

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

وتنجلي كثير من المعضلات، عن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أصبتُ امرأةً ذات حسب ومنصب إلا أنها لا تلد أفأتزوجها؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فنهاه، فقال «**تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم**»(١).

وتفضَّلَ بالوُدِّ والألفة على عباده الصالحين فألف بين قلوبهم، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٣]، ويجعل لهم ودًّا زائدًا وخاصًّا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦].

ومنها: أن يكون المسلم ودودًا:

فمِن شُكرِ نعمة الله على وده لنا، ولطفه وحلمه بنا، أن يكون المسلم ودودًا مع أخيه المسلم، يفرح بفرحه، ويحزن بحزنه، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ «**مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٢)، فوصفهم النبي ﷺ بالإيمان، وشبههم بالجسد الواحد الذي يتألم عضو منه لألم أبعد الأعضاء عنه، وجعل للإسلام مودة بين أفراده، وهي من أعظم المنن على المجتمع المسلم، عن أبي سعيد قال خطب رسول الله ﷺ الناس، وقال: «**إنَّ الله عز وجل خَيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله**» قال: فبكى أبوبكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد

---

(١) أخرجه: أبوداود (٢٠٥٢)، والنسائي في سننه (٣٢٢٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

(٢) سبق تخريجه.

خُيِّرَ، فكان رسول الله ﷺ هو المُخَيَّر، وكان أبو بكر أعلمَنا، فقال رسول الله ﷺ **«إنَّ أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد بابٌ إلا سد إلا باب أبي بكر»**[١]، لذا أمر النبي ﷺ مَن أحب أحدًا أن يخبره؛ لأنه بذلك تنتشر الألفة والمودة، فيصلح المجتمع، عن أنس: أنَّ رجلًا قال يا رسول الله إنى أحب فلانًا فى الله، قال: **«فأخبرتَه؟»** قال: لا، قال: **«قم فأخبره»** قال: فأتيته، فقلت: إنى أحبك فى الله يافلان، فقال: أحبك الله الذى أحببتنى له[٢].

ولذلك إذا أحب الله عبدًا كافأة أعظم مكافأة، ألا وهي نشر القبول له في الأرض، وبذلك ينشر له الوُدَّ بين الناس، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال **«إذا أحب الله العبد نادى جبريل إنَّ الله يحب فلانًا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء إنَّ الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»**[٣]، ولحسن هذا العطاء وعظمه طلبه أبوهريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له، ولأمه عند دخول أمه الإسلام، فدعا بها النبي ﷺ لهما، عن أبي هريرة قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى، فدعوتها، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ **«اللهم اهد أم أبي هريرة»**، فخرجتُ مستبشرًا بدعوة النبي ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف، فسمعَتْ أمي خشفة قدمي، فقالت مكانك يا أبا هريرة، وسمعتُ خضخضة

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

(٢) أخرجه: أبوداود (٥١٢٥)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبى داود.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧).

الماء، فاغتسلَتْ ولبسَتْ درعَها، وعجلَتْ عن خمارها، ففتحَتِ الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيتُه، وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك، وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله، وقال خيرًا، قال: قلت: يارسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ «**اللهم حبب عُبَيدَك هذا - يعنى أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهما المؤمنين**» فما خُلق مؤمنٌ يسمع بي، ولا يراني إلا أحبني[1]، بل من وده سبحانه لمن أحبه أن يجعل المحبة والألفة له عند الجمادات، فعن أبي حميد عن النبي ﷺ قال: «**أحدٌ جبلٌ يحبنا ونحبه**»[2].

والمودة أقوى الوشائج والروابط، فهي كالقرابة أوأوثق.

قال الحسين بن عبدالرحمن: كانوا يقولون المودة قرابة مستفادة[3].

بل قيل : القرابة تحتاج إلى مودة، والمودة لا تحتاج إلى قرابة[4].

❁ ومنها : البعد عما يحرمنا من ود الله تعالى بنا :

فإنَّ نزع الود دليل البغض والغضب، ولذلك كافأ الله أحبابه المؤمنين بالود والمحبة بينهم، بينما عاقب المشركين والمنافقين بأن جعل بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، فقال عن المؤمنين ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٤٩١).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٤٤٢٢)، ومسلم (١٣٩٢).

(٣) الإخوان لابن أبى الدنيا (٧٦).

(٤) إحياء علوم الدين (٢/ ١٨٥).

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وقال عن النصارى ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المائدة: ١٤].

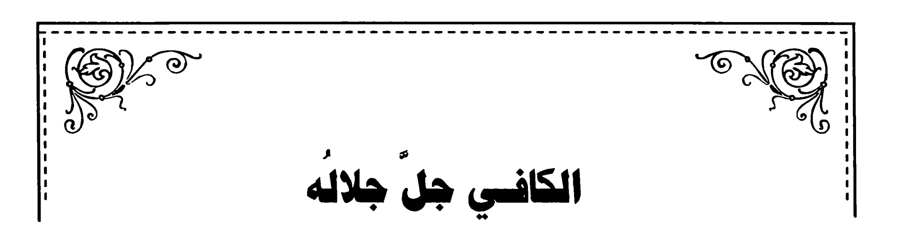
وقال عن اليهود ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة: ٦٤].

❁ ومنها: الود والمحبة لأهل الفضل:

فإذا كان الله ودودًا لعباده، وهو صاحب الفضل والمنة عليهم، فمن باب أولى أن يكون العبد وادًّا ومحبًّا لأهل الفضل، والخير عليه؛ لذا أمر الله ببر الوالدين وودهما في حياتهما وبعد موتهما، عن عبد الله بن دينار: عن عبد الله بن عمر: أنَّ رجلًا من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير، فقال عبد الله: إنَّ أبا هذا كان ودًّا لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه**»[1].

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٥٥٢).



الكافـي جلَّ جلاله

الكافي: هو الذي يدبر الأمر ويصلح الشأن.

الكافي: هو الذي يكفي المريض فيشفيه.

الكافي: هوالذي يكفي الفقير فيغنيه.

الكافي: هو الذي يعطي كل سائلٍ سؤله، ويعطي كل ذي حاجة حاجته.

الكافي: هو الذي يتولى المهمات، ويقي عبده الصعوبات.

الكافي: هو الذي يكفي عبده إذا سلَّم أمره اليه، فما طلب عبد من ربه أن يكفيه إلا وكفاه.

لذلك كان الصالحون في الملمات والمهمات يقولون حسبنا الله، وفي المصائب والشدائد يلجأون إلى الله تعالى، وما لجأ أحدٌ إلى ربه إلا وكفاه سبحانه وتعالى.

۞ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

قال الله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزمر: ٣٦].

كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه يقول «**الحمدلله الذي أطعمنا وسقانا**

وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي»[(١)].

❁ صور لكفاية الله لبعض عباده:

❑ مريم عليها السلام:

كفاها الله تعالى الكفالة، والمئونة، والرزق، وتدبير الأمور والدفاع عنها، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾ [آل عمران: ٣٦ - ٣٧].

فلما توكلت أمها على ربها كفاها الله، ولم تحتج أن تبحث على من يكفلها، بل جاء الصالحون يستهمون من يكفلها، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤)﴾ [آل عمران: ٤٤].

وكانت الكفاية والاختيار من الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾ [آل عمران: ٣٧].

وكفاها لما قدر الله لها الولد بغير زوج، وأجاءها المخاض إلى جذع النخلة، قال الله لها ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٧١٥).

ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم: ٢٥ - ٢٦].

وكل من يكفيه الله تعالى لابد أن يقر عينًا؛ لأنه لا يجد أحسن منه كافيًا ولا كفيلًا سبحانه وتعالى.

فلما وضعت صغيرها ما كان يهمها أكثر من ملاقاتها لبني إسرائيل، وهم قوم بهت يتهمون أهل الحق بالظن، فكفاها الله تعالى فقال ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم: ٢٦ - ٣٤].

فالكفاية من الله ليس لها حدود، ولكن اطلب الكفاية من ربك، وارض به كفيلًا، والله يكفيك، وهو خير كافي.

لذلك ينكر الله تعالى على من يلجأ إلى غيره ويطلب الكفاية منه فيقول «**أليس الله بكاف عبده**»، فإذا كان كافيًا بعبده، فلماذا تطلب الكفاية من غيره؟!

❑ **هاجر وإسماعيل:**

وها هي كفاية الكافي لهاجر وإسماعيل، وهم في أرض صحراء لا طعام ولا ماء ولا أنيس، ولكن الله إذا كفى كفى وتفضل وأزاد.

فكانت هاجر لا تتمنى أكثر من الكفاية في الطعام والشراب.

فرزقها الكافي طعامًا وشرابًا وشفاءًا.

ليس لها فحسب، بل لكل مخلوق على الأرض، ويُضرَب له أكباد الإبل ليشربوا من الماء الذي نبع من تحت قدم الصغير؛ ذلك لأنها رضيت بهذه الكفاية،حيث إنَّ إبراهيم لما تركها وانصرف، قالت له إلى من تتركنا، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم قالت: إذًا لا يضيعنا.

فالله يكفيك إن كنت تريد طعامًا وشرابًا.

والله يكفيك إن كنت تريد عافية وشفاءًا.

والله يكفيك إن كنت تريد أمنًا وأمانًا.

«أليس الله بكاف عبده»؟!

بلى سبحانه وتعالى.

۞



آثار الإيمان باسم الله «الكافي»

❁ منها: التوكل على الله في كل عمل:

فلا يطلب الكفاية من غيره، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يعتمد ويستند إلا إليه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [**الطلاق: ٣**]. والتوكل على الله لا يعني عدم الأخذ بالأسباب، بل العمل والأخذ بالأسباب، لكن ترك النتائج إلى الله تعالى، وهذا هو تفويض الأمر لله؛ لذا كان ﷺ إذا خرج من بيته قال «**باسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله**».

فكان يخرج من بيته، ويسعى ويأخذ بالأسباب، لكنه مع ذلك يتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، ويسلم أمره لله، أي يسلم تدبير الأمور والنتائج له.

عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا خرج الرجل من بيته قال «**بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يقال حينئذ: هُدِيت وكُفِيت ووُقِيت، فيتحنى له الشيطان، قال: فيقول شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدِي وكُفِي ووُقِي**»[1].

وكان إذا أوى إلى فراشه جعل آخر كلماته تفويض أمره، وتسليم وجهه لله

---

(١) أخرجه: أبوداود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٢٤).

تعالى الكافي، عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ «**يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإنك إن متَّ في ليلتك متَّ على الفطرة، وإن أصبت أصبت خيرًا**»(١).

❁ ومنها: أنَّ الكافي لا يعجزه شيئ في السماوات ولا في الأرض:

فلا تخضع كفايته لأسباب الدنيا وأحكامها، وقوانينها، فلقد كفى إبراهيم وهو في النار وأنجاه، وكفى النبي ﷺ أذى الكفار ليلة الهجرة وهم محيطون ببيته وخرج دون أن يمسه الأذى، وكفى موسى مكر فرعون وهو في بيته يتربى بين يديه. **إنَّ الله هو الكافي.**

❁ ومنها: أنَّ الفلاح في تسليم الأمر للكافي والرضا به كفيلا ووكيلا:

فإنه يسخر لك الكون فإنه رب الكون، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ «**أنه ذكر رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبه يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبًا، فاتخذ خشبةً، فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفةً منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني تسلفت فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلًا، فقلت: كفى بالله كفيلًا، فرضي بك، وسألني شهيدًا، فقلت كفى بالله شهيدًا، فرضي بك، وإني جهدت**

(١) سبق تخريجه.

أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له، فلم أقدر، وإني استودعتكها فرمى بها في البحر حتى ولجت، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي أسلفه ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذه لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه وأتى بالألف دينار، فقال: والله ما زلتُ جادًّا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه، فقال: هل كنتَ بعثتَ إليَّ بشيءٍ؟ قال أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال: فإنَّ الله قد أدى عنك الذي بعثته في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدًا»[1].

۞ ومنها: أنَّ من لم يرض بالله كفيلًا خسر خسرانًا كبيرًا:

فمن لم يرض بالله كافيًا وكفيلًا خسر النجاة في الآخرة، وحسن التدبير والفلاح في الدنيا، ولن يُجلَب له من الخير إلا ما قدره الله له، عن أبي العباس عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال **«يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»**[2].

وبين ﷺ أنَّ من أنزل حاجته بالله قضيت وإلا لم تقض، عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ **«من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسد**

---

(١) أخرجه: البخاري (٢٢٩١).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في المشكاة (٥٣٠٢).

فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل»[١].

قال ابن القيم:

تالله ما عدا عليك العدو إلا بعد أن تولى عنك الولي، فلا تظن أن الشيطان غلب، ولكن الحافظ أعرض[٢].

❁ ومنها: أنَّ الرضا بالله كفيلا يعني الاستسلام له:

أي الاستسلام له قبل العمل، والاعتماد عليه مع الأخذ بالأسباب عند العمل، والرضا بما يقدره بعد وقوع المقدور؛ لذا جعل النبي ﷺ الرضا بالقضاء والقدر من الإيمان، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ **«الإسلام أن تشهد أن لَّا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا»** قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: **«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره،...»**[٣].

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٣٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٦٦).

(٢) الفوائد لابن القيم (١/ ٦٨).

(٣) أخرجه: مسلم (٨).

۞ ومنها: أنَّ الرضا بالله كفيلًا تعني الثقة بالله:

فالرضا بالله كفيلًا تعني الثقة بالله تعالى في كل تدبيره مهما كانت الأمور في ظاهرها، ومهما كانت العواقب والملمات، ومن الأمثلة على ذلك: أم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ أمرها الله بوضع ابنها في اليم إن كانت خائفة عليه، وأن ترضى بالله كفيلا، قال ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: ٧]، ولا تستطيع أمٌّ أن تترك ابنها عند المخاطر إلا إذا أودعته إلى ما هو آمن منها وأحفظ وأكفى، وإذا بهذا المكان هو البحر، لكنه البحر مع كفاية الله تعالى آمن من حضن أمه بعيدًا عن كفايته، إنها الثقة في كفاية الله وولايته.

وكتب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن اكتبى لى كتابًا توصينى فيه، ولا تكثري، فكتبَتْ إليه: من عائشة إلى معاوية سلام الله عليك أما بعد: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مئونة الناس، ومَن التمس سخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس**»[1].

۞ ومنها: اليقين بأنَّ الله خير كاف ووكيل وكفيل:

فقد يكفل العبد بعض أمرك لكن كفالته ناقصة؛ إذ إنه لا يستطيع أن يكفل كل أمورك، ولا يستطيع إبرام ما يصلحك إلا إذا وفقه الله لذلك، لكن الله خير كاف وخير كفيل ونعم الوكيل؛ لأنه تسند إليه كل الحاجات، ويتوكل ويتكفل بها، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقادر على إنفاذ وتدبير ما يريد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**لا**

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٥٥).

يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت ليعزم في الدعاء، فإن الله صانع ما شاء لا مُكرِه له»[١].

۞ ومنها: أنَّ من يفوض أمره إلى الله وقاه الله مما يخاف ويحذر:

وذلك فيما يعلمه العبد، ومما لا علم له به، قال تعالى: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [غافر: ٤٤ - ٤٥].

وقد لا يملك شيئًا من الأسباب سوى أنه يفوض أمره إلى الله، ويسلم أمره إليه فيكفيه الله الكافي.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

قاتل رسول الله ﷺ مُحَارِبَ خَصَفَةَ بنخلٍ، فرأوا من المسلمين غرةً، فجاء رجلٌ منهم يقال له غَوْرَثُ بن الحارث حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله. فسقط السيف من يده، قال فأخذ رسول الله ﷺ السيف، فقال: من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذٍ، فقال: «**تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، قال: لا. ولكن أعاهدك على ألّا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله فأتى أصحابه، فقال جئتكم من عند خير الناس**»[٢].

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٣٣٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٤١٣٦)، ومسلم (٨٤٣).

ومنها: أنَّ الرضا بالله كفيلًا ووكيلًا يعصم من الفتن:

إنَّ أعظم الكفاية أن يكفي الكافي عبده عند الفتن، ويعصمه من مضلاتها، وأعظم هذه الفتن فتنة المسيح الدجال، وهي من أعظم الفتن التي تجوب الأرض منذ خلق الله الناس، عن هشام بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ **«إنَّ من بعدكم الكذاب المضل، وإنَّ رأسه من بعده حُبُكٌ حُبُكٌ[1] - ثلاث مرات - وإنه سيقول: أنا ربكم، فمن قال: لست ربنا، لكن ربنا الله عليه توكلنا وإليه أنبنا، نعوذ بالله من شرك، لم يكن له عليه سلطان»**[2].

ومنها: كفاية العبد الهموم والأحزان:

لأنه سلم الأمور للكافي العليم القوي، فلا يخشى العواقب؛ إذ الكافي هو الذي يدبر الأمور.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

من ترك الاختيار والتدبير فى رجاء زيادة، أو خوف نقصان، أو طلب صحة، أو فرار من سقم، وعلم أنَّ الله على كل شيء قدير، وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير، وأنَّ تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه، وأنه أعلم بمصلحته من العبد، وأقدر على جلبها وتحصيلها منه، وأنصح للعبد منه لنفسه، وأرحم منه بنفسه، وأبر به منه بنفسه، وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تدبيره خطوة واحدة، ولا يتأخر عن تدبيره له خطوة واحدة،

---

(١) حُبُك حُبُك: قال ابن قتيبة: هو المتكسر من الجعودة (غريب الحديث لابن الجوزي) (١/ ١٨٩).

(٢) أخرجه: أحمد (٥/ ٣٧٢)، والحاكم(٤/ ٥٤٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٠٨).

فلا متقدم له بين يدي قضائه وقدره، ولا يتأخر، فألقى نفسه بين يديه، وسلم الأمر كله إليه، وانطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعف بين يدي ملك عزيز قاهر، له التصرف في عبده بكل ما يشاء، وليس للعبد التصرف فيه بوجه من الوجوه، فاستراح حينئذ من الهموم والغموم والأنكاد والحسرات، وحمَّل كل حوائجه ومصالحه من لا يبالي بحملها ولا يثقله ولا يكترث بها، فتولاها دونه، وأراه لطفه وبره ورحمته وإحسانه فيها، من غير تعب من العبد ولا نصب ولا اهتمام منه؛ لأنه قد صرف اهتمامه كله إليه، وجعله وحده همه، فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه، وفرغ قلبه منها، فما أطيب عيشه وما أنعم قلبه وأعظم سروره وفرحه، وإن أبي إلا تدبيره لنفسه، واختياره لها، واهتمامه بحظه دون حق ربه خلاه وما اختاره، وولاه ما تولي، فحضره الهم والغم والحزن والنكد والخوف والتعب وكسف البال وسوء الحال[1].

ومنها: انشغال العبد بما لم يُضمن:

التوكل على الكافي، والرضا به كافيًا يجعل العبد ينشغل بما يهمه، وما لا يضمنه الله تعالى له وهو رضاه والجنة، فإذا فعل العبد ذلك وفَّقَه الكافي وكفاه أمر دنياه، ووفقه لنيل رضاه، قال رسول الله ﷺ «**من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»[2].

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ١١٤).

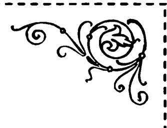
(٢) أخرجه: ابن ماجه (٤١٠٥)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا أصبح العبد وأمسي، وليس همه إلا الله وحده تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسي والدنيا همه حمله الله همومها وغمومها وأنكادها، ووكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره كالكير ينفخ بطنه، ويعصر أضلاعه في نفع غيره، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلِيَ بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته، قال تعالى «**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين**»[(١)].

๑◊๑

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ٨٤).




المُبِين جلَّ جلاله

المُبِين هو البَيِّنُ الظاهر لخلقه في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

المُبِين هو الذي يُبَيِّن لعباده معاشهم، وحياتهم، وآخرتهم.

قال ابن منظور:

بان الشيء بيانًا: اتضح فهو بَيِّن، وأبان الشيءَ فهو مُبِين(1).

المُبِين هو الذي أرسل رسولًا مُبَيِّنًا دينه لعباده أحسن بيان، وآتاه جوامع الكلم، وسماه مُبِينًا، قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٨٤** ﴾ **[الأعراف: ١٨٤]**، وقال: ﴿ **وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ٨٩** ﴾ **[الحجر: ٨٩]**.

المُبِين هو الذي أنزل كتابًا فيه عز خلقه وشرفهم، وبين لهم فيه الهدى أحسن بيانٍ، وسماه مُبِينًا، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ١٥** ﴾ **[المائدة: ١٥]**.

المُبِين هو الذي بيَّن الحق واضحًا جليًّا كضوء النهار والشمس أو أشد، لا خفاء فيه، حتى إنَّ أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ**

---

(1) لسان العرب لابن منظور (١/ ٤٠٦).

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦].

وصدق القائل:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

المُبِين هو الذي جعل من عباده أئمةً وهداةً، وأعطاهم من البيان ما يبلغون به شرعه، وحكمه للناس على أحسن صورة، وأحسن بيان، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من البيان لسحرًا**»(١).

المُبِين هو البَيِّن لخلقه في آياته المسطورة بالإعجاز والبيان، وفي آياته المنظورة وملكوته الذي يعجز عن وصف إحكامه اللسان.

المُبِين هو الذي بين مراده بأقصر عبارة، وأوضح إشارة.

❁ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٥].

---

(١) أخرجه: البخاري (٥١٤٦).




آثار الإيمان باسم الله «المبين»

❁ منها: اتِّباع سبيل المُبِين سبحانه وتعالى:

فالله تعالى المُبِين، ما بين لعباده حكمه وشرعه ودعاهم إليه إلا ليتبعوا أمره وينتهوا بنهيه، وكل طريق سوى ما بينه سبحانه من طريق هو إلى هلاك وخسران وبوار؛ إذ إنه لا مُبِين على الحقيقة والتمام سواه؛ لذا جعل صراطه سبحانه هو الصراط الواضح البَيِّن المستقيم، وكل طريق آخر هو معوج حائد عن السبيل، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، عن عبد الله قال: خَطَّ رسول الله ﷺ خطًّا بيده، ثم قال «**هذا سبيل الله مستقيمًا**»، قال: ثم خطَّ عن يمينه وشماله، ثم قال «**هذه السُّبُل، وليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه**»، ثم قرأ «**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**»(١).

وأمر سبحانه أنبياءه والمرسلين أن يبينوا للناس كل شر يحذرونه، وكل خير يبغونه، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة الصائدي قال: دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالسًا في ظل الكعبة، والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم، فجلست إليه، فقال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا منزلًا، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من في جشره، إذ

---

(١) أخرجه: أحمد (٤/ ٢٥٧)، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح.

نادى منادي رسول الله ﷺ «**الصلاة جامعة**» فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**إنه لم يكن نبيٌّ قبلُ إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**»(١).

ومن بديع بيانه سبحانه وتعالى أنه لم يبين ربنا سبحانه الطريق الموصل إلى رضوانه فحسب، ولم يبين استحقاقه للعبودية بدون بيان للجزاء والعقاب، بل إنه سبحانه لم يترك الجزاء خفيًّا يخضع للمفاجأة وثقة العباد بكلام ربهم، بل بين كل الطريق من بدايته إلى نهايته، فبين طريق الخير والشر، وبين وسائل الثبات على طريق الخير والبعد عن طرق الشر، وبين صفة الدعاة إلى هذا وإلى ذاك، وبين كيفية النجاة في طريق الخير، وبين حبائل الشيطان وغوائله في طريق الغواية والضلال، ثم بين جزاء هذا وذاك بشيء من التفصيل، فوصف بعض ما يدركه العقل من نعيم الجنة وما يدركه من عذاب النار، وقرَّب ذلك لعباده على أقصى درجة يمكن تصورها، وكل ذلك يحقق قوله سبحانه ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]، وبين النبي ﷺ ذلك البيان بمثال يضربه للناس، ويبين لهم أنَّ الأمر جد لا هزل فيه، عن أبي موسى أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ مثلي ومثل ما بعثني الله عز وجل به كمثل رجلٍ أتى قومه، فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وأنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفةٌ من قومه، فأدلجوا، وانطلقوا على مهلهم، فنجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني، واتَّبع ما جئت به، ومثل من عصاني، وكذَّب ما جئت به من الحق**»(٢).

---

(١) أخرجه: مسلم (١٨٤٤).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٤٨٢)، ومسلم (٢٢٨٣).

سبحانه الله المبين.

❁ ومنها: أنَّ الدعوة إلى الله لابد أن تكون ببيان واضح:

فلقد أمر الله خاتم الأنبياء والمرسلين بالبلاغ المُبين الواضح، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤]، وقال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ [النحل: ٨٢]، بل وأمر كل المرسلين بذلك، فقال ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل: ٣٥]، وإنَّ الدعاة إلى الله هم ورثة الأنبياء، إذ إنهم قاموا بعد الأنبياء في مقامهم يبلغون الناس ويرشدونهم، ويردونهم إلى صراط الله المستقيم، والقائم بأمر الدين الداعي إليه قائم ببيان أمر الله للناس وإيضاحه لهم، فلا بد أن يكون بيانه مُبينًا للناس بلا لبس ولا عجمة، ولذلك خص الله تعالى هذا بأهل العلم الذين باتوا ليلهم وقاموا نهارهم على معرفة أحكام الله تعالى، وإحكامها؛ لأنَّ الدعوة إلى الله وإلى دينه لا بد أن تكون ببيان وبصيرة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين، وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناس تبع لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أُنزِل إليه، وضمن له حفظه، وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه، وتبليغهم لهم، وقد أمر النبي بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثًا، وتبليغ سنته إلى الأمة

أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأنَّ ذلك التبليغ يفعله كثيرٌ من الناس وأمَّا تبليغ السنن، فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء، وخلفاؤهم في أممهم جعلنا الله تعالى منهم بمَنِّه وكرمِه[1].

من أجل ذلك دعا الله تعالى الناس للعودة إليهم عند عدم العلم، فقال ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء: ٧].

✽ ومنها: الدخول في ركب الدعاة إلى الله:

فإنَّ الداعي إلى الله مبين عن الله تعالى، وكفى بالعبد شرفًا أن يكون مبلغًا عن الله تعالى ومبينًا عنه، وهذا وإن كان فيه المشقة والتعب، لكنه لا عز ومكانة وشرفًا إلا بتعب ومشقة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واذا كانت الدعوة الى الله أشرف مقامات العبد، وأجلها، وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حدٍّ يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أنَّ صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء[2].

لذا كان النبي ﷺ إذا أراد أن يرسل أحدًا من أصحابه للدعوة إلى الله، وبيان هذا الدين اختار منهم أهل العلم والبيان.

فاختار معاذًا إلى اليمن الذي هو أعلم الأمة بالحلال والحرام، عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال: «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله**

---

(١) جلاء الأفهام لابن القيم (١/ ٤١٥).

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ١٥٤).

فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم خمس صلواتٍ في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم زكاةً تؤخذ من أموالهم، وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم، وتوق كرائم أموالهم»[١].

واختار أمين هذه الأمة أباعبيدة بن الجراح لأهل نجران، عن حذيفة قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله ابعث إلينا رجلًا أمينًا، فقال: «**لأبعثن إليكم رجلًا أمينًا حقَّ أمينٍ حقَّ أمينٍ**» قال: فاستشرف لها الناس، قال: «**فبعث أبا عبيدة بن الجراح**»[٢].

وأرسل مصعب بن عمير لأهل المدينة، الذي كان أرفه شاب في مكة وترك كل ذلك وأسلم، وجلس للنبي ﷺ ينهل من علمه، ونشر الله الإسلام على يديه في المدينة، ووطد للهجرة وقدوم النبي ﷺ وأصحابه، فجعل يدعو الناس سرًّا، ويفشو الإسلام، ويكثر أهله[٣].

وأرسل دحية الكلبي الذي كان جبريل يأتي في صورته بكتاب إلى عظيم بُصرى ليدفعه إلى عظيم قيصر[٤].

ولما طلب النجاشي أن يكلم الصحابة لما هاجروا إلى الحبشة، ووشى بهم أهل مكة عنده، قدَّموا أفضلهم، وأعلمهم، وأحسنهم بيانًا، وهو جعفر بن أبي طالب[٥] قائد غزوة مؤتة وذو الجناحين.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٤٢٠).

(٣) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٣٦٢)، وأبونعيم في الحلية (١/ ١٠٧)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٩/ ٩٩).

(٤) أخرجه: البخاري (٢٩٤٠).

(٥) أخرجه: أحمد (١/ ٢٠٢)، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح.

❁ ومنها: أنَّ من قام بالبيان عن الله فهو من صفوة الله:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

قال الحسن البصري:

عندما تلا قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة الله(١).

وقال قتادة عن هذه الآية:

هذا عبد صدق قوله، وعمله، ومولجه، ومخرجه، وسره، وعلانيته، ومشهده، ومغيبه(٢).

وهم كما قال فيهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله أهل العمى، كم من قتيل لإبليس قد أحيَوْه، وضال تائه قد هَدَوْه، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد، فما أحسن أثرهم على

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٨٠)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم -بلفظ قريب من هذا- (١/ ١٥٣).

(٢) الدر المنثور للسيوطي (٧/ ٣٢٥).

الناس، وأقبح أثر الناس عليهم[1].

ولذا توعد الله تعالى من جمع علمًا وكتمه، وذلك لشدة حاجة الناس للبيان والعلم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «**من سُئل عن علم، فكتمه ألجمه الله عز وجل بلجام من نار يوم القيامة**»[2].

قال ابن عباس في قوله تعالى «**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**» المعنى: بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئًا منه ما بلغت رسالته، وهذا تأديب للنبي ﷺ، وتأديب لحملة العلم من أمته ألَّا يكتموا شيئًا من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى أنَّه لا يكتم شيئًا من وحيه[3].

❁ ومنها: أنَّ حرمان فهم البيان من حرمان التوفيق:

فإنَّ الله تعالى بين أمره بيانًا واضحًا جليًّا، وبينه رسلُه عليهم السلام بما لا يحتمل شكًّا أو غموضًا، ومع كل ذلك قد تجد أناسًا لا يرون هذا الحق ولا يَعُونَه، بل يرونه أحيانًا هو الباطل الواضح، وما يدل ذلك إلا على فساد قلوبهم، وانتكاس فطرهم، وعمى بصيرتهم، وكل ذلك لأنهم حُرِموا التوفيق من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ [البقرة: ١١٨].

(١) جلاء الأفهام لابن القيم (١/٤١٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تفسير القرطبي (٦/ ٢٤٢).

وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤].

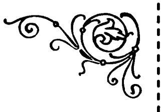
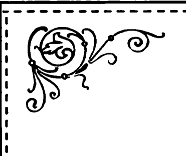
❁ ومنها: خطورة سوء البيان عن الله ورسوله:

فإنَّ المُبَيِّن للناس أمْرَ الدين يبين مراد الله تعالى ورسوله، وهذا يستدعي أن يكون العبد حَسَنَ البيان، عالمًا بما يقول، مُؤَدِّيًا ذلك بالحكمة، وإلا فإنه يسبب اتهام الناس لله تعالى وحكمه، ووصفه بالنقص وعدم الكمال، لذا أرسل الله الأنبياء بلسان قومهم ليحسنوا البيان لهم، وأمر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمخاطبة الناس بما يفهمون، وهذا من حسن البيان حتى لا يُكَذَّب الله ورسوله، فقال: حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكَذَّب الله ورسوله[1].

ولأنَّ الفتوى بيان عن الله تعالى كان أهل العلم يمتنعون عن الفتوى إلا فيما يحسنون؛ لأنهم يعلمون أنهم بالفتوى يبينون عن الله تعالى ورسوله، فإذا رأى أنه لا يحسن البيان والفتوى في مسألة قال: لا أدري، وذلك امتثالٌ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

---

(١) أخرجه: البخاري (١٢٧).

الشافي جلَّ جلالُه

الشافي هو الذي يُذهب العِلَل.

الشافي هو الذي يشفى بالأسباب والعمل.

الشافي هو الذي يشفى سبحانه وتعالى بمجرد الرجاء والأمل.

الشافي هو الذي يشفي بعد عجز الأسباب وانقطاع الحيل.

الشافي هو الذي يشفي الشفاء التام الذي لا يغادر السقم ولا الخَلَل.

الشافي هو الذي يشفي كل مريض ءانًا بعد ءانٍ بدون ضجر أو ملل.

الشافي هو الذي لا يستعصي عليه داء، فهو الشافي للداء الصغير والكبير والأمر الجلل.

۞ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أتى المريض يدعو له يقول **«أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا»**(١).

عن عبد العزيز قال: دخلتُ أنا، وثابت على أنس بن مالكٍ، فقال ثابت: يا أبا حمزة، اشتَكَيْتُ، فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: **«اللهم ربَّ النَّاس، مذهب الباس، اشف أنت الشَّافي، لا شافي إلَّا أنت،**

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٥٧٥٠)، ومسلم (٢١٩١).

شفاءً لا يغادر سقمًا»[١].

واسم الله الشافي هو اسم لا يستغني عنه أحد من البشر؛ لأنَّ المرض سنة ابتلى الله بها كثيرًا من عباده، وذلك لتحقيق أسمائه في عباده، وتعبد العباد له بأسمائه الحسنى، وتضرعهم له لطلب العافية والشفاء، فإنَّ ذلك أمر يحبه الله تعالى، فلو جعل الله الشفاء بيد أحد من الخلق لبات الناس وقالوا على باب بيته كلٌّ يطلب شفاءه منه.

لكن ياحسرتاه!

إذ يعلم الناس أنَّ الله هو الشافي، ونسي الناس الوقوف ببابه، والتضرع إليه، وباتوا يلوذون بغيره ممن لا يملك لنفسه شفاء، ولا نفعًا، ولا ضرًّا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إنَّ القلب متى اتصل برب العالمين خالق الدواء، ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء كانت له أدوية أخرى، غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه المعرض عنه[٢].

ومن رحمته ولطفه وعلمه بعباده، علم أنَّ عباده تتعلق نفوسهم بما يرونه ويحسونه، فجعل للشفاء أسبابًا يحسونها ويلمسونها ويأخذون بها، لكنه قال لهم إنما هي أسباب وأنا الشافي حقًّا، فبات بعض الناس ينسى هذا، وتعلقت القلوب بالأسباب، ونسيَتْ ربَّ الأسباب، فانقلبت النعمةُ نقمةً، والشفاءُ والعافيةُ مرضًا وعلةً.

---

(١) أخرجه: البخاري (٥٧٤٢).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٤/ ١٢).



آثار الإيمان باسم الله «الشافي»

* **منها: طلب الشفاء من الله وحده، والثقة بشفائه:**

فإنه هو الشافي على الحقيقة، وإن تأخر الشفاء، فلا شفاء إلا شفاءه ولا شافي إلا هو سبحانه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣ – ٨٤].

* **ومنها: أنَّ الأسباب ليست شافية بنفسها:**

لابد من اليقين بأنه ليس هناك دواء شافٍ بذاته، وليس هناك طبيب شافٍ بخبرته، إنما هي أسباب أمرنا الله أن نأخذ بها، والأخذ بالأسباب لا يتعدى الحواس الظاهرية ولا يتخطاها إلى القلب.

فلابد للقلب أن لا يتعلق في الشفاء إلا بالله؛ ولذا ضرب الله لنا كثيرًا من الأمثلة للشفاء بعد اليأس من الشفاء، واستنفاذ الأسباب المادية.

فلَكَمْ شفي الله أناسًا بعد طول مرض، واستعصائه على الأطباء، فقدر الله لهم الشفاء.

ولَكَمِ ابتلى الله تعالى طبيبًا بالمرض الذي كان يداويه، وكان فيه هلاكه، ولم يهتد للدواء.

قال بشار بن برد:

إنَّ الطبيب بطبِّه ودوائه لا يستطيع دفاع مقدورٍ أتى

ما للطبيب يموتُ بالداءِ الذي قد كان يُبرِي مثله فيما مضى

إلا لأنَّ الخلق يحكمُ فيهم من لا يُرَدُّ ولا يُجاوَزُ ما قضى[1]

والله تعالى بذلك يُعَلِّم العبد المسلم أن يتعلق بربه؛ فإنه خير من يُتعلَّق به سبحانه وتعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٩]، اتخذه وكيلا، وارفع إليه حاجتك، واشك إليه مرضك، واطلب الشفاء بين يديه.

لذا لما منَّ الله تعالى على بعض عباده بأن أجرى على يديه الشفاء للعباد، قال للناس ما أنا الشافي والفاعل على الحقيقة إنما الشافي هو الله تعالى، قال تعالى عن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٤٩﴾ [آل عمران: ٤٩]، وفي قصة الغلام والملك قال رسول الله ﷺ: «**وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس سائر الأدواء، فسمع جليسٌ للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال ما ها هنا لك إن أنت شفيتَني، قال إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله.....**»[2].

---

(١) ديوان بشار بن برد (١/ ١١٢٣).

(٢) أخرجه: مسلم (٣٠٠٥).

۞ ومنها: أنَّ العبد لا يجزع لما أصابه:

فلابد من الرضا وعدم الجزع، وعدم التضجر والشكوى لما أصاب العبد، فالذي ابتلاك وقدر لك المرض هو وحده الذي يستطيع أن يشفيك، وشكواك للمخلوق ما تزيدك إلا وهنًا وضعفًا ومرضًا.

وهذا من جهل العبد بضعف المشكو إليه، وجهله بلطف ورحمة المشكو، فلو عرف ربَّه ما شكاه إلى الناس، ولو عرف الناسَ وقلةَ حيلتهم ما شكا إليهم.

لذا لما رأى بعض السلف رجلًا يشكو إلى رجل فاقته وحاجته، فقال: ياهذا والله ما زدتَ على أن شكوتَ مَن يرحمك إلى من لا يرحمك[١].

وصدق القائل

وإذا ابتُلِيتَ بمِحْنةٍ فالبَسْ لها ... ثوبَ السكوتِ فإنَّ ذلك أسلمُ

لا تشكوَنَّ إلى العباد فإنما ... تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يَرْحَمُ[٢]

فاشك إلى الله، وكن واثقًا به، وعلى يقين بموعوده، والله لا يخلف وعده، ولا يخذل من التجأ إليه.

۞ ومنها: الأخذ بالأسباب الشرعية من الرُّقَى ونحوها:

بل هي أولى من غيرها، وأسبق لها، وأنجع في الدواء لمن يثق بها؛ لأنَّ الدواء الدنيوي من صنع البشر وتجربتهم وإرشاداتهم، أما الرُّقَى الشرعية من عطاء الله ومنته عليهم، وما ابتعد الناس عنها لضعف أثرها أو لانتهاء

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٣٤٣).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٣٢).

صلاحيتها، وإنما لضعف اليقين فيها، وضعف الإيمان أنَّ الله هو الشافي على الحقيقة، ولكن على العبد أن يأخذ بكل الأسباب المتاحة لديه شرعية ومادية، ويعلم أنَّ الله هو الشافي.

عن أبي سعيد الخدري قال: نزلنا منزلًا فأتتنا امرأة، فقالت إنَّ سيد الحي سليم لُدِغَ، فهل فيكم من راق؟ فقام معها رجل منا ما كنا نظنه يحسن رقيةً، فرقاه بفاتحة الكتاب، فبرأ، فأعطوه غنمًا، وسقونا لبنًا، فقلنا: أكنتَ تحسن رقية؟ فقال: ما رقيته إلا بفاتحة الكتاب، قال: فقلت: لا تحركوها حتى نأتي النبي ﷺ، فأتينا النبي ﷺ، فذكرنا ذلك له، فقال: «**ما كان يدريه أنها رقية اقسموا واضربوا لي بسهم معكم**»[1].

ولما سُحِرالنبي ﷺ رقاه جبريل، وذلك في حادثه عظيمه لم تتكرر؛ إذ إنَّ جبريل أفضل طبيبٍ وراقٍ؛ إذ هو سيد الملائكة وهو الذي ينزل بالوحي، وكان المريض أفضل خلق الله، وهو النبي ﷺ، والرقية أفضل رقية إذ إنها باسم الله، ومع ذلك فإنه قال: «**والله يشفيك**»، فنسب الشفاء إلى الله الشافي.

عن أبي سعيد: أنَّ جبريل أتى النبي ﷺ، فقال: يا محمد اشتكيتَ؟ فقال: نعم، قال: «**باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس، أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك**»[2].

ومن هنا يُعلم كم نحن محرومون من الشفاء العاجل التام؛ ذلك لأنَّ القلوب تتعلق بغير الله تعالى في هذا الباب، وترى أنَّ العلاج في دواء معين، أو في يد طبيب معين، ونسيت الشافي على الحقيقة ألا وهو الله سبحانه وتعالى.

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١).

(٢) أخرجه: مسلم (٢١٨٦).

لذا فالعبد الذي يتعلق قلبه بالأسباب المادية، ويغفل عن القدرة الإلهية إنما تعلق بالضعيف المحتمل، وترك القويَّ المُحْكَمَ.

وانظر بعين البصيرة للفرق بين الدواءين تعلم قدر الحرمان الذي يُحرمه من يُهمِل هذا الباب من الدواء.

❑ فالدواء المادي قد لا يُعلم، وبعض الأمراض يُقال لا علاج لها.

لكن عند الشافي لكل داء دواء، فعن أَبِي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: عنِ النبي ﷺ قال: **«ما أنزل اللهُ داءً إِلَّا أنزل له شفاءً»**(١).

❑ العلاج المادي قد يوجد، لكنه قد لا يكون في متناول كل مريض لبعده، أو لعظم ثمنه، أو نحو ذلك.

لكن دواء الشافي سبحانه تناله، وأنت على فراشك، فقط اطلبه وأرسل قلبك بيقين ليقف ببابه.

❑ العلاج المادي قد يوجد ويُتناول، لكنه كثيرًا ما يَنفع ويَضر، فيُعافَى به من شيء، ويَجلِب آثارًا وأسقامًا في شيء آخر.

لكن دواء الشافي لا يغادر مرضًا ولا سقمًا، عن عائشة قالت: كان

رسول الله ﷺ إذا أتى المريض يدعو له قال: **«أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءًا لا يغادر سقمًا»**، وعن عبد العزيز، قال: دخلتُ أنا وثابت على أنس بن مالكٍ، فقال ثابت: يا أبا حمزة، اشتكَيْتُ، فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى، قال **«اللهم ربَّ النَّاس، مذهب الباس، اشف أنت الشَّافي، لا شافي إِلَّا أنت، شفاءً لا يغادر**

(١) أخرجه: البخاري (٥٦٧٨).

سقمًا»[(١)].

فشفاءُ الله تعالى شفاء من كل داء.

وهو سبحانه وتعالى عليم بكل شيء، وبما في ذلك الدواء.

قدير على كل شيء، وبما في ذلك الأمراض والأدواء.

ولما كان الشفاء بيد الله تعالى كان طلب الشفاء من الله هو تعبدًا إلى الله باسمه الشافي سبحانه وتعالى.

سؤال: إذا كان الله هو الشافي فلماذا يتأخر العلاج أحيانًا مع الدعاء، والتضرع إليه؟

الجواب:

الشفاء مثل كل أقدار الله تعالى يتم وفق حكمة عظيمة، لا يعلم كنهها وحكمتها إلا الله، فالمرض يُقدَّر لحكمة، ويصرف بحكمة، وقد يكون في بقاء المرض زمنًا أفضل مما في العافية من الخير وأكثر، لكن العبد لا يعلم ذلك، فيستعجل الخير.

المرض قد يشتمل على كثير من الرحمات، ومنها:

✿ المرض قد يكون طريقًا إلى الجنه:

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال: لي ابن عباس ألا أريك امرأة من أهل الجنة قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ، قالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: «**إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيك**» قالت: أصبر قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا

(١) سبق تخريجه.

أتكشف «فدعا لها»[١].

❁ المرض قد يغفر الله به الذنوب، ويكفر به السيئات، ويرفع به الدرجات:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عنِ النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم، من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ، ولا همٍّ ولا حزنٍ، ولا أَذًى ولا غَمٍّ، حتى الشوكة يُشَاكُها، إِلَّا كَفَّر الله بِها من خطاياه**»[٢].

فالمرض نفسه قديكون شفاءًا أى شفاءً من الآثام والذنوب والأدران.

❁ المرض يجلب لك معية الله تعالى:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن رسول الله ﷺ قال «**إنَّ الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أنَّ عبدي فلانًا مرض، فلم تعده، أما علمتَ أنك لو عدتَه لوجدتَني عنده**»[٣].

❁ المرض قد يُنزِل العبد منازل الشهداء:

فلقد بين ﷺ أنَّ بعض من يصيبهم الله، ويبتليهم بالمرض يُكتب لهم أجرُ الشهداء، ولو ماتوا على فُرُشهم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**المبطون شهيد، والمطعون شهيد**»[٤].

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرها نبي الله ﷺ «**أنه كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس**

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣).

(٣) أخرجه: مسلم (٢٥٦٩).

(٤) أخرجه: البخاري (٥٧٣٣).

من عبد يقع في الطاعون، فيمكث في بلده صابرًا، يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد»(١).

۞ المرض قد يكون نصرة للمظلوم وإظهارَ عدلِ الله تعالى في خلقه:

عن هشام بن عروة عن أبيه أنَّ أروى بنت أويس ادَّعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئًا من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعتُ من رسول الله ﷺ، قال: وما سمعتَ من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طُوِّقه إلى سبع أرضين**» فقال له مروان: لا أسألك بينة بعد هذا، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فعم بصرها، واقتلها في أرضها، قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت(٢).

۞ المرض قد يكون عظة للناس، وعقابًا لمن خالف أمره:

فالمرض جند من جنود الله مأمور بأمره؛ لذا قد يكون المرض عذابًا لأناس تجاوزوا حدود الله تعالى، وانتهكوا حرماته.

فالنبي ﷺ بين أنَّ الفاحشة ماانتشرت في قوم إلا جعل الله فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، عن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتُلِيتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون،**

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٤٧٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠)واللفظ له.

والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا...»[1].

لذا فالمرض فيه آثار الرحمة وفيه آثار العدل والحكمة.

المرض قد يكون عذابًا ونقمة، وقد يكون عطاءًا ونعمة. المرض قد يكون نجاة من النيران، وفتحًا لأبواب الجنان.

فإذا أردت الشفاء فالجأ الى ربك، وتضرع إليه، وخذ بالأسباب، واطلب منه الشفاء، واجعل السبب في يدك، والتعلق بربك في قلبك تجدِ الله تعالى شافيًا لا شافيًا على الحقيقة والتمام إلاهو سبحانه وتعالى، وشفاؤه شفاءً لا يغادر سقمًا.

اللهم اشف كل مريض شفاءً تامًّا عاجلًا لا يغادر سقمًا.

*****

(١) أخرجه: ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم (٤/ ٥٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٧٨).



الرزاق جلَّ جلالُه

الرزاق هو كثير العطاء، باسط الرزق للعباد، حافظ لأرزاقهم في السماء.

الرزاق هو الذي قدر الأرزاق وقسمها، وبسطها بحكمته وضيقها.

الرزاق هو الذي رزق عباده من حيث يحتسبون، ومن حيث لا يحتسبون.

الرزاق هو كثير الإنفاق، المفيض بالأرزاق على التقي والبار، والعاصي والعاق.

الرزاق هو الذي يعطي عباده رزقًا بعد رزق، والمكثر الموسع على جميع الخلق.

الرزاق هو الذي يرزق عباده بالشراب والطعام، وبالمال والأولاد والأنعام، بل وأهم من ذلك فهو الذي يرزقهم بالعلم والإيمان واتباع سيد الأنام، فهو الرزاق المعطي لصنوف الخير ووجوه الإنعام.

الرزاق هو الذي لا ينقص ما عنده، ولو أعطى الناس جميعا حاجاتهم ما نقص ذلك شيئا من ملكه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكذلك الرزاق من أسمائه	والرزق من أفعاله نوعان
رزق على يد عبده ورسوله	نوعان أيضا ذان معروفان
رزق القلوب العلم والإيمان والـ	رزق المعد لهذه الأبدان

هـذا هـو الـرزق الحـلال وربنـا رزاقـه والفضـل للمنـان

والثـاني سـوق القـوت للأعضـاء في تلـك المجـاري سـوقه بـوزان

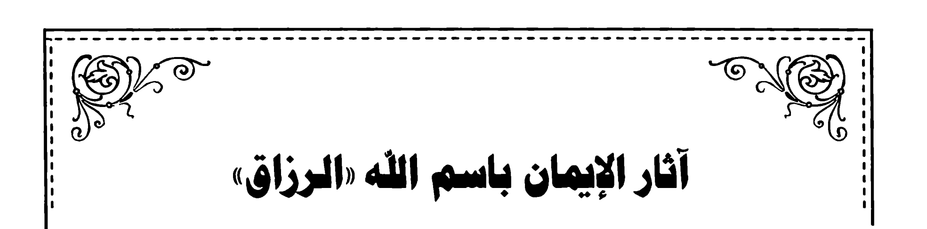
هـذا يكـون مـن الحـلال كمـا يكـ ون مـن الحـرام كلاهمـا رزقـان[1]

الأدلة الدالة على هذا الاسم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

---

(١) النونية لابن القيم (١/ ٢١١).



آثار الإيمان باسم الله «الرزاق»

❁ منها: الراحة والاطمئنان والثقة في باب الرزق:

فعلى العبد أن يطمئن لرزقه، فلا ينقصه الله منه شيئًا، بل يصل إليه كاملًا، وما عليه إلا الأخذ بأسبابه؛ لذا يطمئن الله عباده من ناحية الرزق، ويدعوهم لأن ينشغلوا بما أراد الله منهم، وبما خلقهم من أجله ألا وهو العبادة، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

فرغ خاطرك للهم بما أُمِرتَ به، ولا تشغله بما ضمن لك، فإنَّ الرزق والأجل قرينان مضمونان، فما دام الأجل باقيًا كان الرزق آتيًا(١).

❁ ومنها: أنَّ الرزاق هو الذي يملك كل أنواع الرزق:

فالطعام والشراب بيده، والإيمان والهداية بيديه، فغذاء الأبدان بيده، وغذاء القلوب والأرواح بيده، فكما قال تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦]، قال ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]، وقال: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ٥٧).

وقال: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾ [مريم: ٧٦].

فكما تطلب رزق الأبدان وتسعى إليه عملًا ببدنك، وطلبًا من ربك، كذلك فاطلب رزق العلم والدين والإيمان كما تسعى إلى ذاك أو أكثر؛ لذا قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١]، وهذا عام في كل رزق فخزائنه عند الله، ومن طلب رزقًا منها، وسعى إليه وُفِّق إليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى «**وإن من شيء إلا عندنا خزائنه**» متضمن لكنز من الكنوز، وهو أن يطلب كل شيء لا يطلب إلا ممن عنده خزائنه، ومفاتيح تلك الخزائن بيديه، وأنَّ طلبه من غيره طلب ممن ليس عنده، ولا يقدر عليه، وقوله ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم: ٤٢] متضمن لكنز عظيم، وهو أنَّ كل مراد إن لم يُرَدْ لأجله ويتصل به، وإلا فهو مضمحل منقطع، فإنه ليس إليه المنتهى، وليس المنتهى إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها، فانتهت إلى خلقه ومشيئته وحكمته وعلمه، فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يُحَب لأجله فمحبته عناء وعذاب، وكل عمل لا يراد لأجله فهو ضائع وباطل، وكل قلب لا يصل إليه فهو شقي محجوب عن سعادته وفلاحه، فاجتمع ما يراد منه كله في قوله «**وإن من شيء إلا عندنا خزائنه**»، واجتمع ما يراد له كله في قوله «**وأنَّ إلى ربك المنتهى**»، فليس وراءه سبحانه غاية تطلب، وليس دونه غاية إليها المنتهى[1].

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ٢٠٢).

❁ ومنها: أنَّ الله الرزاق يوزع الأرزاق بحكمة بالغة:

فكل مخلوق له رزقه، وهداه الله إليه، وقسم الله تعالى الأرزاق بحكمة بالغة سبحانه وتعالى.

إنَّ الله تعالى من رحمته جعل لكل مخلوق رزقًا وأعلمه بذلك وفطره على ذلك إنسًا أو جانًّا أو حيوانًا، فهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، قال: ألا تتقي الله؟! تنزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ؟! فقال: يا عجبي! ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق! قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ، فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ، فنودي بالصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للراعي: أخبرهم، فأخبرهم، فقال رسول الله ﷺ «**صدق والذي نفسي بيده**»(١).

ولحكمته سبحانه وتعالى قد يضيق على عبده المؤمن الرزق لما فيه من الخير له، لكن العبد لجهله يستعجل الدنية، ويترك المصلحة العليَّة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فهكذا الرب سبحانه لا يمنع عبده المؤمن شيئًا من الدنيا إلا ويؤتيه أفضل منه وأنفع له، وليس ذلك لغير المؤمن، فإنه يمنعه الحظ الأدنى الخسيس، ولا يرضى له به ليعطيه الحظ الأعلى النفيس، والعبد لجهله بمصالح نفسه، وجهله بكرم ربه، وحكمته ولطفه لا يعرف التفاوت بين ما

---

(١) أخرجه: أحمد (١٨/ ٣١٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٢).

منع منه، وبين ما ذخر له، بل هو مولع بحب العاجل وإن كان دنيئًا، وبقلة الرغبة في الآجل وإن كان عليًّا، ولو أنصف العبد ربه وأنَّى له بذلك لعلم أنَّ فضله عليه فيما منعه من الدنيا، ولذاتها، ونعيمها أعظم من فضله عليه فيما آتاه من ذلك، فما منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا امتحنه إلا ليصافيه، ولا أماته إلا ليحييه، ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه، وليسلك الطريق الموصلة إليه، فجعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر، أو أراد شكورًا، وأبى الظالمون إلا كفورًا، والله المستعان[(١)].

❁ ومنها: أنَّ الله الرزَّاق عدل في تقسيم الأرزاق:

فلا مصلحة له سبحانه في تضييق الرزق على أحد من عباده، أو حرمانه من بعض رزقه، بل إنه تكفل بأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، وإن كان كافرًا فلا يموت حتى يستكمل رزقه الذي كتبه الله له.

عن معمر عن عمران صاحب له قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما تركت شيئًا يقربكم من الجنة، ويباعدكم عن النار إلا قد بينتُه لكم، وإنَّ روح القدس نفث في روعي، وأخبرني أنها لاتموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها وإن أبطأ عنها، فيا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء رزقه أن يخرج إلى ما حرم الله عليه، فإنه لا يُدرَك ما عند الله إلا بطاعته**»[(٢)].

قال ابن القيم:

ولا تحمد أحدًا على رزق الله، ولا تلم أحدًا على ما لم يؤتك الله، فإنَّ

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ٥٧).

(٢) أخرجه: عبدالرزاق في مصنفه (١١/ ١٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٨٥).

رزق الله لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهة كاره[١].

فالله تعالى يسوق الرزق بقدر معلوم عنده، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧]، وقال: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١].

❁ ومنها: أنَّ طلب الرزق لا بد أن يكون بالطريق الحلال:

طالما أنَّ الله هو الرزاق، فمن العبث وسوء الفهم أن أطلب الرزق بالحرام، وأطلبه بمعصيته، وأستكثر منه بما يغضبه، فابتغ الرزق عند الله بطاعته وتقواه قال رسول الله ﷺ:«**فاتقوا الله فأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية، فإنَّ الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته**»[٢]. اتق الله وأنت تطلب الرزق، فلا يحملك استبطاء الرزق في ما ترى أن تطلبه بالمعصية، وهو آتيك حتمًا إمَّا من الطاعه وإمَّا من المعصيه ولكنكم قوم تستعجلون.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

جمع النبى فى قوله «**فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب**» بين مصالح الدنيا والآخرة، ونعيمها ولذاتها إنما ينال بتقوى الله، وراحة القلب والبدن، وترك الاهتمام والحرص الشديد والتعب والعناد والكد والشقاء فى طلب الدنيا إنما ينال بالإجمال في الطلب، فمن اتقى الله فاز بلذة الآخرة ونعيمها، ومن أجمَلَ

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ١٤٧).

(٢) سبق تخريجه.

فى الطلب استراح من نكد الدنيا وهمومها، فالله المستعان[١].

❁ ومنها: أنَّ الزيادة في رزق البدن لا يدل على رضا الله تعالى:

فالزيادة في رزق البدن لا يدل على رضا الله عن عبده، ولا محبته له؛ إذ إنه يرزق هذا الرزق المؤمن والكافر، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ: ٣٧]، ولكن دليل المحبة والرضا هو الرزق النافع في الآخرة ألا وهو الدين والعلم، فالله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن يحب.

❁ ومنها: أنَّ الطاعات سبب لزيادة الأرزاق:

فلأنه الرزَّاق ربط سبحانه وتعالى زيادة الرزق، وبركته بالطاعة، وأعلم مخلوقاته أنه كلما ازداد العبد طاعةً ازداد رزقًا، وذلك ليقطع على ابن ءادم وسوسة الشيطان له أنَّ الطاعة قد تكون سببًا في منع الرزق أو قلته.

فربط الله زيادة الرزق ببعض الصالحات منها:

❑ **الإيمان والتقوى**، فقال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾** ﴾ **[الأعراف: ٩٦]**.

❑ **ومنها حسن التوكل على الله:**

عن عمر بنِ الخطابِ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أنكم كنتم توكلون على**

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ٥٩).

الله حق توكله لرُزِقتم كما يُرزَق الطير تَغْدو خِماصًا وتروح بِطانًا»(١).

□ ومنها صلة الرحم:

عن أنسِ بنِ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «مَن سرَّه أن يُبسَط له في رزقه، أو يُنسَأ له في أثرِه، فليصل رحمه»(٢).

□ ومنها الأمانة:

عن عروة بن أبي الجعد البارقي قال: عرض للنبي ﷺ جلب فأعطاني دينارًا، وقال: أي عروة ائت الجلب فاشتر لنا شاة، فأتيت الجلب، فساومت صاحبه فاشتريت منه شاتين بدينار، فجئت أسوقهما أو قال أقودهما، فلقيني رجل فساومني فأبيعه شاة بدينار، فجئت بالدينار وجئت بالشاة، فقلت: يا رسول الله هذا ديناركم وهذه شاتكم، قال: «وصنعت كيف»؟قال: فحدثته الحديث فقال: «اللهم بارك له في صفقة يمينه»، فلقد رأيتني أقف بكناسة الكوفة، فأربح أربعين ألفًا قبل أن أصل إلى أهلي، وكان يشترى الجواري ويبيع(٣).

□ ومنها الاستغفار، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

سبحان ربي الرزَّاق، لما علم الله تعالى تعلق القلوب بالرزق وطلبها له،

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣١٠).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٣) أخرجه: أحمد (٤/ ٣٧٦)، وقال الأرنؤوط: مرفوعه صحيح وهذا إسناد حسن.

والله يريد من عباده العبادة ليجزيهم بها ربط هذا بتلك، فجعل الرزق وزيادته وبركته في سلوك الطريق إلى الله لكي لا يكون للعباد حجة على الله.

❁ ومنها: ذهاب الهموم والأحزان والانشغال بتدبير الأمور:

فلا تنشغل بتدبير الأمور أي بنتائجها، افعل ما بوسعك، ودع النتائج والأرزاق وضمانها وسعتها للرزاق.

وصدق القائل:

لا تـدبر لـك أمـرك فـأولوا التـدبير هلكـى

سـلم الأمـر إليـه فهـو أولـى بـك منـك

فاترك التدبير وضمان الأرزاق لربها، فهو أعلم بمصلحة العبد من نفسه، وأقدر على جلب المصالح له، بل وهو أنصح له من نفسه، وأرحم به من نفسه، وأبر بها منه.

فلوسلمت الأمر إليه، وألقيت حاجتك عليه، وطرحت نفسك بين يديه انطراح العبد الذليل المحتاج بين يدي السيد العزيز الرزاق استرحت من الهموم والأحزان والضنك، وحمل الله حاجاتك وأرزاقك، وأوصلها إليك بدون تعب منك، وهذا جزاء صرف العبد همه وحاجته إلى مولاه، وتوكله عليه، وطلب الرزق منه وحده.

لذا كان النبي ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وكيف يخشى الفقر ورزقه بيد ربه الرزاق.

وكان أبوبكر يخرج ماله ويقول تركت لأهلي الله ورسوله.

عن عمر قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك عندي مالًا فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا. قال: فجئت بنصف مالي. فقال

رسول الله ﷺ «**ما أبقيتَ لأهلك**»؟ فقلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده. فقال: «**يا أبا بكر ما أبقيتَ لأهلك**»؟. فقال: أبقيتُ لهم الله ورسوله. قلت: لا أسبقه إلى شيء أبدا[١].

قال أبوحازم سلمة بن دينار:

وجدت الدنيا شيئين : شيء هو لي وشيء هو لغيري، فأما الذي هو لي فلو طلبتُه قبل أجله بحيلة السموات والأرض لم أقدر عليه، وأما الذي هو لغيري فلم أصبه فيما مضى فلم أرجه فيما بقي.

يُمنَع رزقي من غيري، كما يُمنَع رزق غيري مني، ففي أي هذين أفني عمري؟![٢].

قيل لحاتم الأصم : على ما بنيت أمرك هذا من التوكل؟

قال : على أربع خلال : علمت أن رزقي لا يأكله غيري فلست أهتم له، وعلمت أنَّ عملي لا يعمله غيري، فأنا مشغول به، وعلمت أنَّ الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره، وعلمت أني بعين الله في كل حال فأنا أستحيي منه[٣].

لذا لما سأله رجل من أين تأكل؟ فقال: «**ولله خزائن السماوات والأرض**»[٤].

شكا رجل إلى إبراهيم بن أدهم كثرة عياله، فقال يا أخي: انظر كل من في

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٦٨٤)، وقال الألباني في المشكاة حديث حسن (٦٠٢١).

(٢) أخرجه: أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٠٣)، والبيهقى في الشعب (٢/ ١٠٤).

(٣) تاريخ بغداد للخطيب (٨/ ٢٤٣).

(٤) البيهقي في الشعب (٢/ ٩٧)، (٢/ ١١٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٤).

منزلك ليس رزقه على الله، فحوله إلى منزلي[١].

وروي أنَّ حاتم الأصم قال: لأولاده إني أريد الحج فبكوا، وقالوا إلى من تكلنا؟ فقالت إحداهما: دعوه يذهب فليس برزاق.

فخرج فباتوا جياعًا، فجعلوا يوبخون أختهم هذه.

فقالت: اللهم لا تخجلني بينهم.

فمر بهم أمير البلد فقال لبعض أصحابه: اطلب لي ماء، فناوله أهل حاتم كوزًا جديدًا وماءً باردًا، فشرب.

فقال: دار من هذه؟ فقالوا: دار حاتم الأصم.

فرمى فيها صرة من ذهب، وقال: من أحبني فليصنع مثل ما صنعت.

فرمى العسكر ما معهم من المال.

فجعلت البنت تبكي. فقالت: أمها ما يبكيك، وقد وسع الله علينا؟

فقالت: لأنَّ مخلوقًا نظر إلينا نظرة فاغتنينا، فكيف لو نظر الخالق إلينا[٢].

عن ابن عباد الصيرفي أنه قال:

بينما أنا نائم إذ قيل لي في المنام: يا ابن عباد قم فأغث الملهوف.

فقلت: وأين هو؟ فقيل لي: اركب دابتك فهو حيثما وقفَتْ.

قال: فانتبهت من نومي وركبت دابتي، وجعلت أتخلل بها أزقة بغداد حتى انتهيت إلى مسجد، فوقفتِ الدابة، ونزلتُ عنها، ودخلتُ المسجد، فإذا

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٦/ ٣٤٥).

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي (١/ ١٤٩).

برجل مستقبل القبلة، فسلمت عليه، وقلت: ما قضيتك؟

فقال: إني رجل ذو عيال ولم يكن عندهم الليلة شيء، فجلست ها هنا، وطلبت من الله الفرج.

قال: فأعطيته مائة دينار، وقلت له: أنا بن عباد الصيرفي، فإذا احتجتَ إلى شيء فائتني. فقال: سبحان الله!!

أترك الذي أقامك من فراشك وأتى بك إليَّ في ظلمة الليل، وأذهب إلى غيره؟![(١)].

❁ ومنها: أنَّ الرزاق رِزْقُهُ دائم على عباده لا ينقطع:

فما أَخَذ إلا وأعطى، وما حَرَم إلا وأبدل، وما ضَيَّق من جهة إلا ووسع من جهات، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: واذا سد عليك بحكمته طريقًا من طرقه فتح لك برحمته طريقًا أنفع لك منه، فتأمل حال الجنين يأتيه غذاؤه وهو الدم من طريق واحدة، وهو السرة، فلما خرج من بطن الأم، وانقطعت تلك الطريق فتح له طريقين اثنين، وأجرى له فيهما رزقًا أطيب وألذ من الأول لبنًا خالصًا سائغًا، فاذا تمَّت مدة الرضاع، وانقطعت الطريقان بالفطام فتح طرقًا أربعة أكمل منها، طعامان وشرابان، فالطعامان من الحيوان، والنبات، والشرابان من المياه والألبان، وما يضاف إليهما من المنافع والملاذ، فإذا مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربعة، لكنه سبحانه فتح له إن كان سعيدًا طرقًا ثمانيةً، وهي أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء[(٢)].

---

(١) المستغيثين بالله تعالى في المهمات والحاجات لابن بشكوال (١/ ١٠٨).

(٢) الفوائد لابن القيم (١/ ٥٧).

۞ ومنها: أنَّ الحواجز وضعف الأسباب لا تمنع وصول الرزق من الرزَّاق لعباده:

فمهما عظمت الموانع، وضعفت طرق ووسائل الرزق، فلا تستطيع الحواجز والموانع مَنْعَ وصول الرزق المقدر للعبد، فإنَّ ابن ءادم لو هرب من رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت، قال رسول الله ﷺ: «**لو أنَّ ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت**»(١).

ما عليك إلا أن تأخذ بالأسباب، وتثق بربك الرزاق.

ألا تثق بربك الرزاق، وهو الذي يرزق النمل في الجحور وتحت الصخور الصماء.

ألا تثق بربك الرزاق، وهو الذي يرزق السمك والحيتان في قاع البحار وتحت الماء.

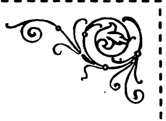
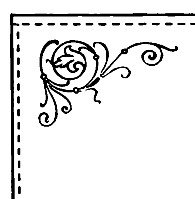
ألا تثق بربك الرزاق وهو الذي يرزق الطير في الهواء، بدون مشقة أو عناء.

كل ذلك لأنها تخرج ملقية طلبها ورزقها على ربها الرزاق، الذي يرزق كل دابة في الأرض وفي السماء.

قال الله تعالى: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ١٧﴾ [العنكبوت: ١٧].

---

(١) أخرجه: البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤١٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٤٠).

النصير جلَّ جلاله

النصير هو الذي ينصر أولياءه.

النصير هو الذي يعين أولياءه على أعدائه.

النصير هو الذي يستجيب طلب النصرة ممن دعاه وطلب نصرته.

النصير هو الذي ييسر طرق النصر وأسبابه.

النصير هو الذي ينصر عند اكتمال الأسباب، وعند ضعف الأسباب، وعند انعدام الأسباب.

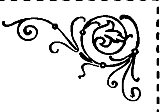
النصير هو الذي ينصر العبد على نفسه والهوى والشيطان.

۞ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران: ١٥٠]، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النساء: ٤٥]، وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١].

عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: «**اللهم أنت عَضُدِي ونَصِيري، بك أَحُولُ، وبك أَصُولُ، وبك أُقاتِلُ**»[1].

(١) أخرجه: أبوداود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود

آثار الإيمان باسم الله «النصير»

❁ منها: الأخذ بأسباب النصرة والعمل بها:

□ ومن هذه الأسباب: الاعتصام بحبل الله جميعا وعدم التفرق، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

□ ومنها: الثبات، والصبر، وطاعة الله تعالى ورسوله، وذكر الله تعالى، وعدم التنازع الذي يؤدي إلى الفشل والهزيمة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٥ - ٤٦].

□ ومنها: **نصرة الله تعالى ورسوله ﷺ**، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد: ٧].

والمعنى: إن تنصروه بطاعته وامتثال أمره ينصركم بقوته وتوفيقه.

(٢٣٦٦).

❁ ومن آثاره أيضًا: عدم طلب النصرة والتعلق بغير الله:

فإنَّ الله هو النصير بل هو نِعْمَ النصير، ولقد نصر النصيرُ النبي ﷺ، وأصحابَهُ يوم بدر، وكانوا قد خرجوا لغير قتال، فلا عدة ولا عدد ولا عتاد، لكن لما كتب عليهم القتال، وتعلقت قلوبهم بالنصير، وتعالت دعواتهم وأناتهم وابتهالهم جميعًا جاءهم النصر وأيدهم الله بملائكته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وأما في غزوة حنين خرجوا للغزوة وبعدة وعتاد، لكن لما تعلقت قلوب بعضهم ببعض الأسباب، وركنوا إليها، وقالوا لن نغلب اليوم من قلة سلبهم النصير النصر حتى عادوا إليه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة: ٢٥]، بل بين سبحانه أنَّ العبد ليس له ناصر ومعين إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [البقرة: ١٠٧]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ١٠].

❁ ومنها: الاكتفاء بالله نصيرًا والرضا به:

فإنَّ عدم الرضا بالنصير الذي يعدك بالنصر يعني أشياء: إمَّا أنه غير قادر على النصرة لذا لا أرتضيه، وإمَّا أنه قادر لكن هناك أفضل منه وأقدر، وإمَّا أنني لا أثق به فأبحث عن غيره، وحاشاه سبحانه، فهو القادر على النصرة بل هو وحده القادر، بل هو نعم النصير ولا نصر أحسن وأوفى وأكمل من نصره،

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥﴾ [النساء: ٤٥]، وقال: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾ [الفرقان: ٣١].

❁ ومنها: أنَّ من ينصره الله فلا غالب له:

قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران: ١٦٠].

ولو اجتمعت عليه الدنيا وأحاطت به، وقُطعت دونه المئونة والأسباب، فلقد أحاط الكفار بالنبي ﷺ وهو ببيته لكي لا يخرج، ونصره النصير عليهم وخرج، وأحاطوا به وبأصحابه في غزوة الأحزاب وبالمدينة ليستأصلوا شأفتهم، ونصرهم النصير وعاد الكفار مخذولون إلى غير رجعة؛ ذلك لأنهم علموا أنَّ الله هو النصير، ونصر الله نبيه لوطًا، وقد أحاط به قومه حين أتته الملائكة، وأعلموه أنه يأوي إلى ركن شديد قوي ألا وهو ركن النصير سبحانه تعالى.

❁ ومنها: أنَّ العبد إذا خذله الله النصير وسلبه نصره فلن يجد له ملجأً ونصيرًا:

قال تعالى: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠﴾ [الملك: ٢٠].

وضرب الله الأمثلة لأناس كفروا بالله، فسلبهم النصير النصر، مع ما أُوتوا من القوة والعدد والعتاد، ولم يجدوا لهم نصيرًا، فقال عن فرعون ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥﴾ [نوح: ٢٥].

وقال عن قارون ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن

دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص: ٨١].

ومنها: البعد عن أسباب الهزيمة وسلب النصر:

ومن ذلك:

❑ المعصية ومخالفة أمر الله تعالى، فإنها من أكبر أسباب جلب الهزيمة، والحرمان من نصرة الله تعالى؛ لذا قال تعالى عن نبي الله صالح ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾ [هود: ٦٣].

وقدر الله الهزيمة في غزوة أحد لما خالف بعض أصحاب النبي ﷺ أمره، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

❑ ومنها: التعلق بالأسباب المادية والعدد والعدة والكثرة، وضعف التعلق بالله، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ٢٥].

❑ ومنها: إهانة الضعفاء وعدم تقديرهم وامتهانهم، وألَّا يعبأ بهم، فهذا يُذهِب النصر، قال تعالى حكاية عن هود ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [هود: ٣٠]، عن مصعب بن سعد قال: رأى سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ له فضلًا على من دونه، فقال النبي ﷺ: «**هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم**»(١).

---

(١) أخرجه: البخاري (٢٨٩٦).

❁ ومنها: طلب العبد من الله تعالى النصرة على نفسه والشيطان والهوى:

فهم أشد عليه وأخطر من كل عدو؛ إذ بينهم وبينه ملازمة لا تنفك، فعداوتهم له وحربهم عليه في كل وقت، ويعرفون منه أماكن ضعفه وخوره، وهم يرونه ولا يراهم، لذا لا ناصر له في هذه الحال إلا بنصر النصير سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

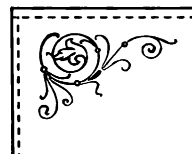
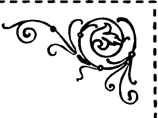
قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، أي متى اعتصمتم به تولاكم، ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان، وهما العدوان اللذان لا يفارقان العبد، وعداوتهما أضر من عداوة العدو الخارج، فالنصر على هذا العدو أهم، والعبد إليه أحوج، وكمال النصرة على العدو بحسب كمال الاعتصام بالله.

لذا لما أخلص أهل بدر لله، وضربوا أروع الأمثلة في الثقة بالله ونصرِه، ونصرهم الله على الكفار، كافأهم الله تعالى أعظم مكافأة بأن أتم نصره عليهم، ونصرهم على عدوهم الأكبر وهو الشيطان والهوى، وذلك بأنْ غفر لهم ما يعملون[1].

ꕥ◊ꕥ

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ١٨٠).

الحيي جلّ جلالُه

الحيي هو المتصف بالحياء.

الحيي هو الذي يستحيي أن يكشف سر عبده، أو يهتك ستره.

الحيي يستحيي اذا رفع العبد إليه يديه أن يردهما صفرًا.

الحيي يحب العبد الحيي؛ لأنَّ الحياء من صفاته، ولا يتصف الله إلا بصفات الكمال، فهو يحب من عباده أن يتصفوا بالمحامد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

وهو الحيي فليس يفضح عبده   عند التجاهر منه بالعصيان

لكنه يلقي عليه ستره   فهو الستير وصاحب الغفران[1]

✿ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

عن يعلى بن أمية قال: قال رسول الله ﷺ:«**إنَّ الله تعالى حيي ستير يحب الحياء والستر**»[2].

عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال «**إنَّ ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا**»[3].

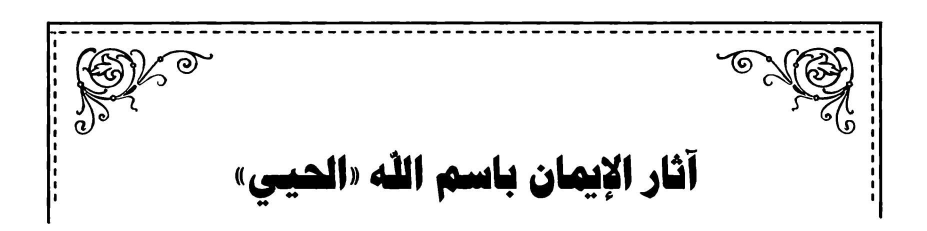
ذلك لأنه ربهم الذي تكفل بهم، فهو الذي يرزقهم، ويجيب دعاءهم، ويوفقهم ويعطيهم حاجتهم؛ لذا يستحي أن يردَّ يدَيْ عبده وهو ربه، وليس له رب يدعوه سواه.

---

(١) النونية لابن القيم (٢٠٧).

(٢) أخرجه أبوداود (٤٠١٢)، والنسائى (٤٠٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٥٦).

(٣) أخرجه أبوداود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٣٧).



آثار الإيمان باسم الله «الحيي»

❁ **من هذه الآثار: الحياء من الله تعالى:**

فمن العجيب، والعجائب جَمَّةٌ، أنَّ الله يستحيي من عبده وعبده لا يستحيي منه، فواهًا لنفس استحيى الله منها، وهو الغني عنها، وهي لم تستح منه وهي فقيرة إليه! وأفٍّ لنفس يستحيي الله منها، وهو القوي، ولم تستح منه وهي الضعيفة الذليلة الخاضعة إليه.

لذلك لما سئل النبي ﷺ عن كشف العورات إذا كان الرجل خاليًا ليس معه أحد، فقال رسول الله ﷺ **«الله أحق ان يستحيى منه»**، فما أجاز كشف العورة لرجل أو امرأة إذا كان خاليًا؛ لأنَّ الحيي ينظر إليه.

فيجب على العبد أن يستحيي من الله حق الحياء، والحياء من الله حق الحياء هو حفظ حدود الله، والبعد عن الوقوع في الآثام والمحرمات.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ **«استحيوا من الله حق الحياء»**، قال: قلنا: يا رسول الله إنا لنستحيي والحمد لله، قال **«ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»**(١).

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٤٥٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (١٧٢٤).

فاستحي من الله تعالى الحيي حق الحياء، وإن كان في ذلك المشقة والتعب، فإنَّ إكرام النفس وراحتها في الآخرة يكون بتعبها في الدنيا، وعزها هناك بذلها لربها هنا، ومن لم يستحي من الله واتبع هواه أورثه ذلك الألم وسوء العاقبة، فشراب الهوى حلو لكنه مرٌّ عواقبه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

شمعة النصر إنما تنزل في شمعدان الانكسار، لا يُكرِم العبد نفسه بمثل إهانتها، ولا يعزها بمثل ذلها، ولا يريحها بمثل تعبها.

كما قيل:

سأتعب نفسي أو أصادف راحة ... فإنَّ هوان النفس في كرم النفس

ولا يشبعها بمثل جوعها، ولا يؤمنها بمثل خوفها، ولا يؤنسها بمثل وحشتها من كل ما سوى فاطرها وبارئها، ولا يحييها بمثل إماتتها. كما قيل:

موت النفوس حياتها ... من شاء أن يحيا يموت

شراب الهوى حلو، ولكنه يورث الشرق.

من تذكر خنق الفخ هان عليه هجران الحبة[1].

❁ ومنها: أنَّ الحيي يحب الحياء ويكافئ أهله:

وأعظم ما يكافئهم به أن قرن الله الحياء بالإيمان؛ لأنَّ القرب من الله يزيدك إيمانًا؛ ولأنَّ الله حيي فإنك إذا اقتربت منه، فإنك ستزداد حياءًا؛ لذلك قال رسول الله ﷺ: «**الحياء والإيمان قرنا جميعا، فإذا ذهب أحدهما ذهب**

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ٦٧).

الآخر»[(١)]، ومر ﷺ على رجل يعظ أخاه في الحياء، فقال: «**دعه فإنَّ الحياء من الإيمان**»[(٢)]، بل جعل النبي ﷺ الحياء شعبة من بضع وستين أو بضع وسبعين شعبة من الإيمان، قال رسول الله ﷺ:«**الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة: أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الايمان**»[(٣)]؛ لذا جعل ﷺ الحياء كله خير ولا شر فيه، فقال رسول الله ﷺ «**الحياء خير كله**»[(٤)]، ولما كان الحياء من الإيمان عُلم أنه لا يأتي إلا بخير، فقال رسول الله ﷺ «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[(٥)].

ومما يكافئ الله به أهل الحياء أن يستحيي الله منهم، وحق لعبد يستحيي الله منه أن يكون من السعداء الناجين عند الله تعالى، عن أبي واقد الليثي: أنَّ رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، وذهب واحد، فوقف على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ، قال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أمَّا أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأمَّا الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأمَّا الآخر فأعرض فأعرض الله عنه**»[(٦)].

---

(١) أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٣٣٧)، وشعب الإيمان للبيهقي (١٠/ ١٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٠٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٦١١٨)، ومسلم (٣٦).

(٣) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٤) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧)، واللفظ له.

(٥) الحديث السابق.

(٦) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

ومنها: أنَّ الحياء اتِّباع لمنهاج النبوة والصالحين:

لما كان الحياء من صفات الله تعالى أعطاه لأحبابه، فكان أشد الخَلقِ حياءًا الأنبياء، ثم من تبعهم.

وكان الأنبياء أكثر الناس حياءًا لأنهم أكثر الناس إيمانًا، وأقرب الناس إلى الله، فكان النبي ﷺ أشدَّ حياءًا من العذراءِ في خدرِها، عن أبي سعيد قال: «**كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها**»(١).

عن عائشة قالت: سألت امرأة النبي ﷺ: كيف تغتسل من حيضتها؟ فذكرت أنه علمها كيف تغتسل، ثم تأخذ فرصة من مسك، فتطهر بها، قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: «**تطهري بها سبحان الله، واستتر**» -وأشار سفيان بن عيينة بيده على وجهه- قالت عائشة: واجتذبتها إليَّ، وعرفت ما أراد النبي ﷺ، فقلت: تتبعي بها أثر الدم(٢).

وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أشد بني اسرائيل حياءًا، وكان يغتسل وحده، وكان يشاع في بني إسرائيل الغسل سويًّا، وكان لا يُرى شيءٌ من جلده، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال «**إنَّ موسى كان رجلًا حييًّا سِتِّيرا لا يُرى من جلده شيءٌ استحياء منه**»(٣).

وكذلك الصالحون بلغو المراتب العليا في الحياء.

فكان أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يغتسل إلا في غرفة مظلمة، وينحني على نفسه، ولا يرفع صلبه حتى يتناول ثيابه، فاذا سئل عن ذلك يقول حياءًا

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٢) أخرجه: مسلم (٣٣٢).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٤٠٤)، واللفظ له، ومسلم (٣٣٩).

من ربي[١].

والمؤمنات العفيفات كان الحياء لهن شعارًا ودِثارًا، فقولهن حياءٌ، وفعلهن حياءٌ، ومشيتهن حياءٌ، قال الله تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥﴾ [القصص: ٢٥].

وكانت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تقول: لما دُفِن رسول الله وأبوبكر كنت أدخل حجرتي واضعة ثوبي، قالت: فلما دفن عمر ما كنت أدخل حجرتي إلا مشدودة علي ثيابي حياءًا من عمر[٢].

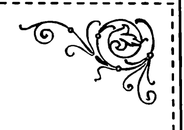
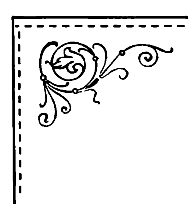
المرأة الحيية تصبر على شدة المرض والألم، ولكنها لا تصبر على خدش حيائها وكشف عوراتها، قال ابن عباس لعطاء ألا أريك امرأة من أهل الجنة تلك المرأة السوداء أتت النبي ﷺ قالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي، فقال رسول الله ﷺ «**إن شئت صبرت ولك الجنة**»، قالت: أصبر، ولكني أتكشف فادعو الله ألا أتكشف، فدعا لها النبي ﷺ[٣] فكانت تصرع ولا تتكشف.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ١١٣)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ٤٠١).

(٢) أخرجه: أحمد (٤٤٠/ ٤٢)، وقال الألباني في المشكاة (١٧٧١) رجاله رجال الصحيح.

(٣) سبق تخريجه.

السِتِّير جلَّ جلالُه

السِتِّير هو ساتر العورات والمعائب والفضائح.

السِتِّير هو تارك الذنوب والآثام والقبائح.

السِتِّيرهو الذي يحب الستر.

السِتِّير هو الذي يعلم السرَّ والخفيَّ ويخفيه عن كثير من عباده سبحانه وتعالى، فلو اطَّلَع الناس على ما يخفيه الله تعالى ويستره لافتضح الناس وساءت أحوالهم.

الستير من الستر وهو الغطاء، فهو الذي يضع غطاء الستر على عبده حال معصيته له، فيحجبه عن أعين الناس، فعبده يعصيه، وهو يستره ويحميه، وعن أعين الخلق يخفيه، سبحانه ما أعظمه وأحلمه!

اسم الله السِتِّير هو اسم يحتاجه كل عبد، بل إنه لا يستغني عنه العبد طرفة عين؛ لأنَّ كل عبد مخطئ ومذنب، وكلُّ ابن ادم خطاء.

فالحياة تستمر وتستقيم بستر الله للناس بعضهم عن بعض، فلو كشف الله ستره عن الناس، ما وُجِدتْ هيبةٌ للآباء في قلوب أبنائهم، ولا محبةٌ وعطف للأبناء في قلوب آبائهم، ولا سَلِم الصديق لصديقه، ولا الحبيب لحبيبه، ما سمع الناس من الدعاة دعوة، ولا تعلم طالب للعلم من معلم، ولاضطربت الحياة، وزادت البغضاء والعداوة في المجتمع، وعُدِمت الثقة، وتوقفت الحياة.

بلغ داود الطائي أنه ذُكر عند بعض الأمراء، فأثنى عليه، فقال: إنما نتبلغ

بستره بين خلقه، ولو يعلم الناس بعض ما نحن فيه، ما ذل لسان أن نُذكَر بخير أبدًا[١].

قال ابن القيم في نونيته:

وهو الحيي فليس يفضح عبده عند التجاهر منه بالعصيان
لكنه يلقي عليه ستره فهو السِتِّير وصاحب الغفران[٢]

❁ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

عن يعلى بن أمية قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله عز وجل حيي سِتِّير يحب الحياء والسِّتر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»[٣].

والستر من نعم الله الباطنة التي أسبغها على عباده، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

قال الضحاك:

أما الظاهرة فالإسلام والقرآن، وأما الباطنة فما يَستُر من العيوب[٤].

ولكن العبد الذي يفوز بآثار هذا الاسم هو العبد الذي ما زالت فيه بقية حياة، حتى وإن كان عاصيًا، فجعلها الله لأصحاب القلوب الحية، حتى وإن خالفو أمر الله تعالى.

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ٣٥٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مكارم الأخلاق للخرائطي (٥٤٨).

❁ أناس حُرموا من سِتر الله تعالى:

ومع كل هذا قد يكشف الله ستره عن بعض عباده، فياترى ماذا فعل هؤلاء حتى خرجوا من هذا السِّتر العظيم؟ كيف لم يأخذوا بحظهم من هذا الاسم؟! كيف تركهم ربهم، وهو الستير، ورأى أنهم لا يستحقون الستر؟

كيف خرجوا من مظلة ستره، وأصبحوا ظاهرين بادين للناس؟

ياحسرةً على عبد خرج من ستر ربه، وأصبح مكشوفًا مفضوحًا للناس!

وهؤلاء أناس ماتت قلوبهم أو كادوا، فلم يشعروا بنعمة الله عليهم، ولم يشكروها، فباتوا لا يرونها نعمة، فكشفوا بأنفسهم ستر الله عليهم، وهم المجاهرون بالمعاصي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإنَّ من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملًا، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه**»[١].

بل لحب الله تعالى للستر نهى نبيه ﷺ أن يتحدث المسلم بما يفعل مع أهله في الحلال، فما بالك بالحرام. عن أسماء بنت يزيد: أنها كانت عند رسول الله ﷺ، والرجال والنساء قعود عنده، فقال: «**لعل رجلًا يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها**» فأَرَمَّ القوم[٢]، فقلتُ: إي والله يا رسول الله إنهن ليقُلْنَ، وإنهم ليفعلون، قال: «**فلا تفعلوا، فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق، فغشيها والناس ينظرون**»[٣].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).

(٢) فأَرَمَّ القوم: أي سكتوا.

(٣) أخرجه: أحمد (٦/ ٤٥٦)، والطبراني (٢٤/ ١٦٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع





آثار الإيمان باسم الله «السِتِّير»

۞ منها: إنَّ ستر الله على العبد دليل بقية الخير فيه:

فطالما أنَّ الله يستر العبد إذًا ما زالت فيه بقية خير، لكن على العبد أن يحذر فالله قد لا يستر العاصي دائمًا، فقد يأتي في وقت ويكشف ستره عنه، ومن ظل مستورًا حتى يلقاه فهو المبشر الناجي، فما سُتر أحد في الدنيا إلا سُتر يوم القيامة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يستر الله على عبد في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة**»(١).

فمن ستره الله تعالى فيما مضي فليحمد الله تعالى، وليحذر من المستقبل.

والذي ما زال مستمرًّا على المعصية لابد أن يحذر، فربما المعصية الآتية تكون سبب كشف ستر الله عنه، فإذا فضحه في الدنيا قد يفضحه في الآخرة.

۞ ومنها: أنَّ الله السِتِّير يحب الستر:

فيجب أن يستر الإنسان نفسه، ولا يفضح نفسه بما اقترف من المعاصي،

(٤٠٠٨).

(١) أخرجه: مسلم (٢٥٩٠)، وقوله «إلا ستره الله يوم القيامة» قال القاضي: يحتمل وجهين أحدهما: أن يستر معاصيه وعيوبه عن إذاعتها في أهل الموقف، والثاني: ترك محاسبته عليها وترك ذكرها، قال: والأول أظهر لما جاء في الحديث الآخر «يقرره بذنوبه يقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفر لك اليوم».

فإنَّ هذا أمر لا يحبه الله تعالى، وكان النبي ﷺ يحث أصحابه على ذلك، وما كان يحب أن يفضح العبد نفسه حتى وإن كان من أجل التطهير، وإقامة الحدود عليه.

فكان يأتيه الرجل، ويعترف بالمعصية، وما جاء إلا تائبًا يريد أن يطهر نفسه من الذنب، ومع ذلك كان رسول الله ﷺ يود أن لو كان ذلك بينه وبين الله، لكنَّ أصحاب القلوب المؤمنة التي تتعجل التطهير ما كانت تنظر الى الناس، فهذا كان يدفع أهل القلوب الحية للذهاب إلى إقامة الحد طالما أنَّ فيه تطهيرًا، ويقول إنَّ عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله قبلت امرأة، وفي رواية فعلت بها كل شيء، غير أني لم أمسها (يعني لم أجامعها)، فسكت النبي ﷺ، فقال عمر -وكان جالسًا- هلَّا سترتَ على نفسك، وقد سترك الله هلَّا سترتَ على نفسك، وقد سترك الله، فأنزل الله «**إن الحسنات يذهبن السيئات**»[1].

وقال أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لو أخذتُ سارقًا لأحببتُ أن يستره الله، ولو أخذتُ شاربًا لأحببتُ أن يستره الله تعالى[2].

وعن أبي الشعثاء قال: كان شرحبيل بن السِّمط على جيش فقال: إنكم نزلتم أرضًا فيها نساء وشراب، فمن أصاب منكم حدًّا فليأتنا حتى نطهره، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فكتب إليه: لا أُمَّ لك تأمر قومًا ستر الله عليهم أن

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣)واللفظ له.

(٢) أخرجه: ابن سعد (٥/ ١٣)، وابن أبى شيبة (٥/ ٤٧٤)، قال الحافظ في الإصابة (٢/ ٦٢٩)إسناده صحيح.

يهتكوا ستر الله عليهم[١].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ امرأة قالت: ياأم المؤمنين إنَّ كريًّا أخذ بساقي وأنا محرمة: فقالت: حِجرًا حِجرًا حَجَرًا (أي سترًا وبراءة من هذا الأمر)، وأعرضت بوجهها، وقالت بكفها، وقالت: يانساء المؤمنين إذا أذنبتْ إحداكن ذنبًا، فلا تخبرنَّ به الناس، ولْتستغفرنَّ الله، ولتتُبْ إليه، فإنَّ العباد يُعَيِّرون ولا يُغَيِّرون، والله تعالى يُغَيِّر ولا يُعَيِّر[٢].

بل كانوا يرون الستر على أنفسهم سببَ نجاةٍ من عذاب الله تعالى.

قال العلاء بن بدر: لا يعذب الله قومًا يسترون الذنوب[٣].

بل من عجيب حب الله للستر أن أمر بالستر في الخلاء حيث كان العبد خاليًا، عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت : يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر، قال: «**احفظ عليك عورتك إلا من زوجك، أو ما ملكت يمينك**»، قلت: فإذا كان بعضنا في بعض، قال: «**فإن استطعت أن لا يرى عورتَك أحدٌ فافعل**»، قلتُ: أرأيتَ إذا كان أحدُنا جالسًا وحده، قال: «**الله أحقُّ أن يُستَحيَي منه**»[٤].

وأمر بالستر عند الصلاة حتى في الخلوات، فأمر المرأة أن تختمر في الصلاة، وإن صلت وحدها، فعن عائشة: عن النبي ﷺ قال: «**لا يقبل الله صلاة**

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٢/ ٤٦٢).

(٢) مكارم الأخلاق للخرائطي (٥٦٦).

(٣) المصدر السابق (٥٦٥).

(٤) أخرجه: أبوداود (٤٠١٧)، والترمذي (٢٧٦٩)، وابن ماجه (١٩٢٠)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٥٥٩).

حائض إلا بخمار»(١).

❁ ومنها: وجوب الستر على المسلم وعدم إشاعة الفواحش:

وذلك لحب الله تعالى للستر، فلأنه سِتِّير جعل جزاء الستر من العبد على العبد ستر الله له في الدنيا والآخرة. عن سالم عن أبيه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**»(٢).

وتوعد الله تعالى من يحب نشر الفواحش، وإشاعتها، وكشف الستر عن الناس بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

وهذا فيمن أحب إشاعتها فقط، فما بالك بمن أشاعها ونشرها.

قال شبيل بن عوف: كان يُقال مَن سمع بفاحشة فأفشاها كان كمن بدأها(٣).

ولذا حذر النبي ﷺ من تتبع عورات المسلمين لكشف عوراتهم، فقال رسول الله ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا**

---

(١) أخرجه: أحمد (٦/ ٢١٨)، وأبوداود (٦٤١)، والترمذي (٣٧٧)، وابن ماجه (٦٥٥)، وابن حبان (٤/ ٦١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٤٧). والمراد بالحائض: أي التى بلغت سن المحيض.

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٣) صحيح الأدب المفرد(٣٢٥)، وقال الألباني حسن الإسناد.

المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتَّبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»[١].

إنَّ الله هو الستير.

فكم عصاه العبد كثيرًا، ومَنَّ عليه وستَرَه، ثم عصاه وستَرَه، ثم عصاه وستَرَه، حتى إذا أتى للقاء ربه، يدني الله مَن ستَرَه في الدنيا منه،، فإذا دنى يضع ربه عليه كنفه، ثم يقول: أي عبدي أتذكر ذنب كذا؟ فيقول: نعم أذكر.

فيقول: أتذكر ذنب كذا؟ فيقول: نعم أذكر. حتى يوقن أنه هالك.

فيقول الله تعالى: قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم[٢].

يالجميل ستر الله، وعظيم أثره في الدنيا والآخرة.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويحاضر الرحمن واحدهم محا ... ضرة الحبيب يقول يا ابن فلان

هل تذكر اليوم الذي قد كنتَ فيه ... مبارزًا بالذنب والعصيان

فيقول ربي أما مننتَ بغفرة ... قدمًا فإنك واسع الغفران

فيجيبه الرحمن مغفرتي التي ... قد أوصلتك إلى المحل الداني[٣]

---

(١) أخرجه: أحمد (٤/ ٤٢٤)، وأبوداود (٤٨٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٤٠).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٣) متن النونية لابن القيم (٣٤٨).

❁ ومنها: إدامة الدعاء بالستر في الدنيا والآخرة:

وقل كما قال الخليل عليه الصلاة والسلام كما حكى الله تعالى عنه ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٧ - ٨٩].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يسترنا والمسلمين في الدنيا والآخرة.

❧◊❧




التوَّاب جلَّ جلاله

التوَّاب هو غافر الذنب وقابل التوب.

التوَّاب هو الذي ييسر أسباب التوبة لعباده.

التوَّاب هو الذي يحب التوبة، ويحب أهلها.

التوَّاب هو الذي يتوب على عباده قبل أن يتوبوا، وبعد أن يتوبوا.

التوَّاب هو الذي إذا رجع إليه التائبون قبل توبتهم، وإن طالت غيبتهم.

التوَّاب هو الذي يقبل العصاة مرة بعد مرة بعد مرة، والله لا يمل حتى تملوا، فكلما تكررت التوبة تكرر القبول.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكذلك التواب من أوصافه	والتوب في أوصافه نوعان
إذن بتوبة عبده وقبولها	بعد المتاب بمنة المنان[1]

❁ **الأدلة الدالة على هذا الاسم:**

قال تعالى ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ٣٧].

وقال: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ

(١) متن النونية لابن القيم (٢٠٩).

هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [التوبة: ١١٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [النور: ١٠].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: **«أذنب عبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أنَّ له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا، فعلم أنَّ له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال: تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أنَّ له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب،**

اعمل ما شئت فقد غفرت لك» قال عبد الأعلى لا أدري أقال في الثالثة أو الرابعة: «**اعمل ما شئت؟**»(١).

قال ابن القيم:

عمرك هو وقتك الحاضر بين ما مضى، وما يستقبل، فالذى مضي تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار، وذلك شيء لا تعب عليك فيه، ولا نصب ولا معاناة عمل شاق، إنما هو عمل قلب، وتمتنع فيما يستقبل من الذنوب، وامتناعك ترك وراحة ليس هو عملًا بالجوارح يشق عليك معاناته، وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك، وسرُّك فما مضى تصلحه بالتوبة، وما يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية، وليس للجوارح فى هذين نصب ولا تعب(٢).

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨).

(٢) الفوائد لابن القيم (١/ ١١٧).





آثار الإيمان باسم الله «التواب»

❁ فمن آثاره: أنَّه أَكْثَرَ العطاءَ للتائبين:

وهذا من عظيم حلمه، وعجيب فعله سبحانه وتعالى، أن يكثر العطاء لعبد ظل يبارزه بالذنوب والمعاصي زمنًا، ليس لشيء إلا لأنه رجع إليه، وتاب وأناب واعترف بخطئه، ولو تاب قَبْل موته بقليل، فلو غفر له ما مضى فقط لكانت منَّةً منه وفضلًا عظيمًا، لكنه يعطيه ويكثر له العطاء، إنَّ هذا لَمَا يَعجَزُ العقل عن إدراك سعته، ويعجز اللسان والبدن عن تأدية شكره.

سبحانك وتعالى ربنا التواب.

ما أعظمك !!

ما أحلمك !!

ما أرحمك!!

ومن هذه العطاءات والمنن التي يمن الله على التوابين بها:

أن جعل المحبة للتائبين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وجعل أهلها هم المفلحين، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

بل ويبدل الله سيئاتهم حسنات، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا

﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

ويفتح بها أبواب الخيرات والبركات في الدنيا، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

بل إنَّ العصاة لما رجعوا إلى التواب، وآبوا إليه أبدلهم قلوبًا طاهرة رقيقة.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق أفئدة[1].

❁ ومنها: أن يكثر العبد التوبة والأوبة إليه:

فكل ابن ءادم خطاء، فلابد من كثرة الرجوع إليه، من يعلم من نفسه المعاصي ومن لا يعلم.

لذا كان الرجوع والإياب إلى التواب من صفات الأنبياء المعصومين، قال تعالى عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: ٣٠].

وكان النبي ﷺ يُعَدُّ له في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم رب اغفر لي، وتب عليَّ، إنك أنت التواب الرحيم، فعن ابن عمر قال: إن كنا لنعُدُّ لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة «**رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم**»[2].

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى (٤/ ١٥).

(٢) أخرجه: أبوداود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، وصححه الألباني في صحيح أبى داود (١٣٥٧).

إنه التعبد باسم الله التواب.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

التوبة من أفضل مقامات السالكين؛ لأنها أول المنازل وأوسطها وآخرها، فلا يفارقها العبد أبدًا، ولا يزال فيها إلى الممات[1].

❁ ومنها: دفع اليأس والقنوط من رحمة الله:

فمهما كانت الذنوب والمعاصي، ومهما تكررت الذنوب وكثرت، فلا يأس فإنَّه هو التواب.

ومهما طال زمن معصيتك فلا تقنط، وعُدْ سيقبلك لأنه تواب. وإن كثرت وعظمت ذنوبك، وملأت خطاياك الأرض، أو بلغت عنان اسماء، إن تبت إليه قبلك، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتَني ورجوتَني غفرتُ لك على ما كان فيك، ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغَتْ ذنوبُك عَنَانَ السماء ثم استغفرتَني غفرتُ لك، ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتَني بِقُرَابِ الأرضِ خطايا ثم لقِيتَني لا تشرِك بِي شيئًا لأتيتك بِقُرابِها مغفرة**»[2].

ومَن يقدر على ذلك إلا التواب!

ومن يقدر على التوبة على رجل قتل مائة نفس، ثم مات بعدها بقليل إلا التواب!

ومن يقدر على التوبة على من آذى أولياءه وأحبابه، بل دعاهم إلى التوبة

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ١٧٨).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٥٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٠٥).

قبل أن يعذبهم إلا التواب!

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج: ١٠].

إنه الله التواب.

لذا فالتوبه يحبها التواب ويحب أهلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢]؛ لأنها صورة من صور الاعتذار.

لأنَّ صور الاعتذار ثلاث صور:

الصورة الأولى: أن يقول لم أفعل.

الصورة الثانية: أن يقول فعلتُ لأجل كذا.

الصوره الثالثه: أن يقول فعلتُ، وأخطأتُ، وأقلعتُ، ولن أعود، وهذه الأخيرة هي التوبة، وهي صورة التوبة الصحيحة، أن يرجع العبد إلى ربه معترفًا بذنبه، عازمًا على أن لا يعود.

ومن هنا كان سيد الاستغفار هو ما اشتمل على الانكسار والاعتراف بالعبودية لله تعالى، والاعتراف بنعمه سبحانه، والاعتراف بذنوب نفسه، وطلب المغفرة.

عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: ومن قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من**

الليل، وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة»[١].

۞ ومنها: أنَّ التوبة توفيق من الله التواب:

فلأنه التواب، وهو يحب التوابين، فهو يوفق أحبابه لها، فوجب على العبد طلبها الدائم، والإلحاح في طلبها عسى أن يوفق إليها، فالتوبة محفوفة بتوبتين من الله التواب سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

[التوبة: ١١٨].

وروي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال:

ومن أُعطي الدعاء لم يُمنع الإجابة، ومن أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

فكما رجع التائب إلى الله بقلبه رجوعًا تامًّا رجع الله عليه بمنزلته وحاله، بل ما رجع العبد إلى الله حتى رجع بقلبه إليه أولًا، فرجع الله إليه، وتاب عليه ثانيًا، فتوبة العبد محفوفة بتوبتين من الله: توبة منه إذنًا وتمكينًا تاب بها العبد، وتاب الله عليه قبولًا ورضى، فتوبة العبد بين توبتين من الله، وهذا يدل على عنايته سبحانه، وبره ولطفه بعبده التائب[٣].

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٣٠٦).

(٢) نثر الدرر لمنصور بن الحسين الآبى (١/ ١١٧)، إحياء علوم الدين للغزالى بنحوه (١/ ٢٠٦).

(٣) طريق الهجرتين لابن القيم (٣٥٥).

۞ ومنها: أنَّ التوبة من التواب دليل الرضا:

وكفى بالتائب سعادة وتوفيقًا أن يفرح التواب بفعله، عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**لَلَّهُ أَشَدُّ فرحًا بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرضٍ دَوِّيَّةٍ مهلكةٍ، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذَهَبَتْ، فطلبَهَا حتى أدركه العطَشُ، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنتُ فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته، وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشدُّ فَرَحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده**»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإنَّ التوبة من أجل الطاعات وأوجبها على المؤمنين، وأعظمها غناء عنهم، وهم إليها أحوج من كل شيء، وهي من أحب الطاعات إلى الله، فإنه يحب التوابين ويفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه أعظم فرح وأكمله، وإذا كانت بهذه المثابة فالآتي بها آت بما هو من أفضل القربات، وأجل الطاعات، فإذا كان قد حصل له بالمعصية انحطاط ونزول مرتبة، فبالتوبة يحصل له مزيد تقدم وعلو درجة، فإن لم تكن درجته بعد التوبة أعلى فإنها لا تكون أنزل[2].

۞ ومنها: أنَّ توبته على عباده ليس لها وقت:

فليس لقبول عباده وقت، حيث جعل التواب باب التوبه مفتوحًا بخلاف غيره من الأبواب يُفتَح ويُغلَق كباب الدعاء مثلًا، فمع عظمه وحاجة الناس إليه لكنه لا يُفتح دائمًا، بل يُفتَح ويُغلَق.

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٧٤٤).

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم (٣٥٥).

لكنَّ باب التوبه مفتوح ليلًا ونهارًا، وقتما جئتَه وجدتَه مفتوحًا؛ إذ هو باب رجوع الأحبة إلى المحبوب.

فلم يُغلقْه في وجوههم عقابًا لهم.

ولم يؤخرهم وقوفًا على الباب تنكيلًا لهم.

ولم يوقفهم زمنًا يلوم عليهم ما فعلوا وما اقترفوا.

بل تركه مفتوحًا دائمًا لهم، يقبل كل عائد بلا عقاب ولا عتاب.

بل إذا دخلوا وجدوا البغض والسخط قد انقلب رضا ومحبةً وفرحًا.

بل وما أغلق الباب في وجه من تأخر وإن تأخر، ولو عاد إليه بعد زمن قبله، وإن أغلق باب الهداية والتوفيق عنه زمنًا لإعراض عبده عنه، لكنه يترك باب التوبة مفتوحًا.

قال ابن القيم:

دعاه إلى بابه فما وقف عليه ولا طرقه، ثم فتحه له فما عرج عليه ولا ولجه، أرسل إليه رسوله يدعوه إلى دار كرامته، فعصى الرسول، وقال لا أبيع ناجزًا بغائب، ونقدًا بنسيئة، ولا أترك ما أراه لشيء سمعتُ به، ويقول:

خذ ما رأيتَ ودع شيئًا سمعتَ به ... في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

فإن وافق حظه طاعة الرسول أطاعه لنيل حظه، لا لرضى مُرسلِهِ، لم يزل يتمقت إليه بمعاصيه حتى أعرض عنه، وأغلق الباب في وجهه.

ومع هذا فلم يؤيسه من رحمته، بل قال متى جئتَني قبلتُك، إن أتيتَني ليلًا قبلتُك، وإن أتيتَني نهارًا قبلتُك، وإن تقربتَ مني شبرًا تقربتُ منك ذراعًا، وإن تقربتَ مني ذراعًا تقربتُ منك باعًا، وإن مشيتَ إليَّ هرولتُ إليك، ولو لقيتَني

بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتَني لا تشرك بي شيئا أتيتُك بقرابها مغفرةً، ولو بلغتْ ذنوبُك عنانَ السماء ثم استغفرتَني غفرتُ لك، ومَن أعظمُ مني جودًا وكرمًا؟!(١).

سبحانه مِن ربٍّ حليم كريم تواب رحيم!!

يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، عن أبِي موسى: عنِ النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الله عز وجل يبسط يده بِالليلِ ليتوب مسيء النهارِ، ويبسط يده بِالنهار ليتوب مسيء الليلِ، حتى تطلع الشمس من مغرِبِها**»(٢).

ولذلك لما طلب أهل مكة من النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا ليتبعوه، فدعا، فأتاه جبريل، فقال: إنَّ ربك يقرأ عليك السلام ويقول:

«**إن شئتَ أصبح الصفا ذهبًا، فمَن كفر بعد ذلك عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئتَ فتحتُ لهم باب التوبة والرحمة**». قال :

«**بل باب التوبة والرحمة**»(٣).

التواب جعل للتوبة بابًا مفتوحًا ما بين مصراعيه كما بين المشرق والمغرب، إنه باب واسع، لا زحام فيه، وإن كثر التائبون.

وهو مفتوح دائمًا لا يغلق إلاعندما تقوم الساعه.

عن صفوان بن عسال قال:قال رسول الله ﷺ «**المرء مع مَن أحب يوم**

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ١٩٤).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٧٥٩).

(٣) أخرجه: أحمد (١/ ٢٤٢،٣٤٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣٨٨).

القيامة، فما زال يحدثنا، حتى ذكر بابًا من قِبَلِ المغرب مسيرة سبعين عامًا عرضه أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عامًا، قال سفيان قبل الشام، خلقه الله يوم خلق السموات والأرض مفتوحًا يعني للتوبة، لا يُغلق حتى تطلع الشمس منه»[1].

ولا يُغلق على العبد إلا اذا غرغر، فعن ابن عُمرَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله تعالى يقبل توبة عبده ما لم يُغَرْغِرْ**»[2].

۞ ومنها: أنَّ التوَّاب يريد لعباده التوبة والفلاح:

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾ **النساء: ٢٧**، ومن الشقاء تفويت هذه الفرصة، والبحث عن ولاية ورضا الأعداء، وأن أترك ما أعد الله من كرامة وفضل للتوابين.

قال ابن القيم يصف حال التائب الحقيقي:

فإذا تعرض عبده ومحبوبه الذي خلقه لنفسه، وأعد له أنواع كرامته، وفضله على غيره، وجعله محل معرفته، وأنزل إليه كتابه، وأرسل إليه رسوله، واعتنى بأمره، ولم يهمله، ولم يتركه سدى، فتعرض لغضبه، وارتكب مساخطه، وما يكرهه، وأبق منه، ووالى عدوه، وظاهره عليه وتحيز إليه، وقطع طريق نِعَمِه وإحسانه إليه، التي هي أحب شيء إليه، وفتح طريق العقوبة والغضب والانتقام، فقد استدعى من الجواد الكريم خلاف ما هو موصوف

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٥٣٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٢٦).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٩٠٣).

به من الجود والإحسان والبر، وتعرض لإغضابه وإسخاطه وانتقامه، وأن يصير غضبه وسخطه في موضع رضاه، وانتقامه وعقوبته في موضع كرمه وبره وعطائه، فاستدعى بمعصيته من أفعاله ما سواه أحب إليه منه، وخلاف ما هو من لوازم ذاته من الجود والإحسان.

فبينما هو حبيبه المقرب المخصوص بالكرامة، إذ انقلب آبقًا شاردًا، رادًّا لكرامته، مائلًا عنه إلى عدوه، مع شدة حاجته إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين.

فبينما ذلك الحبيب مع العدو في طاعته وخدمته ناسيًا لسيده، منهمكًا في موافقة عدوه، قد استدعى من سيده خلاف ما هو أهله،

إذ عرضت له فكرة.

فتذكر برَّ سيدِه وعطفَه وجودَه وكرمَه.

وعلم أنه لا بد له منه، وأنَّ مصيره إليه، وعرضه عليه.

وأنه إن لم يقدم عليه بنفسه قُدِمَ به عليه على أسوأ الأحوال.

ففر إلى سيده من بلد عدوه، وجَدَّ في الهرب إليه، حتى وصل إلى بابه.

فوضع خده على عتبة بابه.

وتوسد ثرى أعتابه.

متذللًا متضرعًا خاشعًا باكيًا آسفًا، يتملق سيدَه، ويسترحمُه، ويستعطفُه، ويعتذر إليه.

قد ألقى بيده إليه، واستسلم له، وأعطاه قيادَهُ، وألقى إليه زمامَهُ،

فعلم سيدُه ما في قلبه.

فعاد مكان الغضب عليه رضا عنه، ومكان الشدة عليه رحمة به،

وأبدله بالعقوبة عفوًا، وبالمنع عطاءً، وبالمؤاخذة حلمًا،

فاستدعى بالتوبة والرجوع من سيده ما هو أهله، وما هو موجب أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

ثم قال:

فكيف يكون فرح سيده به، وقد عاد إليه حبيبه ووليه طوعًا واختيارًا، وراجع ما يحبه سيده منه برضاه، وفتح طريق البر والإحسان والجود التي هي أحب إلى سيده من طريق الغضب والانتقام والعقوبة[1].

إنَّ الله يُقبل على التائب أضعاف أضعاف ما يُقبل هو عليه بالطاعة؛ لأنه التواب، فأين يذهب العبد بعيدًا عن ربه، لو طاف الدنيا بحثًا عن من يرحمه، ويلطف به، ويحلم عليه ويحب له الخير والمصلحة والفلاح لن يجد مثل حلم الله وعطفه ورحمته، ولو كان أباه وأمه.

ويحكي ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ الحكاية المشهورة عمن حصل له شرود وإباق من سيده: فقال: فرأى في بعض السكك بابًا قد فُتِح، وخرج منه صبي يستغيث ويبكي، وأمه خلفه تطرده حتى خرج، فأغلقت الباب في وجهه، ودخلت فذهب الصبي غير بعيد، ثم وقف مفكرًا فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أُخرج منه، ولا من يؤيه غير والدته، فرجع مكسور القلب حزينًا، فوجد الباب مرتجًا، فتوسده، ووضع خده على عتبة الباب، ونام، فخرجت أمه، فلما رأته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه، والتزمته تقبله وتبكي، وتقول يا ولدي أين تذهب عني، ومن يؤيك سواي، ألم أقل لك لا تخالفني، ولا

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٢١٢).

تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جُبِلتُ عليه من الرحمة بك، والشفقة عليك، وإرادتي الخير لك، ثم أخذتْه، ودخلت.

فتأمل قول الأم لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جُبِلت عليه من الرحمة والشفقة.

وتأملْ: قولَه: «**لَلَّهُ أرحم بعباده من الوالدة بولدها**»، وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التي وسعت كل شيء.

فإذا أغضبه العبد بمعصيته، فقد استدعى منه صرف تلك الرحمة عنه، فإذا تاب إليه، فقد استدعى منه ما هو أهله وأولى به[1].

ولأنَّ التوبة والرجوع إلى التواب من آثار الإيمان باسم الله التواب جعل الله تعالى من لم يتب من الظالمين، قال تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ١١﴾ [**الحجرات: ١١**].

❁ ومنها: الدخول في عباد الله الصالحين:

وهؤلاء الذين آثرهم الله بالنزول لهم خاصة في ثلث الليل الآخر، وجعل تعالى ذلك في كل ليلة، ينزل فيه بجلاله وعظمته للتائبين يدعوهم لتحقيق اسمه التواب، وينادي عليهم هل من تائب فأتوبَ عليه؟ هل من مستغفر فأغفرَ له؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»[2].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٢١٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٦٣٢١)، ومسلم (٧٥٨)، واللفظ له.

بل جعل من كرامة بعض عباده، ومما أوردهم جنته، وأنالهم رضاه أنهم يستغفرون بالأسحار، والناس نيام، قاموا للتواب الذي لا ينام، وطلبوا المغفرة والتوبة عليهم، قال تعالى: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨﴾ **[الذاريات: ١٨]**.

لذا كان النبي المعصوم الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يتوب إلى الله في اليوم أكثر من سبعين مرة.

قال أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول «**والله إني لأستغفر الله، وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[١].

إنَّ الله تعالى هو التواب، ولا يعرف كثيرٌ من الناس قدر التوبة ولا قدر التواب؛ لذا تكاسلوا عنها وأخروها، بل وضيعها بعضهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأكثر الناس لا يعرفون قدر التوبة ولا حقيقتها فضلًا عن القيام بها علمًا وعملًا وحالًا، ولم يجعل الله تعالى محبته للتوابين إلا وهم خواص الخلق لديه[٢].

❁ ومنها: إظهار آثار أسمائه وصفاته في الذنب والتوبة منه:

فإنَّ الله تعالى يظهر في الذنب والتوبة منه آثار أسمائه وصفاته، فإنه بالذنب يُدفَع عن العبد العُجب الذي هو أخطر من كثير من الذنوب، وبالتوبة يظهر انكساره واحتياجه لمولاه، ثم في توبة الله عليه تظهر آثار رحمته وحلمه وعفوه عن عبده.

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٣٠٧).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٠٦).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

فلله كم من تقدير الذنب من حكمة، وكم فيه مع تحقيق التوبة للعبد من مصلحة ورحمة، التوبة من الذنب كشرب الدواء للعليل، ورُبَّ علةٍ كانت سبب الصحة.

لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجساد بالعلل

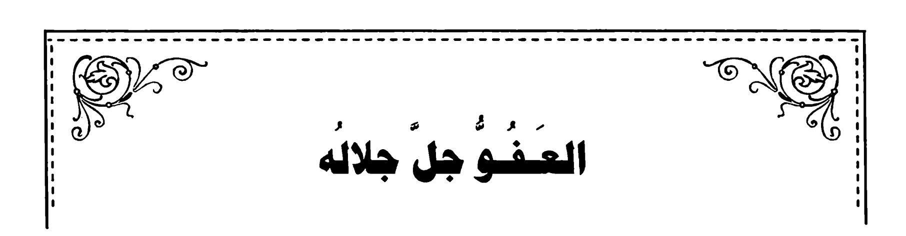
لولا تقدير الذنب هلك ابن آدم من العُجْب، ذنبٌ يذلُّ به أحبُّ إليه من طاعة يَدِلُّ بها عليه[1].

إن عظمت ذنوبك فلا تيأس، فإنَّ ربك التواب.

إن كثرت ذنوبك فلا تقنط من روح الله وإن بلغت عنان السماء، فقط أقصر، وتب يقبل توبتك التواب.

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ٦٧).



العَفُوُّ جلَّ جلاله

العَفُوُّ هو الذي يمحوا أثر الذنب، يُقال عَفَتِ الريح الأثر أي أزالته.

العَفُوُّ هو الذي يحب العفو عن عباده.

العَفُوُّ هو الذي يحب العفو من عباده.

إنَّ العَفْوَ نعمة عظيمة من الله تعالى فما من عبد إلا وهو يذنب، والله إن لم يعف عن عباده ما ترك على ظهرها من دابة، ولكن لرحمته يعفو عن الكثير، بل إنَّ الله تعالى من حبه للعفو حث عباده على العفو، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢].

فما أفقر العبد لعفو ربه عنه!

بل حث الله نبيه على أخذ العفو، فقال ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وأمره الله تعالى أن يعفوعنهم، فقال ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ويحث الله تبارك وتعالى عباده على العفو؛ لأنه يعلم أنَّ الحياة لا تستقيم إلا بالعفو، وأنَّ الآخرة لا ينال العبد بركتها وخيرها إلا بالعفو.

الله تعالى جعل عباده يطمعون في عفوه، ولو أسرفوا على أنفسهم

بالمعاصي قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

لذلك يقول ﷺ «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[١] وهذا محو لأثر الذنب.

إنَّ الله تعالى عفو يحب العفو، بل إنَّ العبد مع جرأته، وسوء صنيعه مع ربه، وجرأته، فإنَّ الله يعفو عن كثير قال رسول الله ﷺ: «**لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله**»[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهو العفو فعفوه وسع الورى لولاه غار الأرض بالسكان[٣]

الأدلة الدالة على هذا الاسم:

قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٩]، وقال: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٩].

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت يارسول الله، إن أنا وافقت ليلة القدر، ماأقول؟قال: قولي «**اللهم إنك عَفُوٌّ تحب العَفْوَ فاعف عني**»[٤].

---

(١) أخرجه: ابن ماجه (٤٢٥٠)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٤).

(٣) النونية لابن القيم (١/ ٢٠٧).

(٤) أخرجه: الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٢٣).



آثار الإيمان باسم الله «العَفُوّ»

❁ **منها: الأخذ بأسباب العفو:**

□ ومن أسباب العفو: التوبة، والتوبة سبق الحديث عنها في الحديث عن اسم الله «التواب».

□ ومن أسباب العفو العمل الصالح:

فقد لا يتوب العبد، وينسى ذنوبه، وما أكثر الذنوب، لكن الله من عفوه وحبه للعفو ينظر إلى أعماله الصالحة، لعله عمل عملًا صالحًا يعفو عنه به، وهو لا يشعر، قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

❁ **ومنها: علم العبد بأنه لا يستغني عن عفو الله تعالى:**

فمَا من عبد إلا وهوخطاء ومذنب، عن أنس أنَّ النبى ﷺ قال «**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»(١).

وما من مصيبة أو حرمان إلا بذنب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومن حكمة الله عزوجل تعريفه عبده أنه لا سبيل له إلى النجاة إلا بعفوه ومغفرته جل وعلا، وأنه رهين بحقه، فإن لم يتغمده بعفوه ومغفرته، وإلا فهو من الهالكين لا محالة، فليس أحد من خلقه إلا وهو محتاج إلى عفوه ومغفرته، كما هو محتاج إلى فضله ورحمته[1].

❁ ومنها: نشر العفو والصفح في المجتمعات:

بل حث الله عليه، ورغب فيه، بل دفع الله إليه الناس دفعًا، وذلك بأن كافأ كل متجاوزٍ وعافٍ عن الناس بأن يعفو الله عنه، فقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢]، ومما يحفز به عباده على العفو والصفح أن جعل جزاءه التقوى، قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وجعله سبحانه دليلًا على نيل الإحسان وتحصيله، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وجعل من جزائه للعبد أن يعزَّه الله تعالى مقابل عفوه عن الناس، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ «**قال ما نقصت صدقةٌ من مالٍ، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**»[2].

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ٢٩١).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٥٨٨).

بل أبهم وأخفى سبحانه أجر العفو مما يدل على عِظَمِه، قال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى: ٤٠].

وفي الآخرة يدعوه الله، ويخيره من الحور العين أيها شاء، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه: عن النبى ﷺ قال «**من كظم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء**»(١).

❁ ومنها: دوام طلب العفو من الله:

ففي طلب العفو الخيرات والبركات، ودفع البليات؛ لذلك جمع رسول الله ﷺ حاجات العبد كلها في ليلة القدر لما سألته عائشة عن دعوة أي جامعة لخيري الدنيا والآخرة إذا قدر الله لها أن تصيب ليلة القدر، فقال رسول الله ﷺ قولي «**اللهم إنك عَفُوٌّ تحب العَفْوَ فاعف عني**»(٢).

ذلك لأنَّ الذنوب حرمان للعبد من خيري الدنيا والآخرة.

فإنَّ العبد يُحرم الرزق بالذنب يصيبه.

إنَّ العبد يُحرم العلم بالذنب يصيبه.

إنَّ العبد يُحرم الهداية بالذنب يصيبه.

إنَّ العبد يُحرم التوفيق بالذنب يصيبه.

فالذنب حرمان لخيري الدنيا والآخرة.

فإذا عفا الله عنك رزقك المال الولد.

---

(١) أخرجه: أبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١)، وابن ماجه (٤١٨٦)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣٧٥).

(٢)سبق تخريجه.

وإذا عفا عنك بارك لك في رزقك.

وإذا عفا عنك فتح لك طرق الخير والهداية.

إذا عفا عنك وفقك وسدد خطاك.

بل لعظم العفو والصفح كانت صفة النبي ﷺ في التوراة هي العفو والمغفرة، عن أبي محمد عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو، فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن **«يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتُك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا سخابٍ في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئةَ، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عمياء، وآذانًا صماء، وقلوبًا غُلْفًا»**[1].

وكان العفو والصفح أيضًا سمة أصحابه وأتباعه، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شبابًا، فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه، قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إنَّ الله تعالى قال لنبيه ﷺ **«خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»**، وإنَّ هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين

(١) أخرجه: البخاري (٤٨٣٨).

تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله[١].

وقال الحسن: أفضل أخلاق المؤمن العفو[٢].

والعفو مستحب وإن كثُر الخطأ، عن عبد الله بن عُمر قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، كم نعفو عن الخادِم؟ فصَمَتَ، ثم أعاد عليه الكلام، فصَمَتَ، فلما كان في الثالثة قال: «**اعفُوا عنه في كلِّ يومٍ سبعين مرة**»[٣].

وصدق القائل

مكارم الأخلاق في ثلاثة	من كملت فيه فذاك الفتى
إعطاء من يحرمه ووصل من	يقطعه والعفو عمن اعتدى

۞ ومنها: أنَّ العفو يكون عند المقدرة:

ولقد سُمِّي الله عَفُوًّا لعفوه مع قدرته على إنفاذ غضبه ووعيده، بل كان له العفو الكامل؛ لأنه له القدرة الكاملة، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [**النساء: ١٤٩**].

قال معاوية بن أبي سفيان: عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال[٤].

---

(١) أخرجه: البخاري (٤٦٤٢).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٩٣).

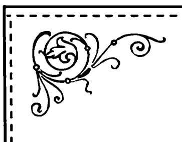
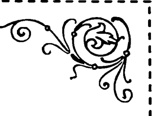
(٣) أخرجه: أبوداود (٥١٦٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٨٨).

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ١٨٤).

❁ ومنها: أنَّ العَفْوَ مصدر الأمن والأمان وبقاء الدنيا:

فلو آخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك عليها من دابة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحل: ٦١].

❧ ◊ ☙

السلام جلَّ جلالُه

السلام هو صاحب النجاة الذى يُسَلِّم عباده وينجيهم من المخاطر والمهالك.

السلام الذي سَلَّم العباد من الظلم فلا يظلم أحدًا أبدًا، فالسلام منشأه منه، وعودته إليه، وتمامه عليه سبحانه وتعالى.

قال الراغب: السلم والسلامة: التعري عن الآفات الظاهرة والباطنة(١).

قال الإمام الغزالي: السلام الذي تسلم ذاته عن العيب، وصفاته عن النقائص وأفعاله عن الشر(٢).

السلام هو الذي جعل طريقه طريق السلام، وهو الذي يهدي إليه، ويهدى إلى سبل السلام.

السلام جعل الجنة دار السلام وجعل التحية فيها السلام، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب: ٤٤].

بل إنَّ الله تعالى إذا منَّ على أهل الجنه سلَّم عليهم، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨].

---

(١) المفردات في غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد (١/ ٢٣٩).

(٢) المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي(١/ ٦٩).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهــو الســلام علــى الحقيقــة ســالم مــن كــل تمثيــل ومــن نقصــان(١)

۞ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر: ٢٣].

عن عبد الله قال: كنا نقول في الصلاة خلف رسول الله ﷺ: السلام على الله، السلام على فلان، فقال لنا رسول الله ﷺ ذات يوم «**إنَّ الله هو السلام، فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإذا قالها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، ثم يتخير من المسألة ما شاء**»(٢).

والسعيد الذى يسلِّمُه الله تعالى، يسلمه وينجيه من الفتن والشبهات والزيغ عن الطريق.

إنَّ السعيد هو الذى يُسَلِّمه السلام، ويهديه إلى طريق السلام، ويُزَحزَح عن النار ويدخل دار السلام، فهذا هو الذى نال السلام.

لذلك جعل الله السلام على أصفيائه، فسلم على أنبيائه، فقال ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الصافات: ٧٩ - ٨٠].

وقال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [الصافات: ١٢٠ - ١٢١]، وقال: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ

---

(١) متن النونية لابن القيم (٢١٠).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٦٣٢٨)، ومسلم (٤٠٢).

﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [الصافات: ١٣٠ - ١٣١]، وقال عن يحيى ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم: ١٥] أي عند المخاطر الثلاث.

لذلك يقول سفيان بن عيينه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد، فيرى نفسه خارجًا مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن عاينهم، ويوم يبعث، فيرى نفسه في محشر عظيم. قال: فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا، فخصه بالسلام عليه، قال تعالى «**وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**»(١).

إنَّ الله هو السلام.

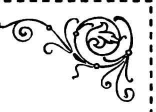
فأول ما أُمر به آدم هو السلام، وأول ما سمعه آدم من الملائكة هو السلام، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا، ثم قال اذهب فسلِّم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يحيونك تحيتك وتحية ذريتك، فقال السلام عليكم، فقالوا السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله**»(٢).

ولأهمية السلام والأمان امتن الله على قريش أنه سلمهم وآمنهم من الخوف، فقال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ١ - ٤].

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ١٦١)، وابن كثير (٥/ ٢١٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).




آثار الإيمان باسم الله «السلام»

۞ منها: الأخذ بالأسباب الجالبة للمنة بالسلام:

❑ ومن أهمها الصلاة، حيث جعل الله تبارك وتعالى السلام في الصلاة على النبي ﷺ، وعلى المُصَلِّي، وعلى كل عباد الله الصالحين، حيث يقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين، وما استحققنا السلام إلا بوقوفنا بين يدي السلام سبحانه وتعالى.

۞ ومنها: كثرة إفشاء السلام:

فإنه نشرٌ للمحبة في المجتمع والألفة والسلام، وهو سبب لدخول دار السلام، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**»(١).

بل إنَّ النبي ﷺ لما قدم المدينة كان السلام من أول ما أوصى وأمر به، بل ومن الوفاق العجيب أنَّ من روى هذا الحديث عبدالله بن سلام، فعن عبدالله بن سلام قال: أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس عنه، فكنت فيمن جاءه، فلما تبينتُ وجهه واستَثْبَتُّه علمت أنَّ وجهه ليس بوجه كذاب، قال وكان أول ما سمعت من كلامه أن قال «**أيها الناس أفشوا السلام،**

---

(١) أخرجه: مسلم (٥٤).

وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»[(١)].

فالسلام النجاة والأمان.

إنَّ السلام الذي يوصل إلى الجنة ليس كلامًا، إنما هو فعال، وأمن وأمان، فلا غيبة، ولا همز، ولا لمز، ولا حقد، ولا حسد، إنما هو أمن وأمان من المسلم على إخوانه، بل وعلى المجتمع.

فكان السلام الذي يَجلب من الله تعالى السلام هو مصدر الراحة والأمان؛ وهذا هو الداعي لكعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في أشد أزماته، وقاطعه المسلمون جميعًا، أنه كان يمر عليهم ويلقي عليهم السلام لعله يجد من يرد عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويقترب من النبي ﷺ، ويسلم عليه لعله يحرك شفتيه برد السلام؛ كل ذلك لأنَّ السلام معناه النجاة والأمان والراحة، وذهاب الغضب والسخط.

۞ ومنها: نَشر السلامة والألفة والأمان بين المجتمع:

وذلك بأن يألف المسلم أخاه المسلم، فلا يظلمه، ولا يخذله، ولا يسلمه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»[(٢)]؛ لذلك حصر

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (٣٢٥١)، وقال الترمذي هذا حديث صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٦٥).

(٢) سبق تخريجه.

النبي ﷺ المسلم في هذا المعنى فقال «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»(١)، هذا هو المسلم الذي سماه الله مسلمًا لابد أن يصل إخوانَهُ السلامُ منه، وإلا فإسلامه ناقص؛ لذلك جعل النبي ﷺ السلام مقرونًا بالرحمة والبركة «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**»؛ وذلك لأنَّ الإنسان لا يستطيع الحياة ويهنأ بها إلا بثلاثة أشياء:

- البعد عن الآفات والمهالك.
- وجلب الخير والمنافع.
- والدوام على ذلك.

وجمع الله ذلك في السلام، والرحمة، والبركة.

فالسلام: أي الأمان والنجاة من المهالك والآفات.

ورحمة الله: هي جلب المنافع والخيرات.

والبركة: هي الدوام على ذلك.

۞ ومنها: تربية القلب على السلامة:

وذلك بالبعد عن الغل والحقد والحسد وسوء الطوية، وهذا هو القلب السليم الذي حصر الله تعالى النجاة في أصحابه، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ:

كل عبد سلم عن الغش والحقد والحسد، وسلم قلبه عن إرادة الشر،

---

(١) أخرجه: البخاري (١٠)، ومسلم (٤١).

وجوارحه عن الآثام والمحظورات، وسلم عقله من أسر الشهوة والغضب، فهو الذي يأتي الله تعالى بقلب سليم، وهو السلام من العباد[١].

❁ ومنها: أنَّه يَحْرُمُ سلب المسلم الأمان والسلام:

لذا نهى النبي ﷺ عن ترويع المسلم، لأنَّ الترويع سلب للسلام والأمان منهم ولو بأقل القليل، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ: أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ في مسير، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى نبل معه، فأخذها، فلما استيقظ الرجل فزع، فضحك القوم، فقال «**ما يضحككم**»؟ فقالوا: لا. إلا أنَّا أخذنا نبل هذا ففزع، فقال رسول الله ﷺ «**لا يحل لمسلم أن يُرَوِّع مسلمًا**»[٢]؛ لذا توعد الله من يُذهب الأمن عن الناس وينشر الخوف والترويع بينهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة: ٣٣].

بل لحبه للسلام توعد الله تعالى من تعدى على غير المسلم كالمعاهد والمستأمن الذي أعطاه المسلمون الأمان والسلام، فقال رسول الله ﷺ «**من قتل معاهدًا لم يرِح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا**»[٣].

❁ ومنها: كثرة طلب السلام للنفس والمسلمين:

فإنَّ السلام يجلب كل خير وراحة وأمان؛ لذا كان من دعاء النبي ﷺ عند

---

(١) المقصد الأسنى للغزالي (١/ ٧٠).

(٢) أخرجه: أبوداود (٥٠٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٥٨).

(٣) أخرجه: البخاري (٣١٦٦).

رؤية كل هلال «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام»(١).

❁ **ومنها: أن يكون المسلم الحق متمثلًا بالسلام:**

وذلك بجعل السلام له سجية في عمله، وقوله، وبذلك يصبح المسلم إلفًا مألوفًا، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**المؤمن مُؤْلَفٌ ولا خير فيمن لا يَأْلَف ولا يُؤْلَف**»(٢).

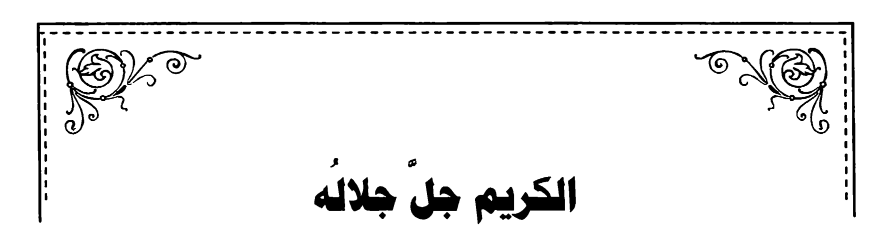
وقال رسول الله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»(٣).

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٤٥١)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٤٥).

(٢) أخرجه: أحمد في المسند (٢/ ٤٠٠)، وحسنه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

(٣) سبق تخريجه.



الكريم جلَّ جلالُه

الكريم هو الذي يعطي العطاء الكثير.

الكريم هو الذي يعطي العطاء العام، ولا يبالي مَن أعطى أهو محسن أم مسيء.

الكريم هو الذي يكون العطاء من عنده، والتوفيق بيديه، ويثني على عباده بما وفقهم إليه.

ما أعظم هذا الكرم!!

قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ **[الحجرات: ٧]**، فهو الذي حبب إليهم الإيمان، وهو الذي كره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، ومع ذلك أثنى عليهم، فقال «**أولئك هم الراشدون**».

الكريم هو الذي يصفح عن كثير من الذنوب.

الكريم هو الذي يعطي لعباده أكثر مما يستحقون.

الكريم هو واسع الفعال الطيبة، والصفات الحميدة.

الكريم هو المنزه عن النقائص والمعايب سبحانه.

الكريم الذي أوصل لعباده كرمًا لا غضاضة فيه، بل فيه الشرف والعزة.

الكريم هو الذي أعطى عباده ما يحتاجونه، بعدما سألوه، وقبل أن يسألوه.

قال الحسن بن علي:

الكرم التبرع بالمعروف، والعطاء قبل السؤال، وإطعام الطعام في المحل(١).

الكريم هو الذي يعطي عطاءه بيسر وسهولة لا بعنت ومشقة من الخلق.

الكريم هو الذي أعطى عباده، وما يصله عوض منهم وحاشاه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [**الذاريات: ٥٦ - ٥٧**]، إنما العطاء منه لهم، والعوض منهم عائد إلى أنفسهم.

الكريم هو الذي يعطي عطاءًا كريمًا، فلا يكدر عطاءه بالمن.

الكريم الذي أوفى بكل ما وعد، وتجاوز عن بعض ما توعد.

الكريم الذي يَرضَى ويُعطِي إذا رُفعت إليه الحاجات، ويسخط ولا يرضى إذا رُفعت الحاجات إلى غيره.

الكريم الذي لا يمل من العطاء، ولا ينفد ما عنده بالعطاء، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [**النحل: ٩٦**].

الكريم الذي لا يُحصَى كرمه، ولا تُحصَر عطاياه، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [**النحل: ١٨**].

الكريم الذي إذا رفع العبد يديه إليه لا يردهما صفرًا.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٣/ ٢٨٥).

قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى، وإن رُفِعَت حاجة إلى غيره لا يرضى، وإذا جُفِي عاتب وما استقصى، ولا يَضِيع من لاذ به والتجأ، ويغنيه عن الوسائل والشفعاء، فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف، فهو الكريم المطلق، وذلك لله سبحانه وتعالى فقط[1].

۞ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٤٠]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ [الانفطار: ٦].

عن طلحة بن عبد الله بن كريز الخزاعي: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله كريم يحب الكرم ومعالي الأمور، ويبغض أو قال يكره سفسافها**»[2].

عن سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال «**إنَّ ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا**»[3].

---

(١) المقصد الأسنى للغزالى (١/ ١١٧).

(٢) أخرجه: الطبراني في الكبير (٣/ ١٣١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٢٧).

(٣) سبق تخريجه.




آثار الإيمان باسم الله «الكريم»

❁ **منها: أنَّ مَن أراد الزيادة مِن الإكرام فليقترب من الكريم:**

فكلما ازداد العبد قربًا من الكريم ازداد الكريم له إكرامًا، فلعلم الله تعالى بقرب آدم منه وتقربه إليه هو وذريته أكرمه، وكرمه على إبليس، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢].

وأكرم بني ءادم وفضلهم، قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومن بني ءادم كلما ازداد العبد قربًا من الكريم ازداد كرمُ الكريم له في الدنيا، وجعل له في الآخرة أجرًا كريمًا، فقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الحديد: ١١]، وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٤]، وقال: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس: ٢٦ - ٢٧].

❁ **ومنها: الأخذ بأسباب الإكرام والأجر الكريم:**

ومن ذلك: بذل النفس والمال لله تعالى، ونصرة هذا الدين بالغالي والنفيس، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ

ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٤].

ومنها: الصدقة والإنفاق، فإنها من حسن خصال العبد وكرمه؛ لذا كافأه الله تعالى بالأجر الكريم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحديد: ١٨].

وقال: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [الحديد: ١١].

ومنها: الخشوع وخوف القلوب عند ذكر الله تعالى، وتلاوة آياته، والتوكل على الله تعالى، والتزام أمره، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

ومنها: طيب الكلام؛ إذ هو كرم اللسان، قال تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النور: ٢٦].

ومنها: القنوت والخشوع والتذلل لله تعالى، قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣١].

ومنها: ذكر الله كثيرًا، والتسبيح له بكرةً وأصيلًا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٤].

ومنها: اجتناب كبائر المحرمات، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

❁ ومنها: الدعاء بطلب الإكرام من الكريم سبحانه وتعالى:

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ إذا أُنزِل عليه الوحي سُمِع عند وجهه كدوي النحل، فأُنزِل عليه يومًا، فمكثنا ساعة، فسري عنه، فاستقبل القبلة، ورفع يديه، وقال: «**اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا، ثم** قال رسول الله ﷺ: «**أُنزِل عليَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم عشر آيات، ودعا بها للأنصار والمهاجرين**»[١].

عن أنس قال كانت الأنصار يوم الخندق تقول:

نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدًا، فأجابهم النبي ﷺ «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فأكرم الأنصار والمهاجرة**»[٢].

❁ ومنها: أنَّ الكرم صفة يحبها الله تعالى:

عن طلحة بن عبد الله بن كريز الخزاعي: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله كريم يحب الكرم ومعالي الأمور، ويبغض أو قال يكره سفسافها**»[٣].

فعلى العبد أن يتمثل صفة الكرم في صفاته وأفعاله وأقواله، وأن يكون في

---

(١) أخرجه: أحمد (١/ ٣٤)، والترمذي (٣١٧٣)، وصحح إسناده أحمد شاكر: انظر المسند بتحقيقه (١/ ٢٦٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٢٠٨).

(٢) أخرجه: البخاري (٢٩٦١).

(٣) سبق تخريجه.

ركب الكرماء الذين وصفهم الله تعالى بالكرم، وما وصف الله شيئًا بالكرم إلا ما كان ذا منزلة ومكانة، ومن ذلك:

وصف به القرءان، فقال ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ **[الواقعة: ٧٧]**.

ووصف به العرش، قال تعالى: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ **[المؤمنون: ١١٦]**.

ووصف به الملائكة، قال تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ **[عبس: ١٥ - ١٦]**.

ووصف رسوله بالكرم، فقال ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ **[الحاقة: ٤٠]**.

ووصف بها المؤمن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«إنَّ المؤمن غِرٌّ كريم، وإنَّ الفاجر خَبٌّ لئيم»**[(١)].

قال ابن تيمية :

وبالشجاعة والكرم في سبيل الله فضل السابقين، فقال **«لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى»** وقد ذكر الجهاد بالنفس والمال في سبيله؛ ومدحه في غير آية من كتابه[(٢)].

---

(١) أخرجه: أبوداود (٤٧٩٠)، والترمذي (١٩٦٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٥٣)، والغِرُّ: هو الذي لايفطن للشر، والخَبُّ: ضد الغِر، وهو الخدَّاع المفسد: تاج العروس(١/ ٤٣٩).

(٢) مجموع الفتاوي لابن تيمية (٢٨/ ١٥٨).

❁ ومنها: أنَّ أكرم العباد عند الله تعالى هو كريم العمل:

وهو من التزم بأمره واجتنب نهيه، فهو كريم الصفات حسن الخلق، وهؤلاء هم أهل التقوى؛ لذا فهم أكرم الخلق على الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: «**أتقاهم**»، فقالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله**»، قالوا ليس عن هذا نسألك، قال: «**فعن معادن العرب تسألوني خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**»(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا يقال للرجل كريم حتى يظهر ذلك منه، ولما كان أكرم الأفعال ما يقصد به أشرف الوجوه، وأشرفها ما يقصد به وجه الله تعالى، وإنما يحصل ذلك من المتقي، قال الله تعالى «**إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم**»(٢).

❁ ومنها: التوسل لله تعالى باسمه الكريم:

لذا جعل النبي ﷺ صفة الكرم من اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِي به أجاب، عن أنس بن مالك قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا في الحلقة، ورجل قائم يصلي، فلما ركع سجد وتشهد دعا، فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأنَّ لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، اللهم إني أسألك، فقال النبي ﷺ «**تدرون بما دعا؟ والذي**

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٣٧٨).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٥٧).

نفسي بيده لقد دعا باسمه العظيم الذي إذا دُعِي به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى»[١].

ومنها: إكرام الخلق:

لذا جعله النبي ﷺ من الإيمان والدين، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[٢]، وخاصة الكريم منهم عند الناس، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن رسول الله ﷺ «**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**»[٣].

قال عبدالرحمن بن مهدي:

ليتق الرجل دناءة الأخلاق كما يتقي الحرام، فإنَّ الكرم دِينٌ[٤].

ويكرم السائل والمحتاج على أحسن حال بلا منٍّ ولا أذى، فهذا فعل الكرماء.

قال أحمد بن عبدالأعلى الشيباني:

إنَّ عبدالله بن جعفر كان في سفر له، فمر بفتيان يوقدون تحت قدر لهم، فقام إليه أحدهم فقال:

أقول له حين ألفيته ... عليك السلام أبا جعفر

---

(١) أخرجه: أبوداود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائى (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وصححه الألباني في تحقيقه للسنن.

(٢) سبق تخريجه.

(٣)أخرجه: ابن ماجه (٣٧١٢)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

(٤) مكارم الأخلاق للخرائطي(٥٥).

فوقف، وقال: السلام عليك ورحمة الله. فقال:

وهـذي ثيـابي قـد أخلقـت وقـد عضـني زمـن منكـر

قال : فهذي ثيابي مكانها، وعليه جبة خز، وعمامة خز، ومطرف خز، وتعينك على زمنك المنكر.

فقال:

وأنـت كـريم بنـي هاشـم وفي البيـت منهـا الـذي يـذكر

قال: يابن أخي ذلك رسول الله ﷺ[١].

قال عبدالله بن الحارث:

من لم يكرم ضيفه فليس من محمد ﷺ، ولا من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ[٢].

بل والكرماء كما يُكرِمون الكرماء يُكرمونِ أيضا اللئام؛ لأنَّ الكرم سجية فيهم، ورأوا أنَّ الله الكريم سبحانه أعطى الكافر كما أعطى المسلم، وأعطى الكريم وأعطى اللئيم.

قال ابن جرير: ومِن كرمِه أفضالُهُ على مَن يكفر نعمه[٣].

قال عبدالله بن جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ:

أُمطر المعروف مطرًا، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلًا، وإن أصاب اللئام كنت له أهلًا[٤].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧/ ٢٩١).

(٢) حياة الصحابة للكاندهلوي (٣/ ٢٩٦).

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٤٦٩).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٤٧).

فالمؤمن كريم في كل أحواله؛ لأنه عبدٌ للهِ الكريمِ.

قال مالك بن دينار :

المؤمن كريم في كل حالة لا يحب أن يؤذي جاره، ولا يفتقر أحد من أقربائه، قال ثم يبكي مالك، ويقول، وهو والله مع ذلك غني القلب لا يملك من الدنيا شيئًا، إن أزالته عن دينه لم يزل، وإن خدعته عن ماله انخدع، لا يرى الدنيا من الآخرة عوضًا، ولا يرى البخل من الجود حظًّا، منكسر القلب ذو هموم قد تفرد بها، مكتئب محزون ليس له في فرح الدنيا نصيب، إن أتاه منها شيء فرقه، وإن زوى عنه كل شيء فيها لم يطلبه، قال، ثم يبكي، ويقول هذا والله الكرم هذا والله الكرم[1].

۞ ومنها: الاطمئنان والرجاء لوعد الله تعالى:

وما على العبد إلا أن يلحق بركب الموعودين؛ لأنَّ الكريم إذا وعد ما أخلف، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ «**من أذنب في الدنيا ذنبًا، فعوقب به، فالله أعدل من أن يُثنِّي عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنبًا في الدنيا فستر الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه**»[2].

---

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (٦٣).

(٢) أخرجه: أحمد في المسند (١/ ٥٠١)، قال أحمد شاكر إسناده صحيح، وقال الأرنؤوط إسناده حسن، ورواه الحاكم بهذا اللفظ وصححه علي شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

۞ ومنها: أنَّ الله الكريم يضحك لعباده الكرماء:

وحُقَّ لعبد ضحك الله له أن يكرمه.

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنَّ رجلًا أتى النبي ﷺ، فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ «**من يضم أو يضيف هذا**»، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**ضحك الله الليلة، أو عجب، من فعالكما**»، فأنزل الله: «**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**»[١].

قال أبو سليمان الداراني:

جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل في قلبه خصالًا: الكرم والسخاء، والحلم والرأفة، والشكر، والبر، والصبر[٢].

۞ ومنها: أنَّ الكرم قرين البركة:

إنَّ الكرم يحبه الله؛ لأنه كريم، والبركة من قبل الله تعالى، فكل كريم يكافئه الله بالبركة، والكثير في البركة، وليست البركة في الكثير.

عن جابر قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدةٌ، فجاءوا النبي

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ٢٦٦).

ﷺ، فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «**أنا نازلٌ**» ثم قام وبطنه معصوب، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المعول، فضرب، فعاد كثيبًا أهيل، أو أهيم، فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئًا ما كان في ذلك صبر، فعندك شيءٌ، قالت: عندي شعيرٌ وعناقٌ، فذبحت العناق، وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي ﷺ، والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج، فقلت: طعيمٌ لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان، قال: «**كم هو**» فذكرت له، قال: «**كثيرٌ طيب**»، قال: «**قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي، فقال: قوموا**» فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته، قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: «**ادخلوا ولا تضاغطوا**» فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع، فلم يزل يكسر ويغرف حتى شبعوا وبقي منه، فقال: «**كلي هذا وأهدي، فإنَّ الناس أصابتهم مجاعة**»(١).

❁ ومنها: أنَّ الكريم يكرم الكرماء، ويخلف عليهم، ويزيد عطاءه لهم:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩]، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»(٢).

---

(١) أخرجه: البخاري (٤١٠١).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

لذا ما كان النبي ﷺ يرد سائلًا، عن أنس قال: ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، قال: فجاء رجلٌ، فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلِموا، فإنَّ محمدًا يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة[1].

عن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة، فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة، فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها حاشيتها، فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه، فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها، فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال يا رسول الله: ما أحسن هذه! فاكسنيها، فقال «نعم»، فلما قام النبي ﷺ لَامَه أصحابُه، قالوا: ما أحسنتَ حين رأيتَ النبي ﷺ أخذها محتاجًا إليها، ثم سألتَه إياها، وقد عرفتَ أنه لا يُسأل شيئًا فيمنعه، فقال رجوتُ بركتَها حين لبسها النبي ﷺ لَعَلِّي أكفن فيها[2].

عن محمد بن جبير عن أبيه: أنه بينما هو يسير مع النبي، ومعه الناس مقفله من حنين، فعلقت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة، فخطفت رداءه، فوقف النبي ﷺ، فقال أعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاة نعمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا، ولا كذابًا، ولا جبانًا[3].

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٣١٢).

(٢) أخرجه: البخاري (٦٠٣٦).

(٣) أخرجه: البخاري (٢٨٢١).

۞ ومنها: أنَّ الكرم من التوفيق الذي يوفق الله به العبد:

إذ إنه يجلب له كرم الكريم سبحانه وتعالى، لذا كان السلف يعدون الحرمان من الكرم من المصائب، ولو كان بغير إرادتهم.

قال حكيم بن حزام:

ما أصبحتُ صباحًا قط، فرأيت بفنائي طالب حاجة قد ضاق بها ذرعًا، فقضيتها إلا كانت من النِّعم التي أحمد الله عليها، ولا أصبحت صباحًا لم أر بفنائي طالب حاجة إلا كان ذلك من المصائب التي أسأل الله عز وجل الأجر عليها[(١)].

۞ ومنها: التوبة والرجوع إلى الله تعالى وعدم اليأس والقنوط:

ولا يغرنك الدنيا وشهواتها ولا ييئسك الشيطان، فإنَّ ربك الكريم الذي يقبل توبة عباده إذا تابوا وعادوا إليه، فلا تيأس وربك الكريم.

وهل ييأس ويقنط مَن ربه الكريم الذي يبدل السيئات حسنات؟!.

وهل ييأس ويقنط مَن ربه الكريم الذي يجعل الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف! عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها**»[(٢)].

وهل ييأس ويقنط مَن ربه الكريم الذي يعطي من همَّ بحسنة فلم يعملها حسنة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها حسنة! عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥/ ١٢٥).

(٢) **متفق عليه:** أخرجه: البخاري (٤٢)، ومسلم (١٢٨).

رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عز وجل إذا هم عبدي بحسنة، فلم يعملها كتبتها له حسنة، وإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعفٍ، وإن همَّ بسيئة، ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة**»[١].

وهل ييأس ويقنط مَن ربه الكريم الذي غفر لقاتل مائة نفس، وجعل له كرامة وتحركت له الأرض! عن أبي سعيد الخدري، أنَّ نبي الله ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملَك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة**»، قال قتادة: فقال الحسن ذكر لنا، أنه لما أتاه الموت نأى بصدره[٢].

وهل ييأس ويقنط مَن ربه الكريم الذي يجعل آخر أهل الجنة دخولًا وأقلهم منزلة مَن له مثل الدنيا وعشرة أمثالها! عن أبي سعيد الخدري، أنَّ رسول الله ﷺ قال «**إنَّ أدنى أهل الجنة منزلة، رجل صرف الله وجهه عن النار**

---

(١) متفق عليه: البخاري (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٨)..

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

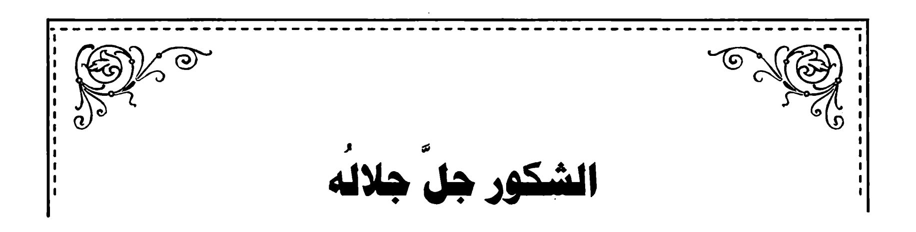
قبل الجنة، ومثل له شجرة ذات ظل، فقال: أي رب، قدمني إلى هذه الشجرة أكون في ظلها» وساق الحديث وفيه «**ويذكِّره الله، سل كذا وكذا، فإذا انقطعت به الأماني، قال الله: هو لك وعشرة أمثاله**»، قال: «**ثم يدخل بيته، فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين، فتقولان: الحمد لله الذي أحياك لنا، وأحيانا لك**»، قال: «**فيقول: ما أعطي أحد مثل ما أعطيت**»[1].

سبحانك ربي أنت الكريم الأكرم.

❧◈☙

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٦٥٧٤)، ومسلم (١٨٨).



الشكور جلَّ جلالُه

الشكر هو الثناء الجميل على العمل الجليل، والفعل القليل.

قال ابن منظور:

الشكر عرفان الإحسان ونشره، والشكران خلاف النكران، والشكر من الله المجازاة والثناء الجميل(١).

الشكور هو الذي يجزي على الأعمال.

الشكور هو الذي يزيد الأعمال شكرًا منه ويثيب عليها.

الشكور هو الذي يرضى بالقليل ويقبله ولا يهمله لقلته.

الشكور هو الذي يثني على فاعل الخيرات، مع أنه الموفق له سبحانه.

الشكر معناه النماء والزياده لذلك لما كان ربنا شكورًا تعهد أن ينمي ويزيد للعبد عمله، وهذا وعد الله الشكور.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٤/ ٤٢٤).

قال ابن القيم:

وهو الشكور فلن يُضيِّع سعيهم لكن يضاعفه بلا حُسبان
ما للعباد عليه حق واجب هو أوجبَ الأجر العظيم الشان
كلا ولا عمل لديه ضائع إن كان بالإخلاص والإحسان
إن عُذِّبوا فبعدله أو نُعِّموا فبفضله والحمد للمنان(١)

۞ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

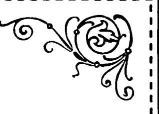
قال تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٧].

---

(١) متن النونية لابن القيم (٢٠٨).

آثار الإيمان باسم الله «الشكور»

❁ **منها: أن تكون عبدًا شاكرًا:**

فإنَّ من سوء الصنيع وقلة التوفيق أن يشكرك الرب الغني، وأنت تارك لشكره، وأنت الضعيف الفقير، فإن كان الله الغني شكورًا لعباده الفقراء المحتاجين، أليس حريًّا بالعبد الفقير المحتاج أن يشكر ربه صاحب النعم والآلاء عليه؟!

فليس العجبُ أن يشكر العبدُ الفقيرُ المحتاجُ ربَّهُ الغنيَّ صاحبَ النعمِ والإحسانِ، بل العجب كل العجب أن يشكر الربُّ الغنيُّ صاحبُ النعمِ والإحسانِ العبدَ الفقيرَ المحتاجَ.

إنَّ الشاكرين هم أهل الله وخاصته إذ هم القليل من عباده، قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

بل لأنه الشكور فإنه يَرضَى من عباده هذا الصنيع ويَرضَى به عنهم، قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر: ٧].

✿ ومنها: عظم الرجاء في فضل الله تعالى:

فالشكور يثيب عباده على أعمالهم وزيادة جزاءً منه وتفضلًا ونعمة، وشكرُ الله تعالى لأفعال العباد وعطاؤه لهم أمر يعجز العقل عن تصوره، وفهمه، وليس له بيان إلا أنه الشكور سبحانه ومن ذلك:

❑ لقد أثنى الله تعالى على بعض عباده ثناءً عامًّا، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وأثنى على بعضهم ثناءً خاصًّا، فقال عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢٣].

وقال عن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤٤].

وقال عن إسماعيل وإدريس وذي الكفل عليهم السلام ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء: ٨٥ – ٨٦].

وقال عن زكريا وأهل بيته ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ

وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

□ **ومن ذلك**: يقبل الحسنة، ويثيب عليها بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١]، وعن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ **«لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة»**(١).

قال الإمام الغزالي:

الشكور في أسماء الله: هو الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيمًا في الآخرة غير محدود، ومن جازى الحسنة بأضعافها يُقال إنه شكر تلك الحسنة، ومن أثنى على المحسن أيضًا يُقال إنه شَكَرَ(٢).

□ **ومن ذلك**: يقبل الصدقة ويربيها لصاحبها، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ **«من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإنَّ الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل»**(٣).

□ **ومن ذلك**: إذا ترك العبد أمرًا ابتغاء مرضاته عوضه خيرًا منه، قال

---

(١) أخرجه: مسلم (١٨٩٢).

(٢) المقصد الأسنى للغزالى (١/ ١٠٥).

(٣) أخرجه: البخاري (٧٤٣٠).

تعالى: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنفال: ٧٠].

❑ **ومن ذلك**: قد يرضى من عبده بالنية ويشكر له، ويثيبه عليها، فمن هم بحسنة ولم يعملها كتبها الله له حسنة، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عز وجل إذا هم عبدي بحسنة، فلم يعملها كتبتها له حسنة، وإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعفٍ**»(١).

❑ يرضى منك بترك السيئة ويشكر ذلك للعبدِ، فيكتبها لصاحبها حسنة، وإن هممت بها، قال رسول الله ﷺ: «**من هم بسيئة ولم يعملها كتبها الله له حسنة**»(٢).

❑ **ومن ذلك**: يغفر الكثير من الذنوب بالقليل من الأعمال شكرًا منه وفضلًا.

فغفر لرجل لما سقى كلبًا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**بينما رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرًا، فشرب منها، ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه ثم رقِيَ، فسقى الكلب، فشكر اللهُ له، فغفر له**»(٣).

وغفر لرجل ذنوبه لما أَخَّرَ غصن شوك عن طريق المسلمين، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

شوك على الطريق، فأخَّرَه، فشكر الله له، فغفر له»[١].

□ **ومن ذلك:** جعل الحسنات مذهبة للسيئات، ولم يجعل السيئات مذهبة للحسنات، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: ١١٤].

فغفر للمهاجرين ذنوبهم بهجرتهم، ولم يُذهب أجر هجرتهم بذنوبهم، عن جابر: أنَّ الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي ﷺ، فقال يا رسول الله هل لك في حصن حصين ومنعةٍ؟ قال حصن كان لدوس في الجاهلية، فأبى ذلكِ النبي ﷺ للذي ذخر الله للأنصار، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة هاجر إليه الطفيل بن عمرو، وهاجر معه رجل من قومه فاجتووا المدينة، فمرض فجزع فأخذ مشاقص له، فقطع بها براجمه، فشخبت يداه حتى مات، فرآه الطفيل بن عمرو في منامه، فرآه وهيئته حسنة، ورآه مغطيًا يديه، فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ، فقال: ما لي أراك مغطيًا يديك؟ قال: قيل لي لن نصلح منك ما أفسدت، فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ **«اللهم وليديه فاغفر»**[٢].

وغفر لأهل بدر خطأهم وزلاتهم، عن عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود، فقال: **«انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإنَّ فيها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها، فائتوني به»** فخرجنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أَخْرِجي الكتاب، فقالت ما معي من كتاب، فقلنا لتخرجِنَّ الكتاب، أو لتلقِينَّ الثياب، قال فأخرجته من عقاصها، قال فأتينا به رسول الله

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه: البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤).

(٢) أخرجه: مسلم (١١٦).

ﷺ، فإذا هو من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ، فقال: «**ما هذا يا حاطب**»؟ قال: لا تعجل عليَّ يارسول الله إني كنت امرءًا ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من نسب فيهم أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلتُ ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال النبي ﷺ «**صدق**»، فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ «**إنه قد شهد بدرًا، فما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»، قال وفيه أنزلت هذه السورة «**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**»[١].

۞ ومنها: ألَّا يستقل الإنسان عمله:

عن أبي ذر قال: قال لي النبي ﷺ «**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طليق**»[٢]؛ لأنك تقدمه للشكور الذي يقبل القليل ويثيب عليه.

قال النبي ﷺ «**اتقو النار ولو بشق تمرة**»[٣].

وهل يستطيع شق التمرة أن يبعد وجه العبد عن النار؟

نعم: فالصدقة قد تكون شق تمرة، لكنها لما تقع في يد الشكور تصير كالجبل العظيم تدفع عن وجهه النار.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٦٢٦).

(٣)**متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٥٤٠)، ومسلم (١٠١٦).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإنَّ الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوَّه حتى تكون مثل الجبل**»(١).

❁ **ومنها: المحبة لله تعالى:** وذلك لعظيم فضل الله، وكثير منته وعطائه؛ إذ إنه صاحب النعمة بالإرشاد للخيرات والطاعات، وهو صاحب الفضل والمنة بالتوفيق إليها، ولولا ذلك ما اهتدى الإنسان، وهو الذي يوفق العبد لشكر نعمته والثناء على ربه بما هو أهل له سبحانه وتعالى، ثم بعد ذلك يشكر اللهُ العبدَ على فعله الذي هو من فضل الله وعطائه.

سبحانه وتعالى مِن ربٍّ كريمٍ شكورٍ.

قال محمود الوراق:

إذا كان شكري نعمةَ اللهِ نعمةً ... عليَّ له في مثلها يجب الشكرُ

فكيف وقوعُ الشكرِ إلا بفضله ... وإن طالتِ الأيامُ واتصل العمرُ

إذا مسَّ بالسراء عمَّ سرورُها ... وإذا مسَّ بالضراء أَعْقَبَها الأجرُ

وما منهما إلا له فيه منةٌ ... تضيقُ بها الأوهامُ والبرُّ والبحرُ(٢)

❁ **ومنها: الشكر لأصحاب الفضل عليه من الخلق:**

قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ١٤﴾ [لقمان: ١٤]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**لا يشكر اللهَ من لا يشكر**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الشكر لابن أبي الدنيا (٨٣).

الناسَ»[١].

❁ ومنها: أنَّ النعمة موصولة بالشكر:

فيجب على العبد أخذ الأسباب التي تجلب له شكر الله تعالى، وذلك بحفظ نعمه، والانتفاع بها فيما أحل الله، والبعد عن ضياعها بكفر نعمه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧].

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إنَّ النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد[٢].

والنعمة التي لا يشكرها العبد، لا ينتفع بها في الدنيا، وتكون عليه وبالًا في الآخرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

عشرة أشياء ضائعة لا يُنتفع بها:

علم لا يُعمل به.

وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء.

ومال لا يُنفق منه، فلا يَستمتع به جامعُه في الدنيا، ولا يقدمه أمامه إلى الآخرة.

---

(١) أخرجه: أبوداود (٤٨١٣)، والترمذي (١٩٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠١).

(٢) أخرجه: البيهقي في الشعب (٤/ ١٢٧).

وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به.

وبدن مُعَطَّل من طاعته وخدمته.

ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره.

ووقت معطل عن استدراك فارطه، أو اغتنام بره وقربه.

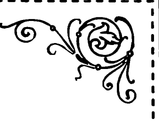
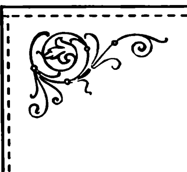
وفكر يجول فيما لا ينفع.

وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله، ولا تعود عليك بصلاح دنياك.

وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله، وهو أسيرٌ فى قبضته، ولا يملك لنفسه حذرًا، ولا نفعًا، ولا موتًا، ولا حياةً، ولا نشورًا[١].

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ١١١).

الجميل جلَّ جلالُه

الجمال هو الحسن، واذا كان ربنا له صفات الكمال؛ إذًا فكما بلغ التمام والكمال في القوة والعزة والقهر، وبلغ التمام والكمال في الحلم والرحمة والود، فقد بلغ الكمال والتمام في الحسن والجمال والبهاء سبحانه وتعالى.

الله تعالى جميل في ذاته، وجميل في أسمائه، وجميل في صفاته، وجميل في أفعاله.

فإنَّ أسماءَ الله وصفاتِه وأفعالَه بلغت الكمال في الجمال.

فهو جميل في ذاته.

جميل في عفوه.

جميل في مغفرته.

جميل في رحمته.

جميل في توفيقه لعباده.

جميل في عدله، جميل في كل أفعاله.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إنَّ الله تعالى حُجِبَت ذاتُه بصفاته، وحُجِبَت الصفات بالأفعال، فما بالك

بذات حُجِبَت بصفات الكمال، وسُتِرَت بنعوت العظمة والجمال[1].

فما بالك بهذا الجمال!.

فلو أنَّ الله تعالى جمع جمال الدنيا في شخص، ثم جمع الخلق جميعًا على جماله، ثم جمع جمالهم جميعًا لكان بالنسبة لجمال الله أقل من أقل سراج بالنسبة لضوء الشمس.

ومن جمال ربنا تبارك وتعالى أنه خلق مخلوقاته على هيئة جميلة، وأمر عباده أن ينظروا إلى جمال المخلوقات لكي يستدلوا بذلك على جماله، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل: ٦٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو الجميل على الحقيقة كيف لا ... وجمال سائر هذه الأكوان

من بعض آثار الجميل فربها ... أولى وأجدر عند ذي العرفان

فجماله بالذات والأوصاف وال ... أفعال والأسماء بالبرهان

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ١٨٢).

لا شـــيء يشـــبه ذاتـــه وصـــفاته   ســبحانه عـــن إفـــك ذي البهتـــان[١]

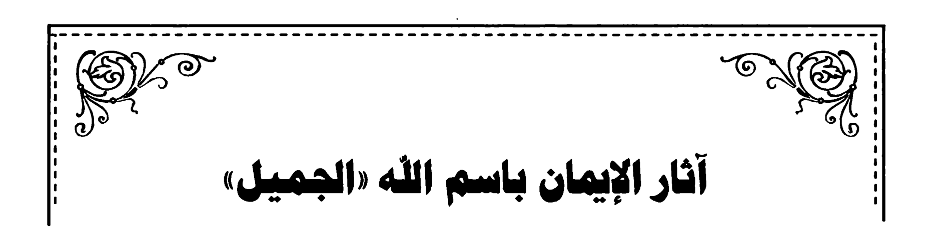
❁ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

عن عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كِبْر**»، فقال رجل إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنةً، قال: «**إنَّ الله جميلٌ يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»[٢].

---

(١) متن النونية لابن القيم (٢٠٣).

(٢) أخرجه: مسلم (٩١).



آثار الإيمان باسم الله «الجميل»

منها: أن تتمثل هذا الجمال في كل أقوالك وأفعالك:

وخاصة أنَّ النبي ﷺ أعلمنا أنَّ الله كما أنه جميل، فإنه يحب الجمال؛ لذا أمر الله تعالى بالجمال في كل فعل:

فأمر بالجمال في الصبر، فقال ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥﴾ [المعارج: ٥]،

الله الجميل أمر بالصفح الجميل، فقال ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ۝٨٥﴾ [الحجر: ٨٥].

بل قال عند الهجر ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠﴾ [المزمل: ١٠].

بل أعظم من ذلك أمر بالجمال عند الطلاق، فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝٢٨﴾ [الأحزاب: ٢٨].

إنَّ الله جميل يحب الجمال في الأفعال؛ لذا يحب الرفق في الأعمال كلها؛ لأنَّ الرفق زينة وجمال للأفعال،قال رسول الله ﷺ **«إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كله»**(١).

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢٥٩٣).

وقال رسول الله ﷺ: «**ما دخل الرفق في شيء إلا زانه**»[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله «**إنَّ الله جميل يحب الجمال**» يتناول جمال الثياب المسؤول عنه في نفس الحديث، ويدخل فيه بطريق العموم الجمال من كل شيء كما في الحديث الآخر «**إنَّ الله نظيف يحب النظافة**»، وفي الصحيح «**إنَّ الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»، وفي السنن «**إنَّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»، وفيها عن أبي الأحوص الجشمي قال: رآني النبي وعليَّ أطمار، فقال: «**هل لك من مال**» قلت: نعم، قال «**من أي المال؟**» قلت: من كل ما آتى الله من الإبل والشاة، قال «**فَلْتُرَ نعمتُه وكرامتُه عليك**». فهو سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نعمه، وهو جمال باطن، فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليها، ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباسًا وزينة تجمل ظواهرهم، وتقوى تجمل بواطنهم، فقال: «**يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يواري سوآتكم وريشًا ولباس التقوى ذلك خير**»، وقال في أهل الجنة «**ولقَّاهم نظرة وسرورًا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرًا**»، فجمل وجوههم بالنظرة، وبواطنهم بالسرور، وأبدانهم بالحرير، وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال، والأفعال، واللباس، والهيئة يبغض القبيح من الأقوال، والأفعال، والثياب، والهيئة، فيبغض القبيح وأهله، ويحب الجمال وأهله[٢].

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٥٩٤).

(٢) الفوائد لابن القيم (١/ ١٨٤).

✿ ومنها: الدلالة على مرتبة حسن الخلق وعظم جزاء من يتمثل به:

لأنَّ حسن الخلق من جمال الأفعال، وزينة الأعمال، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «**إنَّ من خياركم أحسنكم أخلاقًا**»[(١)]، ومن جمال حسن الخلق وعلو مرتبته أنه يبلغ العبد به درجة الصائم القائم، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**إنَّ المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»[(٢)].

❑ **ومن آثار جماله سبحانه**: أنه خلق الانسان على أحسن تقويم:

فخلق سبحانه الإنسان في أحسن صورة وجمال، بل إنَّ الله تعالى منَّ بزيادة الجمال على بعض خلقه، فمنَّ على يوسف وأعطاه شطر الحُسن[(٣)].

وأعطي النبي ﷺ من ذلك شيئًا كثيرًا، وهو مخلوق واحد، قال أبو هريرة عنه ﷺ وعن جماله «**كأنَّ الشمس تجري في وجهه**»[(٤)]، وقال جابر بن سمرة لما سئل عن النبي ﷺ وعن وجهه وجماله: أكان وجهه مثل السيف؟ قال: «**لا. بل كان مثل الشمس والقمر**»[(٥)].

قال الحافظ ابن حجر :مثل الشمس والقمر في الإضاءة والتدوير[(٦)].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

(٢) أخرجه: أبوداود (٤٧٩٨)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبى داود.

(٣) أخرجه: مسلم (١٦٢).

(٤) أخرجه: أحمد في مسنده (٨/ ٣٦٢)، والترمذي (٣٦٥٧)، وقال أحمد شاكر في تخريج المسند إسناده صحيح.

(٥) أخرجه: مسلم (٢٣٤٤).

(٦) فتح الباري للحافظ ابن حجر (٦/٥٧٣).

ومنها: التجمل للجميل سبحانه وتعالى عند لقائه:

وذلك بأن يأتي العبد لربه في أحسن صورة وهيئة؛ لأنه الجميل الذي يحب الجمال، فإن أتيته على صورة يحبها كنت بالطبع من المُكرَمين الفائزين، فقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١]، وإنه من الأدب إذا قابلت الجميل أن تكون جميلًا، وكما أمر بالتجمل عامَّة عند إتيان المساجد، والذهاب للقاء الرب الجميل سبحانه وتعالى، أمر كذلك بالتجمل في أوقات خاصة منها: أمر بالتجمل في يوم الجمعة عند الذهاب للمسجد، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ أنه قال «**من اغتسل يوم الجمعة، ومس من طيب امرأته - إن كان لها -، ولبس من صالح ثيابه، ثم لم يتخط رقاب الناس، ولم يلغ عند الموعظة كانت كفارة لما بينهما، ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهرًا**»(١).

عن سلمان الفارسي قال:قال رسول الله ﷺ «**لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى**»(٢).

وأمر بالتجمل في العيد عند الذهاب إلى المصلى، فعن عبد الله بن عمر قال: أخذ عمر جبة من إستبرق تباع في السوق، فأخذها، فأتى بها رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ابتع هذه تجمل بها للعيد والوفود، فقال له رسول الله

---

(١) أخرجه: أبوداود (٣٤٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٦٧).

(٢) أخرجه: البخاري (٨٨٣).

ﷺ «**إنما هذه لباس من لا خلاق له**»(١)، ووجه الاستدلال أنَّ النبي ﷺ أقر عمر على التجمل للعيد، ولكنه أنكر عليه التجمل بالحرير.

✿ ومنها: الترغيب في العمل للآخرة:

وذلك بالصبر على لأواء الدنيا، والبعد عن نزواتها وشهواتها وفتنها، وكبح لجام النفس حتى يفوز العبد بالنعيم المقيم يوم القيامة، ومن ذلك أن خلق الله للمؤمنين خلقًا خاصًّا، فزادهم من هذا الجمال ما لا يوجد في الدنيا مثله، ولا قريب منه، قال رسول الله ﷺ:«**لو أنَّ امرأة من الحور العين نظرت من السماء لأضاءت ما بين السماء والأرض نورًا كما تضيء الشمس، ولملأتهما ريحًا من جمال ريحها**»(٢).

قال رسول الله ﷺ:«**ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**»(٣)، وقال رسول الله ﷺ:«**لكل امرئ زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقها من وراء العظم واللحم**»(٤).

بل ومن جميل فعاله سبحانه يوم القيامه أن اختار أناسًا من عباده، أدخلهم الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب، وهؤلاء كماقال رسول الله ﷺ سبعون ألفًا، فاستزاد النبي ﷺ ربه؛ لأنه يعلم أن الله جميل الفعال، كثير العطاء والكرم.

قال: «**فزادني مع كل ألف سبعين ألفًا**» فاستزاده ﷺ، قال: «**فزادني ثلاث**

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٩٤٨)، ومسلم (٢٠٦٨).

(٢) أخرجه: البخاري (٢٧٩٦).

(٣) نفس الحديث السابق.

(٤) أخرجه: البخاري (٣٢٥٤)، ومسلم (٢٨٣٤).

حثيات من حثيات ربي»[١].

وهذا من جميل فعال الله سبحانه تعالى.

✿ ومنها: مكافأة الجميل لكل من ترك المحرم من متاع الدنيا:

فحجب نفسه عن الشبهات والشهوات ابتغاء رضوان الجميل، كافأه الجميل على ذلك بالنظر إلى وجه الجميل في يوم يكون الحجب عن وجهه من العذاب الأليم، ورؤية وجهه أعظم نعيم مقيم؛ لذلك فالله تعالى حجب هذا الجمال عن العصاة والكفار؛ إذ إنهم لا يستحقون هذا النظر، وكافأ أهل الايمان والطاعة بهذا النظر.

وإنَّ من جماله سبحانه وتعالى أن حجب جماله عن خلقه في الدنيا بحجاب من النور.

قال رسول الله ﷺ: «**حجابه نور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه**»[٢].

ورؤية الله تعالى مكافأة عظيمة، ومِنَّة جليلة لا تقوم لها الدنيا وأضعاف أضعاف أمثالها.

عن أنس بن مالك: عن النبي ﷺ «**أنه جاءه جبريل في كفه كالمرآة البيضاء في وسطها كالنكتة السوداء، فقال: ما هذه ياجبريل؟ قال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدًا ولقومك من بعدك، ولكم فيها خير، تكون أنت الأول ويكون اليهود والنصارى من بعدك، وفيها ساعة لا يدعو أحد ربه بخير**

---

(١) أخرجه: الترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٥٩).

(٢) أخرجه: مسلم (١٧٩).

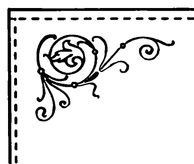
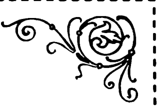
هو له قسم إلا أعطاه، أو يتعوذ من شر إلا دفع عنه ما هو أعظم منه، ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد، وذلك أنَّ ربك اتخذ في الجنة واديًا أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل من عليين، فجلس على كرسيه، وحف الكرسي بمنابر من ذهب مكللة بالجواهر، وجاء الصديقون والشهداء فجلسوا عليها، وجاء أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على الكثيب، وهو كثيب أبيض من مسك أذفر، ثم يتجلى لهم، فيقول أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي، فسلوني، فيسألونه الرضا، فيقول رضاي أحلكم داري وأنالكم كرامتي، فسلوني، فيسألونه الرضا فيشهد عليهم على الرضا، ثم يفتح لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر إلى مقدار منصرفهم من الجمعة وهي زبرجدة خضراء أو ياقوتة حمراء مطردة فيها أنهارها متدلية فيها ثمارها، فيها أزواجها وخدمها، فليس هم في الجنة بأشوق منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظرًا إلى ربهم عز وجل وكرامته، ولذلك دعي يوم المزيد»[1].

يا أيها الإنسان ما الذي غرك بهذا الجميل، جميل الذات، جميل الصفات، جميل الفعال؟!

إنه الجميل. اللهم إنك متعتنا بجميل صفاتك، وأنعمت علينا بجميل فعالك، فلا تحرمنا من لذة النظر إلى جميل ذاتك.

---

(١) أخرجه: الطبراني في الأوسط (٢/ ٣١٤)، والبزا ر(٢/ ٣٦٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٦١).

الحميد جلَّ جلالُه

الحميد هو الذي كثرت خصاله المحمودة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحميد أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره(١).

الحميد هو الذي يُحمد في كل مكان وزمان، قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ **[الروم: ١٨]**.

الحميد له الحمد؛ لأنَّ مِنْهُ الرحمة والبركة، قال تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ **[هود: ٧٣]**.

الحميد له الحمد؛ لأنه الله المعبود، ولأنه الرب الموجود، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ **[الفاتحة: ٢]**.

الحميد له الحمد؛ لأنه الغني عن عباده، وهم الفقراء إليه، قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ **[فاطر: ١٥]**.

الحميد له الحمد؛ لأنه هو الذي يخرج الناس من الظلمات إلى نور صراطه المستقيم، قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ **[إبراهيم: ١]**.

الحميد له الحمد؛ لأنه أنزل كتابه بحكمته البالغة، قال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ

---

(١) تفسير ابن كثير(١/ ٦٩٩).

حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ [فصلت: ٤٢].

الحميد له الحمد؛ لأنه لم يتخذ ولدًا، ولا شريك له في الملك، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدًا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١].

الحميد له الحمد؛ لأنه تولى أمر عباده، ومعاشهم، ورزقهم، ويغيثهم بعدما يئسوا من الغوث، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلۡوَلِىُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨].

الحميد له الحمد؛ لأنه أنزل على عبده الكتاب هدى ونورًا، ولم يجعل له عوجًا، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

محمود في إلاهيته،محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود، ورب محمود، ورحمن محمود، وملك محمود، فله بذلك جميع أقسام الكمال[1].

والحمد من الأسماء الواسعة بسعة ملكه ونعمه وقدره؛ لذا فكل اسم اقترن باسم الله الحميد يدل على السعة والزيادة؛ إذ ينبغي له المحامد العظيمة ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، بل وملء ما شاء من شيء بعد؛ إذ الحمد مقترن بالمحامد والثناء، ولا يعلم قدر المحامد، ولا بلوغ الثناء محله إلا الله الحميد.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٥).

فله الحمد على أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

قال ابن القيم رحمه الله:

وهـو الحميـد فكـل حمـد واقـع أو كـان مفروضًـا مـدى الأزمـان

مـلأ الوجـود جميعـه ونظيـره مـن غيـر مـا عـد ولا حسـبان

هـو أهلـه سـبحانه وبحمـده كـل المحامـد وصـف ذي الإحسـان(١)

❁ الأدلة الدالة على هذا الاسم:

قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٢٦٧﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وقال: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۝٧٣﴾ [هود:٧٣].

وقال: ﴿صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم: ١].

وقال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢].

وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٢٨﴾ [الشورى: ٢٨]، وغيرها من الآيات.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هدية: إنَّ النبي ﷺ خرج علينا، فقلنا يا رسول الله: عَلِمْنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا «**اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، اللهم بارك على محمد،**

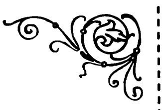
(١) متن النونية لابن القيم (٢٠٤).

وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»[١].

وله الحمد على أفعاله البالغة الكمال والحكمة، فله كل حمد وثناء وتمجيد حمدَهُ به عبادُه، ويحمدونه به، ولم يحمدوه به وكان ينبغي عليهم حمده به سبحانه، لا نحصي ثناء عليه؛ لذا لا نبلغ بالحمد له الكمال، ولا ما ينبغي له أو يستحقه سبحانه وتعالى.

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٦٣٥٧)، ومسلم (٤٠٦).

آثار الإيمان باسم الله «الحميد»

۞ منها: التوجه إلى الله تعالى بالحمد القولي:

وذلك بالثناء على الله تعالى بما أثنى على نفسه، وبما يعرف العبد من أسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل: ٥٩]، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «**إنَّ الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة، فيحمده عليها، ويشرب الشربة، فيحمده عليها**»(١).

عن أنس: أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا، وسقانا، وكفانا، وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي**»(٢).

وقد جعل النبي ﷺ أفضل الكلام أربع كلمات منها الاعتراف بالحمد لله.

عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ «**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت**»(٣).

وجعلها الله تعالى من أفضل الكلام، وأحبه إليه، ومما اصطفى لملائكته وعباده، عن أبي ذر قال: سئل رسول الله ﷺ أي الكلام أفضل؟ قال: «**ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده**» وفي رواية شعبة: قال لي

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٧٣٤).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٧١٥).

(٣) أخرجه: مسلم (٢١٣٧).

النبي ﷺ «**ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ إنَّ أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده**»[١].

وكانت من الكلمتين الخفيفتين على اللسان، الثقيلتين في الميزان، الحبيبتين إلى الرحمن، عن أبي هريرة قال:قال رسول الله ﷺ «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[٢].

بل إنها كانت من اسم الله الأعظم، عن أنس بن مالك قال سمع النبي ﷺ رجلًا يقول: اللهم إني أسألك بأنَّ لك الحمد. لا إله إلا أنت. وحدك لا شريك لك. المنان. بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام. فقال رسول الله ﷺ «**لقد دعا الله باسمه الذي إذا دُعِي به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى**»[٣].

لذا فإنَّ الملائكة تبادر بكتابتها لعلمهم بعظمها، وعظم أجرها عند الله، عن رفاعة بن رافع الزرقي قال: كنا نصلي يومًا وراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رفع رأسه من الركعة قال: «**سمع الله لمن حمده**». قال رجل: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف قال «**مَن المتكلم**»؟ قال: أنا، قال: «**رأيت بضعًا وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أولُ**»[٤]؛ فجعلها النبي ﷺ في صلاته دائمًا، فعن ابن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٧٣١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه: أبوداود (١٤٩٥)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

(٤) أخرجه: البخاري (٧٩٩)، ومسلم (٦٠٠).

رفع ظهره من الركوع قال: «**سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد**»[(١)].

وجعلها شعارًا في حجه، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يهل ملبدًا يقول: «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**»[(٢)]، ويقولها عندركوب دابته، عن علي بن ربيعة قال: شهدت عليًّا أُتِي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: «**بسم الله**» ثلاثًا، فلما استوى على ظهرها قال: «**الحمد لله**»، ثم قال: «**سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون**»، ثم قال: «**الحمد لله ثلاثًا، والله أكبر ثلاثًا، سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»، ثم ضحك، قلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال رأيت رسول الله ﷺ صنع كما صنعت، ثم ضحك فقلت: من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال : «**إنَّ ربك ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب غيرك**»[(٣)].

وإذا قام من نومه قالها، عن أبي ذر قال: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**»، وإذا استيقظ قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**»[(٤)].

---

(١) أخرجه: مسلم (٤٧٦).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٩١٥)، ومسلم (١١٨٤).

(٣) أخرجه: أبوداود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٤٢).

(٤) أخرجه: البخاري (٦٣٢٤)، ومسلم (٢٧١١).

❁ ومنها: التوجه إلى الله تعالى بالحمد عملًا وفعلًا:

وهو القيام بالطاعات والأعمال ابتغاء مرضات الله وابتغاء وجهه، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: ٣٩]، لذا نسب الله الصراط المستقيم إلى اسمه الحميد، فقال ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [السجدة: ١٥].

❁ ومنها: التوجه إليه تعالى بالحمد بالقلب والتعظيم له:

وذلك بالاعتراف بفضله، وأنَّ المحامد والمحاسن كلها راجعة إليه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٣].

❁ ومنها: أنَّ الحمد لله صفة يعترف بها كل الكون:

فالإيمان بهذا الاسم يجعل المسلم يسير في فلك هذا الكون، ويدور معه في فلك العبادة والاعتراف لله بوحدانيته، والتسبيح بحمده سبحانه، فالملائكة عامة تسبح بحمده، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

وحملة العرش تسبح بحمده، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

وأمر الله بها أنبياءه، فقال لنوح ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وقال حكاية عن سليمان وداود ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل: ١٥]، وقال لنبيه محمد ﷺ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٣].

وكذلك الرعد يسبح بحمده، قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: ١٣].

بل وهو أول قول أهل الجنة عند حلولهم فيها، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤ - ٣٥].

❁ ومنها: أنَّ الحمد يكون لله على كل حال:

فالعبد لا يعرف مآلات الأمور، ولا اتجاه حكمة الله، ولا أسرار أفعاله، لكنه يعلم أنَّ له صفات الكمال والجلال، فعليه أن يتوجه له بالحمد، ويرضى بما قضاه وقدره، فالحمد لله ليس في السراء فقط، بل هو في كل حال في السراء والضراء، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقد يكون ذلك الحمد في وقت الشدائد سببًا في دخول العبد الجنة؛ إذ هو تحقيق عملي وإيمان قلبي راسخ بأنَّ الله هو الحميد، عن أبي موسى

الأشعري: أنَّ رسول الله ﷺ قال «**إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه بيت الحمد**»(١).

❁ ومنها: أنَّ الحمد والتحميد باقٍ لله تعالى في الدنيا والآخرة:

إنَّ الأعمال تنقطع في الجنة، ولا يبقى إلا النعيم، لكنهم مع هذا النعيم المقيم لا يستغنون عن الاعتراف لله بالحمد، وأنه الحميد صاحب النعمة عليهم، فيُلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «**يأكل أهل الجنة فيها، ويشربون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يبولون، ولكن طعامهم ذاك جشاءٌ كرشح المسك، يُلهمون التسبيح والتحميد كما تُلهمون النفس**»(٢).

❁ ومنها: الاعتراف له تعالى بأنَّ كل فضل ونعمة راجعة إليه:

فهو سبحانه صاحب النعم ابتداءً وانتهاءً:

فعند النجاة من الظالمين فله الحمد، قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وعند الهداية في خضم أمواج الضلالة وعماية الناس، فله الحمد، قال تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج: ٢٤].

---

(١) أخرجه: الترمذي (١٠٢١)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحه (١٤٠٨).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٨٣٥).

وعند قطع دابرالذين كفروا واستئصال شأفتهم، فله الحمد، قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥].

وعند المنة بالولد والذرية فله الحمد، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾

[إبراهيم: ٣٩].

وعند المنة على العبد بالوجاهة في الدين، فله الحمد، عن سهل بن سعد أنَّ رسول الله ﷺ بلغه أنَّ بني عمرو بن عوف كان بينهم شرٌّ، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناسٍ معه، فجلس رسول الله ﷺ، وحانت الصلاة، فجاء بلالٌ إلى أبي بكر، فقال يا أبا بكر إنَّ رسول الله ﷺ قد حُبس وحانت الصلاة، فهل لك أن تؤم الناس؟ قال: نعم إن شئت، فأقام بلال، وتقدم أبو بكر، فكبر وكبر الناس، وجاء رسول الله ﷺ يمشي في الصفوف، حتى قام في الصف، فأخذ الناس في التصفيق، وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته، فلما أكثر الناس التفت، فإذا رسول الله ﷺ، فأشار إليه رسول الله ﷺ، فرفع أبو بكر يده، فحمد الله، ورجع القهقرى وراءه، حتى قام في الصف، فتقدم رسول الله ﷺ، فصلى للناس، فلما فرغ أقبل على الناس، فقال: «**أيها الناس مالكم حين نابكم شيءٌ في الصلاة أخذتم في التصفيق، إنما التصفيق للنساء، من نابه شيءٌ في صلاته فليقل: سبحان الله، فإنه لا يسمعه أحدٌ حين يقول سبحان الله إلا التفت، يا أبا بكر ما منعك أن تصلي بالناس حين أشرت إليك؟**» فقال أبوبكر: ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ[1].

وقيل إنَّ أبابكر رفع يديه، وقال الحمد لله؛ لأنَّ الإمامة وجاهة في الدين،

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (١٢٠١)، ومسلم (٤٢١).

فلما رضيها النبي ﷺ، وأشار إليه أن ابق، حمد الله تعالى لذلك.

وعند النجاة من النار، ودخول الجنة، فله الحمد، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾

[فاطر: ٣٤ - ٣٥].

فالحمد لله تعالى على كل نِعَمِه التي لا تُحصر ولا تُحصى.

وكان الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا ابتدأ كلامه يقول:

الحمد لله: اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا، ورزقتنا، وهديتنا، وعلمتنا، وأنقذتنا، وفرجت عنا، لك الحمد بالإسلام والقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، كبَتَّ عدونا، وبسطت رزقنا، وأظهرتَ أمننا، وجمعت فرقتنا، وأحسنت معاملتنا، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتَنا، فلك الحمد على ذلك حمدًا كثيرًا، لك الحمدُ بكلِّ نعمةٍ أنعمتَ بها علينا في قديمٍ أو حديثٍ، أو سرٍّ أو علانيةٍ، أو خاصةٍ أو عامةٍ، أو حيٍّ أو ميتٍ، أو شاهدٍ أو غائبٍ، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت[1].

وكان محارب بن دثار رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقوم من الليل ويرفع صوته أحيانًا، وهو يقول أنا الصغير الذي ربيتَه فلك الحمد، وأنا الضعيف الذي قويتَه فلك الحمد، وأنا الفقير الذي أغنيتَه فلك الحمد، وأنا الساغب الذي أشبعتَه فلك الحمد، وأنا العاري الذي كسوتَه فلك الحمد، وأنا المسافر الذي صاحبتَه فلك الحمد، وأنا الغائب الذي أديتَه

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ١٣٩).

فلك الحمد، وأنا الراجل الذي حملتَه فلك الحمد، وأنا المريض الذي شفيتَه فلك الحمد، وأنا الداعي الذي أجبتَه فلك الحمد، ربنا ولك الحمد، ربنا حمدًا لك على كل نعمة(١).

۞ ومنها: أنَّه بالاعتراف لله بالحمد والكمال تُقضى الحاجات وتُيسر الأمور وتَنقضي التبعات:

عن فضالة بن عبيد قال: دخل رجل في صلاة، فلم يحمد، ولم يمجد، ولم يصل على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ «**عجلت أيها المصلي**»، ثم علمهم رسول الله ﷺ، فسمع رجلًا يصلي، فحمد الله وحده، وصلى على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ «**أيها المصلي ادع تُجَب، وسَل تُعطَه**»(٢).

ولما طلبت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خادمًا من النبي ﷺ يساعدهم في قضاء حاجاتهم أرشدهم للتسبيح والتحميد.

عن علي أنَّ فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحى في يدها، وأتى النبي ﷺ سبيٌ، فانطلقت فلم تجده، ولقيت عائشة، فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها، فجاء النبي ﷺ إلينا، وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النبي ﷺ على مكانكما، فقعد بيننا حتى وجدت برد قدمه على صدري، ثم قال: «**ألا أعلمكما خيرًا مما سألتما، إذا أخذتما مضاجعكما أن تكبرا الله أربعًا وثلاثين، وتسبحاه ثلاثًا وثلاثين، وتحمداه ثلاثًا وثلاثين، فهو**

---

(١) شعب الإيمان (٤/ ١٤٢)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧/ ٦٢)، والتهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا (١/ ١٥٤).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٤٧٦)، والنسائي (١٢٨٤)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٦٥).

خير لكما من خادم»[١].

قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم رَحِمَهُ اللَّهُ:

إنه ليكون في المجلس الرجل الواحد يحمد الله- عز وجل- فيُقضى لذلك المجلس حوائجهم كلهم[٢].

بل إنَّ الحمد لله الحميد لا تقضى به الحاجات فقط، بل يزداد العطاء من الله الحميد سبحانه، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «**ما أنعم الله على عبد نعمة، فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ**»[٣].

وبها يُحفظ العبد من البلاء والمضار التي يخافها، عن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَن رأى صاحب بلاء، فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلًا إلا عوفي من ذلك البلاء كائنا ما كان ما عاش**»[٤].

ويجلب الرضا والرحمة، عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»[٥].

عن أنس: قال عطس رجلان عند النبي ﷺ، فشمَّت أحدَهما، ولم يشمِّتْ

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٢) عدة الصابرين لابن القيم (١/ ١١٣).

(٣) أخرجه: ابن ماجه (٣٨٠٥)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

(٤) أخرجه: الترمذي (٣٤٣٢)، وابن ماجه (٣٨٩٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحه (٦٠٢).

(٥) سبق تخريجه.

الآخر، فقال الذي لم يُشَمَّت: عطس فلان فشمَّتَّه، وعطستُ فلم تُشَمِّتْني، فقال: «**إنَّ هذا حمد الله، وإنك لم تحمد الله**»[١]، بل ويكون مغفرة للذنوب، عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «**مَن أكل طعامًا، فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٢].

قال بكر بن عبدالله:

رأيت حمَّالًا عليه حمله، وهو يقول الحمد لله، وأستغفر الله، قال فانتظرته حتى وضع ما على ظهره، وقلت له: أمَا تحسن غير هذا؟ قال: بل أحسن خيرًا كثيرًا، أقرأ كتاب الله، غير أنَّ العبد بين نعمة وذنب، فأحمد الله على نعمه السابغة، وأستغفره لذنوبي، فقال: الحمَّال أفقه من بكر[٣].

قال أبو العالية الرياحي:

إني لأرجو أن لا يهلك عبد بين اثنين: نعمة يحمد الله عليها، وذنب يستغفر منه[٤].

بل إن الحمد من غراس الجنة، عن جابر عن النبى ﷺ قال «**من قال سبحان الله العظيم وبحمده. غرست له نخلة فى الجنة**»[٥].

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٩٩١).

(٢) أخرجه: أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٦٥٢).

(٣) عدة الصابرين لابن القيم (١/ ١٠٠).

(٤) عدة الصابرين لابن القيم (١/ ١٠٥).

(٥) أخرجه: الترمذي (٣٤٦٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٤).

إنَّ الاعتراف لله بالحمد، وأنه الحميد سبحانه تملأ ميزان العبد في يوم تشيب فيه الولدان، ويتمنى العبد لو حسنة تنجيه، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نورٌ، والصدقة برهانٌ، والصبر ضياء، والقرآن حجةٌ لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها**»[1].

فإذا نظرت إلى كل هذه الآثار لا تملك إلا أن تقول:

ربـي لـك الحمـد العظـيم لـذاتك ... حمـدًا ولـيس لواحـد إلاكَ

يامـدرك الأبصـارِ والأبصـارُ ... لا تـدري لـه ولكنهـه إدراكًـا

يامنبـت الأزهـار عـاطرة الشـذى ... يـا مجـري الأنهـار عازمـة النـدى

مـا خـاب يومًـا ... مـن دعـا ورجـاك

يأيهـا الانسـان مهـلًا مـا الـذي ... بـالله جـلَّ جلالـه أغـراك

࿇

(١) أخرجه: مسلم (٢٢٣).



المبحث الثاني

آثار الإيمان بصفات الرحمن



آثار الإيمان بصفات الرحمن

إنَّ الله تبارك وتعالى له الصفات العلى كما له الأسماء الحسنى، وأهل السنة يُقرون بالصفات الواردة في الكتاب والسنة، لا يزيدون، ولا يُنقصون، ولا ينكرون شيئًا من ذلك، بل يُمِرُّونها كما أتت بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، وما شغلوا أنفسهم بقولهم:كيف؟

وما وُجد السؤال عن الكيف إلا بعد عصر خير القرون عصر الصحابة ﷺ، ودخل من طريق أهل البدع والكلام، عافانا الله من البدع وأهلها وهدانا إلى الصراط المستقيم.

قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ: قال أحمد بن سعيد الرباطي: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن إبراهيم يعني ابن راهويه، فسُئِل عن حديث النزول صحيح هو؟

فقال: نعم.

فقال بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب أتزعم أنَّ الله ينزل كل ليلة؟

قال: نعم. قال: كيف ينزل؟

قال: أَثْبِتْه فوق حتى أصف لك النزول. فقال: الرجل أثبتُّه فوق.

فقال إسحاق: قال الله تعالى: «**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**».

فقال له الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة.

فقال إسحاق: أعز الله الأمير من يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم.

وروى بإسناده عن إسحاق قال: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي تروونه عن النبي ﷺ «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا**» كيف ينزل؟

قال: قلت: أعز الله الأمير لا يقال لأمر الرب كيف ينزل. إنما ينزل بلا كيف(١). أي بلا كيف معلوم لنا.

وبإسناده أيضًا عن عبد الله بن المبارك أنه سأله سائل عن النزول ليلة النصف من شعبان، فقال عبد الله يا ضعيف ليلة النصف أي وحدها، هو ينزل في كل ليلة، فقال الرجل يا أبا عبد الرحمن: كيف ينزل؟ ألم يخل ذلك المكان؟! فقال: عبد الله بن المبارك ينزل كيف شاء(٢).

لذلك ما ورد سؤال واحد من أحد الصحابة للنبي ﷺ عن كنه ذلك أو كيفيته، بل شغلوا أنفسهم بالسعي لفهم مقتضاها، والاستفادة من آثارها، وتحصيل المنافع منها في الدنيا والآخرة.

فلما علموا أنَّ الله عالٍ فوق السماء مستوٍ على عرشه، ما قالوا: كيف استوى وعلا؟، ولكن ءامنوا بعلوه، ووثقوا به؛ لأنه عال بقدره وشأنه، واطمأنت قلوبهم بفعله ونصره؛ لأنه عال بقوته وقهره، وتوجهوا برفع أيديهم إليه يطلبون حاجاتهم؛ لأنه عالٍ بذاته مستو على عرشه.

ولما علموا أنه ينزل في ثلث الليل الآخر ما قالوا: كيف ينزل؟، أو أين

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (١/ ٣٨).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٩).

يكون عرشه حين ينزل؟، بل قاموا الليل يتضرعون ويستغفرون، وينعمون بنزوله لهم، واختصاصهم ببعض فضله.

ولما علموا أنه يضحك ما قالوا: كيف يضحك؟، بل قالوا لن نُعدَم من رب يضحك خيرًا.

ولقد كان هذا هو منهج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والسلف الكرام، ومن تبعهم وسار على نهجهم واقتدى بهم في كل زمان ومكان.

قال أبو عمر بن عبدالبر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة[1].

ومن شؤم طليع من أنكرصفات الله تعالى وسوء رأيه، أنه حُرِم هذه الآثار؛ لأنه لم يؤمن بهذه الصفات، بل حرفها عن مقتضاها، وأولها عن معناها.

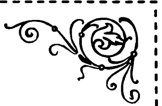
لذا تجد أهل السنة هم أصح الناس عقيدة وأكثرهم عملًا، وأهل البدع هم أفسد الناس عقيدة وأقلهم عملًا.

فعلى المسلم أن لا ينشغل بما لم يُرَد منه، ولم يُكلَّف به، بل ينشغل بما أراد الله منه، وكلفه به.

هدانا الله والمسلمين لما اختُلِف فيه من الحق بإذنه، وبصرنا بالحق المبين، والصراط المستقيم.

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر (٧/ ١٤٥).




صفة كلام الله تعالى

الكلام من الصفات الثابتة لله تعالى؛ إذ إنها من صفات الكمال.

ولا يَعلم كيفيتها إلا اللهُ تعالى كباقي الصفات.

❁ الأدلة الدالة على هذه الصفة:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء: ٨٧].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [النساء: ١٢٢].

وبين أنَّ الله كلم بعض خلقه، فكلم نبي الله موسى وسُمِّي من أجل ذلك كليم الله، فقال تعالى: ﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ [مريم: ٥٢]، وقال: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠﴾ [الشعراء: ١٠].

وكلم الله تعالى آدم، فقال تعالى: ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧﴾ [طه: ١١٧].

وكلم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قال: «**إذا أحب الله العبد نادى جبريل إنَّ الله يحب فلانًا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء إنَّ الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»(١).

بل يكلم الناس جميعا يوم الحشر بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب، عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول «**يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب: أنا الملك أنا الديان**»(٢).

ويكلم أهل الجنة، عن أبي سعيد: أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله عز وجل يقول لأهل الجنة: ياأهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك. فيقولون: يا رب وأي شيءٍ أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**»(٣).

ويكلم أهل النار، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

بل إنَّ الله تعالى نفى الألوهية عن العجل الذي عبده بنوإسرائيل بأنه لا يتكلم، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: أحمد (٣/ ٤٩٥)، والحاكم (٢/ ٤٧٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٣٦٠٨).

(٣) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ [الأعراف: ١٤٨]، ونفاها عن الأصنام أيضًا، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنبياء: ٦٣ - ٦٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

والله ربي لم يزل متكلمًا ... وكلامه المسموع بالآذان

صدقًا وعدلًا أُحكمت كلماته ... طلبًا وإخبارًا بلا نقصان

ورسوله قد عاذ بالكلمات من ... لدغٍ ومن عينٍ ومن شيطانِ

إيعاذ بالمخلوقِ حاشاه مِنَ الـ ... إشراك وهو مُعَلِّم الإيمان

بل عاذ بالكلمات وهي صفاته ... سبحانه ليست من الأكوان

وكذلك القرآن عين كلامه المـ ... ـسموع منه حقيقة ببيان

هو قول ربي كله لا بعضه ... لفظًا ومعنى ما هما خلقان

تنزيل رب العالمين وقوله ... اللفظ والمعنى بلا روغان[1]

---

(١) النونية لابن القيم (١/ ٣٧-٣٨).




آثار الإيمان بصفة الكلام

✿ منها: التعظيم لكلام الله تعالى وكتابه:

والتعظيم لكلام الله تعالى يكون بالتزام بأمره واجتناب نهيه، والوقوف عند حدوده، إنه كلام الله، ألا ترى الملائكة إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت بأجنحتها خضعانًا لقوله، عن أبي هريرة أنَّ نبي الله ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق، وهو العلي الكبير**»[1].

✿ ومنها: الاجتهاد في جمع القرآن في الصدور:

فإن الذي يجمعه في صدره إنما يجمع بين جوانحه وصدره شيء من كلام الله، فهو وسامٌ أعظم من كل أوسمة الدنيا التي توضع على الصدور، إنه وسام الفوز بشيء من كلام الله تعالى.

وأكرم اللهُ أهلَ القرآن ومن جمع شيئًا منه لأجل ذلك، فجعلهم أئمة، صغارًا كانوا أو كبارًا، عن أبي قلابة عن عمرو بن سلمة قال: كنا بماءٍ ممر الناس، يمر بنا الركبان فنسألهم: ما للناس؟ ما هذا الرجل؟ فيقولون: يزعم أنَّ الله أرسله أوحي إليه كذا، فكنت أحفظ ذلك الكلام، فكأنما يغرى في صدري، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح، فيقولون اتركوه وقومه، فإنه إن

---

(١) أخرجه: البخاري (٤٨٠٠).

ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق، فلما كانت وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي حقًّا، فقال: صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآنًا، فنظروا فلم يكن أحدٌ أكثر قرآنًا مني لما كنت أتلقى من الركبان، فقدَّموني بين أيديهم، وأنا ابن ست، أو سبع سنين، وكان عليَّ بردةٌ كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي ألا تغطوا عنا إست قارئكم! فاشتروا فقطعوا لي قميصًا، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص[(١)].

وجمعُ كلام الله في الصدور يجعل أصحابه أمراء على الناس وسادة، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة أنَّ نافع بن الحارث لقي عمر بن الخطاب بعسفان، وكان عمر بن الخطاب يستعمله على مكة، فقال مَن استعملت على أهل هذا الوادي؟ فقال: ابن أَبْزَى، قال: ومَن ابن أَبْزَى؟ فقال: مولى من موالينا، فقال: استخلفت عليهم مولى، قال: إنه قارئٌ لكتاب الله، عالمٌ بالفرائض، فقال عمر: أما إنَّ نبيكم ﷺ قد قال «**إنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**»[(٢)].

وجعلهم أهل المشورة، فكان القراء أصحاب مجالس عمر وأهل مشورته؛ إذ إنَّ الرحمات تتنزل في مجالسهم، ويرشدون إلى الخير، ويكفون عن الشر، ولا يبغون بذلك أجرًا إلا من الله تعالى، لما قدم عيينة بن حصن نزل على ابن أخيه الحربن قيس بن حصن، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر،

---

(١) أخرجه: البخاري (٤٣٠٢).

(٢) أخرجه: مسلم (٨١٧).

وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شبانًا...[(١)].

❁ **ومنها: الاستماع والإنصات لكلام الله إذا قرئ:**

فإنَّ الله يتكلم إليك، فهل تستطيع أن تُشغل عن العظماء والكبراء من أهل الدنيا إذا تكلموا إليك، وأقبلوا عليك، ولله المثل الأعلى، فما بالك وأنَّ الذي يتكلم إليك، ويقبل عليك هو الكبير المتعال، فإنه إما أن يأمرك بأمر فتقول سمعت وامتثلت وفعلت، وإما أن ينهاك عن فعل فتقول سمعت، وامتثلت، وانتهيت، وإما أن يناديك ليرشدك لما فيه صلاحك، فتقول: لبيك ربي وسعديك والخير بيديك والشر ليس إليك، وإما أن يخبرك بخبر فتقول ءامنتُ ربي بما قلتَ وصدقتُ.

❁ **ومنها: أنَّ كلام الله وسعته يدل على عظمة الله وكماله:**

فكلامه لا يُحصى وعلمه لا يُحَد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧]، وقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩].

❁ **ومنها: التشويق للقاء الله تعالى:**

حيث إنَّ وجود كلام الله تعالى بين عباده يقرأونه، ويتعبدون به، ويمتثلون أمره، يشوق نفوسهم للقاء ربهم، وكأنه يربط قلوبهم وأذهانهم وأفئدتهم بربهم، لذا يأتي كلام الله تعالى يوم القيامة متقدمًا أصحابه، إنه عائد إلى ربه، وجاء ليحاج عن أصحابه الذين وعوه في صدورهم، وعملوا به، وقدروه وعظموه، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، وقاموا يتلونه آناء الليل وأطراف النهار.

---

(١) سبق تخريجه.

❁ ومنها: المحبة لكلام الله تعالى:

فإنَّ محبة كلام الله تعالى تجلب للعبد حب مَن تكلم به وهو الله،

عن عائشة أنَّ رسول الله ﷺ بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ «**قل هو الله أحدٌ**»، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**سلوه لأي شيءٍ صنعتَ ذلك**»؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ «**أخبروه أنَّ الله يحبه**»[1].

❁ ومنها: خشوع القلب عند سماع كلام الله تعالى، وازدياده إيمانًا:

فإن لم يخشع القلب، ويتعظ بكلام الله، فبأي شيء يصلح القلب ويخشع ويتأثر؟! قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

وقال: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦].

ولأنه كلام الله تعالى، فإنه لو نزل على الجبال والصخور الصلدة لخشعت وتصدعت من سماع كلام الله تعالى، وتأثرها به، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١].

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).

۞ ومنها: أنَّه تُقضَى به الحاجات، وتُلَبَّى الرغبات:

فإنه كلام الله، فبه الشفاء لأنَّ الله الشافي وبكلامه يَشفِي، وبه تتنزل الرحمات؛ لأنه الله الرحيم وهذا كلامه، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]، وبه يُتَبَرَّك إذ البركة من الله، وهذا كلامه، ألا ترى النبي ﷺ كان يكشف جسده لينال من المطر، ويقول إنه حديث عهد بربه أي بأمر ربه، عن أنس قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، قال: فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا: يا رسول الله لِمَ صنعت هذا؟ قال: «**لأنه حديث عهد بربه تعالى**»(١).

فلما كان حديثِ العهد بكلام الله وأوامره كان فيه الخير والبركة، مع أنَّ هذا أثر كلام الله تعالى، وأمره الكوني القدري، فما بالك وبعض كلام الله الشرعي بين يديك، وأنزله إليك خاصة، أليس هذا فضلًا عظيمًا يغفل عنه الكثير؟!.

۞ ومنها: أنَّه بقراءته تتنزل السكينة:

فإنه كلامه، والسكينة عطاء من عنده، فتتنزل السكينة والراحة والطمأنينة عند قراءته، عن البراء بن عازب، قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال «**تلك السكينة تنزلت للقرآن**»(٢).

---

(١) أخرجه: مسلم (٨٩٨).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٥٠١١)، ومسلم (٧٩٥).




صفة العلو

صفة العلو وردت في كثير من الأدلة، وبين الله تعالى أنه عليٌّ، وأنه أعلى، وأنه متعال.

فالعلي: يدل على ارتفاع المكان، أو ارتفاع المكانة.

والأعلى: هو اسم تفضيل، وهو يدل على ارتفاعه على غيره.

والمتعال: هو من التعالي والارتفاع، والمراد العلو بالقهر والغلبة.

الله تعالى عال بذاته، وعال في قدره وشأنه، وعال في قهره، فالعلو أنواع ثلاثة اجتمعت لله تعالى بكمالها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

هـذا ومـن توحيـدهم إثبـات أو ... صـاف الكمـال لربنـا الـرحمن

كعلـوه سـبحانه فـوق السمـ ... ـاوات العلى بـل فـوق كـل مكـان

فهـو العلـي بذاتـه سـبحانه ... إذ يسـتحيل خـلاف ذا ببيـان

وهـو الـذي حقًّـا علـى العـرش استوى ... قـد قـام بالتـدبير للأكـوان[1]

---

(١) متن النونية لابن القيم (٢٠٣).

وكذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهــو العلــي فكــل أنــواع العلُــــــــــوفثابتة لـــــه بــــلا نكـــــران[1]

۞ أنواع العلو:

❑ علو القهر:

وهو لا يُنازِع فيه أحد، فلا يدَّعي أحد أنَّ الله ليس عال بقهره، بل إنَّ الله تعالى يقهر كل مخلوقاته سبحانه وتعالى، بل والكفار الذين كانوا لا يؤمنون بالله تعالى كانوا عند المضايق يرجعون إليه، ويلجأون إليه؛ لعلمهم أنه القاهر القوي الذي لا يغني شيء من دونه، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

❑ علو قدر ومكانة:

وكيف لا!

وهو: صاحب العلو المطلق.

وهو صاحب النعمة المسداة.

وهو صاحب الهداية إلى الطريق المستقيم.

وهو صاحب التدبير في الدنيا، والمرجع والمصير في الآخرة.

وهو الذي يعطي ويمنع، ويعز ويذل.

وهو الذي يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب.

---

(١) المصدر السابق.

ومع كل ذلك مهما تقرَّب العبد إلى ربه، وعَبَدَه، وأطاعه ما قدَّر اللهَ حقَّ قَدْرِه، وما قدَّم له ما يليق بجلاله وكماله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

❑ علو الذات:

وهو أنَّ الله تعالى في السماء عالٍ بذاته سبحانه وتعالى، وهذا العلو هو الذي نفاه أهل البدع، وخالفوا فيه، وأنكروا أن يكون الله تعالى بذاته فوق السماء مستو على عرشه.

أدلة إثبات علو ذاته سبحانه وتعالى:

✿ إثباته علوه بصعود الأشياء إليه:

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠].

ومن ذلك بيان أنَّ الله تعالى رفع عيسى إليه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: ٥٥]

ومن ذلك صعود الملائكة وعروجها إليه سبحانه، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ٤].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم، وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون**»(١).

ومن الأدلة على ذلك أيضًا أنَّ النبي ﷺ عُرِج به إلى السماء ولقي الأنبياء في السماوات، ووصل إلى سدرة المنتهى، وسمع صريف الأقلام، وفرض الله تعالى عليه الصلاة في السماء(٢).

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، والعرش أعلى مخلوق؛ لذلك علا ربه عليه، كل ذلك يدل على أنَّ الله فوق السماء مستو على العرش سبحانه وتعالى.

❁ إثبات العلو بنزوله، ونزول الأشياء منه:

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١]، فنزول الأشياء من عنده تدل على علوه سبحانه.

وفي الحديث «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من**

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤).

يستغفرني فأغفر له»[1]، كل ذلك يدل على أنَّ الله تعالى في العلو سبحانه وتبارك وتعالى.

❁ إثبات العلو بذكر أنه في السماء:

ومنها: أن يذكر الله تعالى ببيان واضح أنه في السماء، قال الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: ١٦ - ١٧].

فمن الذي في السماء الذي يخسف بهم الارض أو يرسل عليهم حاصبًا؟!

إنه الله العلي.

وبين ذلك ﷺ بإقراره:

فعن معاوية بن الحكم قال: كان لي جاريةٌ ترعى غنمًا قِبَل أحد والجوانية، فاطلعتُ ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجلٌ من بني آدم آسف كما يأسفون، لكن صككتها صكةً، فأتيت رسول الله ﷺ، فعظم ذلك عليَّ، قلت يارسول الله: أفلا أعتقها؟ قال: «**ائتني بها**»، فأتيته بها، فقال لها «**أين الله**»؟ قالت: في السماء. قال: «**من أنا**»؟ قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[2].

وهذا يدل على أنَّ الإيمان بأنَّ الله في السماء من دلائل الإيمان.

وبين ذلك بفعله ﷺ:

فكان كلما دعا الله تعالىٰ رفع يديه إلى السماء إشارة إلى الله تعالى، بل

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: مسلم (٥٣٧).

كان النبي ﷺ كلما كان الأمر أشد، والحاجة أكبر بالغ في مدِّ يديه إلى السماء، كما حدث في الاستسقاء، عن أنس قال: «**كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء، فإنه كان يرفع حتى يرى بياض إبطيه**»(١)، والمراد لا يرفع يديه مدًّا مبالغًا فيه إلا في الاستسقاء.

ومثل ماحدث في غزوة بدر، عن عمر بن الخطاب قال: نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين، وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه، وجعل يهتف بربه «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض**» فما زال يهتف بربه مادًّا يديه، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه من منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رادءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، فقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك إنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله «**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين**»(٢).

وفي خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع وفيها «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تُسأَلون عني فما أنتم قائلون**»؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغتَ وأديتَ ونصحتَ، وقال: «**بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات.....**»(٣).

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (١٠٣١)، ومسلم (٨٩٥).

(٢) أخرجه: مسلم (١٧٦٣).

(٣) أخرجه: مسلم (١٢١٨).

بل صرح بذلك نبي الهدى ﷺ بقوله:

فقال رسول الله ﷺ «**ألا تأمنوني وأنا أمين مَن في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءًا**»[١]، وقال «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها، حتى يرضى عنها**»[٢].

بل إنَّ ذلك تقرير الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم للتوحيد؛ لذلك لما ذهب موسى إلى فرعون سأله عن ربه، قال له في السماء، ودليل ذلك يظهر في رد فرعون، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

قال فرعون «**أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبًا**» يعني في دعواه أنَّ ربه في السماء.

وكانت هذه العقيدة هي عقيدة السلف والصحابة، وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين.

عن أنس: أنَّ زينب كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ: تقول زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات[٣].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٦) واللفظ له.

(٣) أخرجه: البخاري (٧٤٢٠).

بل إنَّ الفطرة السليمة تشهد لذلك:

فالعبد اذا دعى الله تعالى يتجه قلبه إلى السماء؛ ولذا نهى النبي ﷺ أن يرفع المصلي بصره إلى السماء[١]؛ لأنَّ العبد إذا وقف بين يدي الله تعالى يتجه قلبه إلى السماء، ولما كانت الأعضاء تبعًا للقلب علم النبي ﷺ أنَّ ذلك قد يؤدي لرفع البصر إلى السماء في الصلاة، فيذهب الخشوع، فنهى النبي عن ذلك؛ لأنَّ النظر إلى موضع السجود في هذا المقام أدعى للخشوع.

ذكر محمد بن طاهر المقدسي: أنَّ الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين، وهو يتكلَّم في نفي صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان، فقال الشيخ أبو جعفر: أخبِرْنا ياأستاذ عن هذه الضروة التي نجدها في قلوبنا؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلوِّ، لا يلتفت يمنة ولا يسرة فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا؟! قال: فلطم أبو المعالي رأسه ونزل، وقال: حيَّرني الهمداني حيَّرني[٢].

فالله تبارك وتعالى: عال بذاته سبحانه وتعالى، وعال بشأنه وقدره، وعال بقهره وقوته.

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٧٥٠)، ومسلم (٤٢٩).

(٢) البيهقي وموقفه من الإلهيات (١/ ٣٥٤).




آثار الإيمان بصفة العلو لله تعالى

❑ **منها: أنه يورث في القلب خوفًا ورهبة منه:**

فإنَّ العلي قادر على من تحته، فتورث الإذعان والخوف والمراقبة لله تعالى؛ لذا دعا الله تعالى عباده للخوف منه؛ لأنَّه عالٍ بقوته وقهره سبحانه، فقال تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة: ٤١].

وقال: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨]، بل بين أنَّ من كفر به وعبد غيره قد يأتي عليه وقت لا يستطيع أن ينكر علو قهره، بل يذعن ويقر بذلك عند المضايق، وظهور وجلاء الحقائق، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

ومن ذلك أنَّ النبي ﷺ لما حذر الناس من المعاصي وآثارها حذرهم بعلوه تعالى عليهم، فقال «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها**»[(١)].

---

(١) سبق تخريجه.

۞ ومنها: الثقة به والرضا بحكمه والالتزام بأمره والتمسك بنهجه:

فحكمه أفضل الحكم، وقوله أصدق القول، فهو عال القدر والشأن في كل ما يدبره ويقضيه، فلا حكم أعدل من حكمه، ولا تقدير أحكم من تقديره، ولا قضاء أفضل من قضائه فهو سبحانه عال القدر.

عال القدر بكثير نعمه وإحسانه، عال القدر بقبوله قليل العمل وزيادته لعبده، عال القدر بغفرانه لكثير الذنوب والزلل، عال بستره على عباده، عال في قدره بتوفيقه لعباده، فالخير كله بيديه والشر ليس إليه، عال بقدره فهو حليم يحب الحلم، ورفيق يحب الرفق، وعفو يحب العفو والصفح، وحيي ستير يحب الحياء والستر.

فالله عال بقدره، ومع ذلك تجلَّى بعظمته وعلو قدره وتَفَضَّلَ على هذا المخلوق الضعيف الظلوم الجهول وأرشده إليه، ودله عليه، وأذن له في عبادته، وشرفه بالتوجه إليه، والانتساب بالعبودية إليه؛ لذا مهما قدم العبد تضرعًا وتذللًا لربه فما قدَّرَه حق قدره، إذ الفضل منه وإليه، يبدأ منه بالتوفيق، وإليه ينتهي بالجزاء والثواب؛ لذا قال تعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٤].

۞ ومنها: تعلق القلب بالسماء وعدم الركون للأرض الفانية:

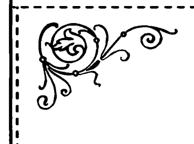
فإنَّ العبد كلما تعلق قلبه بالسماء علا شأنه وعظم قدره، ألا ترى أنَّ الماء المالح الأجاج إذا تبخر، وصعد إلى السماء عاد إلى الأرض ماء عذبًا فراتًا سائغا للشاربين، فقط اصعد بقلبك للسماء، وسيعود إليك قلبك مُطهَّرًا من الآثام والذنوب، ويتحول رجس الآثام إلى طهارة الطاعة، وتنقلب ملوحة المعاصي والذنوب ومرارتها في القلب إلى حلاوة وبرودة ورطوبة الطاعة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ

كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٦].

ومنها: أنَّه يورث عباد الله وأولياءه عزًّا وعلوًّا:

فربهم هو العلي المتعال؛ لذا حثهم الله على عدم الخوف والضعف والحزن؛ لأنهم الأعلون دائمًا؛ إذ إنهم يعبدون ربًّا عليًّا أعلى متعال على خلقه، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].

∞◊∞

صفة المعية

أنواع المعية:

المعية نوعان: عامة وخاصة.

أولًا: المعية العامة:

وهي بمعنى العلم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤]، فالله مع جميع خلقه بعلمه بأحوالهم وقدرته عليهم، وسميع يسمع ما يقولون، وبصير بما يفعلون، وهو محيط بهم بكل معاني الإحاطة والربوبية.

قال تعالى حكاية عن لقمان ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

قال ابن تيمية: قال الطلمنكي «وأجمع المسلمون من أهل السنة على أنَّ معنى «وهو معكم أينما كنتم» ونحو ذلك في القرآن، أنَّ ذلك علمه، وأنَّ الله فوق السماوات بذاته مستو على عرشه كيف يشاء»[1].

---

(١) مجموع الفتاوي لابن تيمية (٣/ ٢١٩).

ثانيًا: المعية الخاصة:

ومعناها النصر والتأييد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقال: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)﴾ [التوبة: ٤٠].

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)﴾ [النحل: ١٢٨].

وقال: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦)﴾ [طه: ٤٦].

وقال: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢)﴾ [الشعراء: ٦١ – ٦٢].

قال ابن القيم:

وروى ابن نافع الصدوق سماعه منه على التحقيق والإتقان

الله حقًّا في السماء وعلمه سبحانه حقًّا بكل مكان(١)

❁ **الأدلة الدالة على هذه الصفة:**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

[النحل: ١٢٨].

وقال: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].

---

(١) النونية لابن القيم (١/ ٨٧).

عن أبي موسى قال كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ «**اربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، وهو معكم**»(١).

عن ابن مسعود أنه قال: ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمس مئة عام، ومابين كل سماء مسيرة خمس مائة عام، وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمس مئة عام، وما بين الكرسي والماء مسيرة خمس مئة عام، والعرش على الماء، والله عز وجل على العرش يعلم ما أنتم عليه(٢).

وصدق القائل:

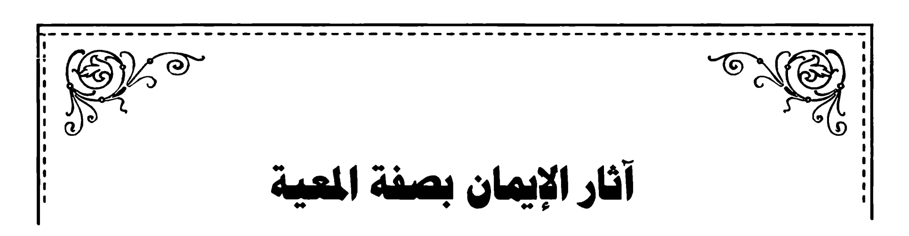
عقيـــــدتهم أنَّ الإلـــــه بذاتـــــه … علـى عرشــه مـع علمــه بالغوائــب(٣)

۞

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: الطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٢)، وقال الهيثمى رجاله رجال الصحيح انظرمجمع الزوائد (٢/ ٣٤).

(٣) العلو للذهبي (١/ ٢٦٢)، ونسب الأبيات لأبي الحسن الكرجي.



آثار الإيمان بصفة المعية

۞ منها: أنَّ المعية العامة تورث المراقبة لله تعالى:

فإنه مع كل عبد يراه ويعلم حاله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩].

ويسمع كلامه، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة: ١].

عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ، وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها، وما أسمع ما تقول، فأنزل الله «**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها**»(١)، وجمع الله السمع والبصر في كتابه في أكثر من موضع؛ لدلالتهما على علمه بالأمور ومعيته، فقال ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾ [الحج: ٦١]، ويحيط بالعبد ويقدر عليه، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت:

---

(١) أخرجه: البخاري معلقًا، باب قول الله تعالى (وكان الله سميعًا بصيرًا)، وأحمد موصولًا (٦/ ٤٦)، والنسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٨).

٥٤]، هو مع العبد حقًّا فكيف يجترئ على المعاصي وهو معه، فلو أنَّ والديه وأخوته وأحبابه معه حاضرون يرون ما يفعل، ويسمعون ما يقول هل يقدر على فعل ما يشينه أمامهم؟ كلا.

فكيف بالله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية.

وما اجترأ العبد على معصية الله إلا لضعف يقينه أنَّ الله معه حقًّا، أو أنه لا يعلم ما يفعل، عن عبد الله قال: اجتمع عند البيت ثلاثة نفرٍ ثقفيان وقرشي، أو قرشيان وثقفي كثيرٌ شحم بطونهم، قليلٌ فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أنَّ الله يسمع ما نقول؟، فقال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: ٢٢][(١)].

فإنه مع عباده ولا يشغله شأن عن شأن، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].

وقال تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦]، إنه معك قريب منك، أقرب إليك من حبل الوريد، يعلم السر وأخفى، لا تخفى عليه خافية، وما يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، إنه معك يعلم ما توسوس به نفسك، ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٤٨١٧)، ومسلم (٢٧٧٥).

منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، فهو يعلم أعمال عباده ويحصيها لهم، ثم ينبئهم بما عملوا ويجزيهم بها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ **[المجادلة: ٦ -٧]**.

❁ ومنها: أنَّ المعية الخاصة تورث الاطمئنان والثقة:

قال تعالى حكاية عن نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ **[الشعراء: ٦٢]**، مع قلة الأسباب، أو ضعفها، بل وانعدامها أحيانًا يكون العبد مطمئنًا؛ لإيمانه أنَّ الله معه ينجيه من المهالك، وينصره ويؤيده.

ومن هنا تشعر الفئة المؤمنة المستضعفة في كثير من الأزمنة أنهم لا يديرون المعركة ولا يخوضونها وحدهم مع أهل الكفر والغواية، إنما الله معهم، وهو ناصرهم ومؤيدهم يومًا ما؛ لذا قال تعال لنبيه ﷺ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ **[القلم: ٤٤]**.

وقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ **[الأنفال: ١٧]**.

وقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ **[الأنفال: ١٠]**.

وكذلك فإنَّ المعية الخاصة تذهب الحزن من المستقبل المجهول، فلما خاف موسى وهارون من المستقبل المجهول وبطش فرعون، طمأنهما الله تعالى بأنه معهما، فقال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾

قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ [طه: ٤٥ - ٤٦].

❁ ومنها: أنها تجعل الباطل صغيرًا في أعين أهل الحق:

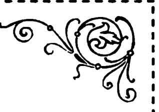
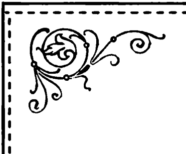
فمهما انتفش الباطل، وزاد غباره، فإنه صغير في عين أهل الحق الذين يؤمنون أنَّ الله معهم؛ إذ إنَّ كل شيء يُفعل هو تحت قدرة الله وعلمه، وهو قادر أن يزيله ولكن كل شيء بحكمة؛ لذلك كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة لما كان الله معها، قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩].

❁ ومنها: الأخذ بأسباب المعية الخاصة:

وذلك مثل: اجتناب المحرمات، وفعل المأمورات، فتلك التقوى فيكون الله معه، فإنَّ الله مع المتقين، وأن يكون من الصابرين على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله تعالى فيكون الله معه، وغيرها كثير، فلابد من تحصيل الأسباب الجالبة لمعية الله تعالى للعبد؛ إذ هي لازمة للعبد، فلا يستطيع العبد أن يحيى بدونها، ولا يدبر أموره بعيدًا عنها، بل لا يستغني أحد عنها طرفة عين، وإلا هلك، عن أنس بن مالك قال:قال رسول الله ﷺ لفاطمة «**ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحتِ وإذا أمسيتِ: ياحيُّ ياقيوم برحمتك أستغيث، أَصلِح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**»(١).

---

(١) أخرجه: الحاكم (١/ ٧٣٠)وقال صحيح على شرط الشيخين، والنسائى في الكبرى (٦/ ١٤٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٢٠).

صفة المحبة

صفة المحبة من المنن التي يمن الله بها على عباده، وهي من فضله عليهم، ومَن هذا المخلوق الذي يستحق أن يحبه الله؟

وياترى ماذا فعل حتى يفوز بهذا الحب؟

ومهما فعل هل أدى ما عليه حتى يستحق هذا الحب؟

كلا: إنما هو محض سببٍ جَلَبَ له حبَّ الله.

وإنَّ محبة الله لعبده تدل على الرضا عنه، وإكرامه، فإنَّ المحب يكرم حبيبه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ليس العجب من قوله يحبونه، وإنما العجب من قوله يحبهم، ليس العجب من فقير مسكين يحب محسنًا إليه، إنما العجب من محسن يحب فقيرًا مسكينًا[١].

محبة الله لعبده تدل على النجاة من عذابه، والأمان يوم الفزع الأكبر.

المحبة من الله للعبد تدل على تدبير أمور حبيبه على أحسن حال في الدنيا والآخرة.

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ٦٩).

❁ الأدلة الدالة على هذه الصفة:

إنَّ محبة الله لعبده هي غاية أمنية المتمنين وفوز الفائزين.

وهنيئا لهؤلاء الذين يحبهم الله تعالى.

ويا تُرى مَن هم هؤلاء؟؟؟

❑ إنَّ هؤلاء هم المحسنون، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤].

❑ إنهم المتقون، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة: ٤].

كان سعد بن أبي وقاص في إبله، فجاء ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل، فقال له أَنَزلتَ في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟! فضرب سعدٌ في صدره، وقال اسكت سمعت النبي ﷺ يقول: «**إنَّ الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»(١).

❑ إنهم الصابرون، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].

❑ إنهم المتوكلون على الله وحده، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٩٦٥).

فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

❑ إنهم التوابون والمتطهرون، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢].

❑ إنهم أهل القسط والعدل، قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢].

❑ إنهم المجاهدون في سبيل الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤].

عن سهل بن سعد أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر «**لأعطينَّ الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**»، قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب**»؟ فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينه، قال: فأرسلوا إليه، فأتي به «**فبصق رسول الله ﷺ في عينه، ودعا له**» فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال عليٌّ يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، قال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»(١).

❑ إنهم أحسن الناس خلقًا، عن أسامة بن شريك قال: كنا عند النبي ﷺ

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

كأنَّ على رؤوسنا الرخم، ما يتكلم منا متكلم إذ جاءه ناس من الأعراب، فقالوا: يا رسول الله أفتنا في كذا أفتنا في كذا، فقال «**أيها الناس إنَّ الله قد وضع عنكم الحرج إلا امرءًا اقترض من عرض أخيه فذاك الذي حرج وهلك**» قالوا: أفنتداوى يا رسول الله؟ قال «**نعم فإنَّ الله لم ينزل داءًا إلا أنزل له دواءًا غير داء واحد**» قالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال «**الهرم**» قالوا: فأي الناس أحب إلى الله يا رسول الله؟ قال «**أحب الناس إلى الله أحسنهم خلقًا**»(١).

❑ إنهم الذين يحبون لقاء الله تعالى، عن أبي موسى أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومَن كره لقاءالله كره الله لقاءه**»(٢).

❑ إنهم أتباع النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

❑ إنه يحب المكثرين من النوافل، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**إنَّ الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشئ أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته**»(٣).

❑ إنه يحب المؤمن القوي فإنه أحب إليه من المؤمن الضعيف، قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي**

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨)، وأبوداود (٣٨٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٣٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٥٠٨)، ومسلم (٢٦٨٦).

(٣) أخرجه: البخاري (٦٥٠٢).

كلٍّ خيرٌ، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»[(١)].

❑ إنه يحب مَن أَحَبَّ خلقَهُ من أجلِهِ، لا لنعمة وفضل للمخلوق عليه، إنما هو لله فقط، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ «**أنَّ رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله على مدرجته ملَكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال هل لك من نعمةٍ تربها؟ قال: لا غير أني أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك بأنَّ الله قد أحبك كما أحببته**»[(٢)].

❑ **وإنه سبحانه يحب بعض الأفعال من عبده:**

- فيحب الأعمال الصالحة كالصلاة على وقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله، عن أبي عمرو الشيباني قال: حدثني صاحب هذا الدار - وأشار بيده إلى دار عبد الله - قال: سألت النبي ﷺ: أيُّ العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**» قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قال: حدثني بهن، ولو استزدته لزادني[(٣)].

- ويحب الجمال، إذ هو الجميل سبحانه، فيحب من عبده أن يكون جميلًا في مظهره، وقوله، وفعله، عن عبد الله: عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كِبْر**»، فقال رجل: إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنةً، قال: «**إنَّ الله جميلٌ يحب الجمال، الكِبر بطر الحق وغَمْط الناس**»[(٤)].

- يحب الوتر من الأعمال، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال «**لله تسعةٌ وتسعون اسمًا مَن حفظها دخل الجنة، وإنَّ الله وتر يحب الوتر**»، وفى رواية ابن

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٦٦٤).
(٢) أخرجه: مسلم (٢٥٦٧).
(٣) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).
(٤) سبق تخريجه.

أبى عمر «**من أحصاها**»(١).

- يحب الذكر والتسبيح، عن أبي هريرة قال:قال رسول الله ﷺ «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٢).

وعن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ «**أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت**»(٣).

- إنه يحب الرفق من العبد، عن عائشة قالت: دخل رهطٌ من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليك، قالت عائشة: ففهمتُها، فقلت: عليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ «**مهلًا يا عائشة إنَّ الله يحب الرفق في الأمر كله**»، فقلت: يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا؟! قال رسول الله ﷺ «**قد قلت: وعليكم**»(٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولـــه الإرادة والكراهـــة والرضـــا ولـــه المحبـــة وهـــو ذو الإحســـان

ولـه الكمـال المطلـق العـاري عـن التـ ـشبيه والتمثيـل بالإنسـان(٥)

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) النونية لابن القيم (١/ ٣٧).



آثار الإيمان بصفة المحبة

❁ **منها: التعرض لمحبة الله تعالى، والأخذ بأسبابها:**

وذلك بفعل ما يحبه ومنها:

❑ اعبد الله كأنك تراه تكن محسنًا، فيحبك الله تعالى؛ لأنه يحب المحسنين.

❑ ابتعد عن الشهوات، وامتثل أمره، واجتنب نهيه تكن تقيًّا، فيحبك الله؛ فإنه يحب المتقين.

❑ إذا حكمت بين الناس فالتزم العدل يحبك الله، فإنه يحب المقسطين.

❑ وإن ابتلاك وقدر عليك المصائب فاصبر، فإنه يحب الصابرين.

❑ أكثر من طهارة القلب من الذنوب والآثام تكن من التوابين، فيحبك الله، فإنه يحب التوابين.

❑ أكثر من تطهير البدن والثوب تكن من المتطهرين، فإنه يحب المتطهرين.

❑ أكثر من الصلاة والتنفل لله تعالى يحبك الله تعالى.

❑ كثرة الذكر بما يحبه الله تعالى، فإنه سبحانه إذا أحب القول أحب قائله.

❑ الرفق في الأمور كلها، فإنه يحب الرفق، وإذا أحب الفعل أحب فاعله.

❑ الاتصاف بما يحبه الله تعالى من الصفات كالحلم والأناة، عن ابن عباس: أنَّ النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس «**إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله الحلم، والأناة**»(١).

❑ إظهار نعمة الله على العبد، فإنَّ الله يحب ظهور نعمته على عباده، فهي من الشكر لله الذي أنعم بهذه النعم، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ «**إنَّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»(٢).

❑ حب كتاب الله تعالى وآياته، عن عائشة أنَّ رسول الله ﷺ بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ (قل هو الله أحدٌ) فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**سلوه لأي شيءٍ صنعت ذلك**»؟، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ «**أخبروه أنَّ الله يحبه**»(٣).

❑ الإخلاص لله في الأعمال: أَحِبَّ الناس لله، واجعل زيارتهم في الله، ومجالستهم في الله، وابذل للناس من أجل الله كل ذلك يجلب لك محبة الله، بل أحقَّها الله على نفسه لمن فعل ذلك، عن أبي إدريس العبدي أو الخولاني قال جلست مجلسًا فيه عشرون من أصحاب النبي ﷺ، وإذا فيهم شابٌّ حديثُ السن، حسنُ الوجه، أدعجُ العينين، أغرُّ الثنايا، فإذا اختلفوا في شيء، فقال قولًا انتهوا إلى قوله، فإذا هو معاذ بن جبل، فلما كان من الغد جئت، فإذا هو يصلي إلى سارية، قال فحذف من صلاته، ثم احتبي، فسكت قال، فقلت: والله إني لأحبك من جلال الله، قال: آلله، قال: قلت آلله، قال: فإنَّ من

---

(١) أخرجه: مسلم (١٧).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٨١٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٢٦).

(٣) سبق تخريجه.

المتحابين في الله - فيما أحسب أنه قال- في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، يوضع لهم كراس من نور، يغبطهم بمجلسهم من الرب عز وجل النبيون والصديقون والشهداء، قال فحدثته عبادة بن الصامت، فقال لا أحدثك إلا ما سمعت عن لسان رسول الله ﷺ «**قال الله عز وجل: حَقَّت محبتي للمتحابين فيَّ، وحَقَّت محبتي للمتباذلين فيَّ، وحَقَّت محبتي للمتصادقين فيَّ، والمتواصلين شك شعبة في المتواصلين أو المتزاورين**»(١).

❁ ومنها: أنَّ المحبة أمان من عذاب الله وعقابه:

وهل يعذب أحد أحبابه؟!

لذا أنكر الله تعالى على اليهود والنصارى زعمهم أنهم أبناء الله وأحبابه وأولياؤه، وبين أنهم ليسوا كذلك بدليل أنه يعذبهم بذنوبهم قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة: ١٨].

❁ ومنها: الاستعداد للقاء الله بمحبته تعالى:

فإنَّ الله تعالى يحب عباده الصالحين، لذا جعل من أجلِّ ما يلقونه به حبهم له تعالى، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: ١٦٥]، عن أنس بن مالك أنَّ أعرابيًّا قال لرسول الله ﷺ متى الساعة؟ قال له رسول الله ﷺ «**ما أعددتَ لها**»؟

---

(١) أخرجه: أحمد (٥/ ٢٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠١٩).

قال: حب الله ورسوله، قال «**أنت مع من أحببت**»[١].

والمحبة الصادقة لها مقتضاها من الطاعة له، والرضا بحكمه وقضائه؛ لأنَّ الاتباع هو دليل المحبة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [**آل عمران: ٣١**].

ومن العجيب أن يدعي العبد محبة الله، ولا يفكر في إرضائه، والتودد إليه سبحانه، بل قد يأنس لما ينسيه ربه ويبعده عنه، وقد لا يذكر ربه إلا إذا ذُكِّر به.

فأين المحبة في ذلك؟!

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لو صحت محبتك لاستوحشت مما لا يذكرك بالحبيب[٢].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعجبًا لمن يدعي المحبة، ويحتاج إلى من يذكره بمحبوبه، فلا يَذْكُرُه، إلا بمُذَكِّر، أقل ما في المحبة أنها لا تنسيك تذكر المحبوب[٣].

وصدق القائل:

تعصـي الإلـه وأنـت تـزعم حبـه ... هـذا محـال في القيـاس بـديع

لـو كـان حبـك صـادقًا لأطعتَـه ... إنَّ المحـب لمـن يحـب مطيـع[٤]

لذا فالمحبة هي حياة القلب التي بها يحيى، وبها يرضى بقضائه، وبها تقر

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٦٣٩).

(٢) الفوائد لابن القيم (١/ ٧٧).

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٣/ ٣٧٩)، تهذيب الكمال (٦/ ٣٢٠)، ديوان عبدالله بن المبارك (١/ ١٥).

عينه وبها يمتثل أمر محبوبه.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما حفظت حدود الله ومحارمه، ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهي الحياة التي مَن حُرِمَها فهو من جملة الأموات، والنور الذي مَن فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي مَن عُدِمَه فهو حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي مَن لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام[2].

فالمحبة هي حياة القلب التي لا يستغني عنها، ولا حياة له إلا بها، ولو فقد أعز ما يملك من السمع والبصر واللسان لكان أهون عليه من فقد محبة الله تعالى.

قال ابن القيم: المحبة هي حياة القلوب، وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة إلا بها، وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنف إذا فقدت شمه، واللسان إذا فقد نطقه، بل فساد القلب إذا خلا من محبة فاطره وبارئه وإلهه الحق أعظم من فساد القلب إذا خلا من الروح»[3].

وهذه المحبة الصادقة تقي صاحبها اللعن والبعد عن رحمة الله تعالى، وإن وقع في الذنوب والخطايا، عن عمر أنَّ رجلًا على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يُلقَّب حمارًا، وكان يُضحِك رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/ ٢١).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٦).

(٣) الداء والدواء لابن القيم (١/ ١٦٨).

قد جلده في الشراب، فأُتي به يومًا فجُلد، فقال رجلٌ من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال رسول الله ﷺ «**لا تلعنه فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله**»(١).

❁ ومنها: أنَّ المحبة هي سبيل التوفيق:

فالمحب يوفق حبيبه، ويدبر أمره على أحسن الأحوال، ويختم له حياته بأحسن الأعمال، حتى يلقاه على أحسن حال يلقى بها عبدٌ سيده، عن عمرو بن الحمق الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**إذا أحب الله عبدًا عسَلَه، قيل وما عسَلَه؟قال يوفق له عملًا صالحًا بين يدي أجله، حتى يرضى عنه جيرانه، أو قال: مَن حوله**»(٢).

❁ ومنها: أنَّ الله يفعل لأحبابه ما يصلحهم وينفعهم في دنياهم وآخرتهم:

وإن كان في ذلك بعض المشاق لهم، لكن لهم فيه الخير الآجل، فقد يمنعه مما يتمنى ويدعوه به؛ لأنه ليس له فيه خير، وهو لا يدري، أو أنَّ له فيه شرًّا وهو لا يشعر، وقد يصيبه ببعض المتاعب والآلام ليس غضبًا عليه بل محبة لعبده؛ لأنَّ في بعض هذه المشاق والمتاعب والآلام مصلحته؛ لذا كان أشد الناس بلاء الأنبياء وهم أحباب الله وأولياؤه، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال «**إنَّ الله تعالى ليحمي عبده المؤمن الدنيا، وهو يحبه، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه**»(٣)، وذلك لأنَّ الابتلاء لا يعني البغض والكره، بل قد يبتلي الله عبده مع حبه له؛ لأنَّ المحب يفعل

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٧٨٠).

(٢) أخرجه: الحاكم (١/ ٤٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٨)..

(٣) أخرجه: أحمد (٥/ ٤٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٧٩).

لحبيبه ما يصلحه ويطهره وينقيه، عن عبد الله قال: دخلت على رسول الله ﷺ، وهو يوعك، فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله إنك لتوعك وعكًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ «**أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**» قال: فقلت: ذلك أنَّ لك أجرين، فقال رسول الله ﷺ «**أجل**»، ثم قال رسول الله ﷺ «**ما من مسلم يصيبه أذى من مرض، فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**»(١).

قال ابن القيم: وذلك أنَّ النفس لا تزكو وتصلح حتى تمحص بالبلاء، كالذهب الذي لا يخلص جيده من رديئه حتى يفتن في كير الامتحان(٢).

❁ ومنها: أنَّ محبة الله تعالى تجلب للعبد محبة الخلق:

محبة الله تعالى تضع للعبد القبول في الأرض، وهذا أحب ما يتمناه العبد في الدنيا؛ لأنَّ الإنسان بفطرته يحب الأنس، فإذا وُضع له القبول في الأرض ازداد قرب الناس له، وحبهم له، وازداد بهم أنسًا وسعادة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا أحب الله العبد نادى جبريل إنَّ الله يحب فلانًا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء إنَّ الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»(٣).

قال زيد بن أسلم: كان يقال من اتَّقى الله أحبه الناس وإن كرهوا(٤).

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٢) الفوائد لابن القيم (١/ ٢١٠).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) الفوائد لابن القيم (١/ ٥٤).



صفة النزول

ونزول الله تعالى في بعض الأوقات التي وردت بها النصوص إنما هو نزول حقيقي، يليق بكماله وعلوه وبهائه سبحانه وتعالى، فهو سبحانه لا يزول عن عرشه وعلوه مع دنوه ونزوله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

❁ **الأدلة الدالة على هذه الصفة:**

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول من يدعوني فأستجيب له؟، من يسألني فأعطيه؟، من يستغفرني فأغفر له؟**»[(١)]، وفي رواية «**أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ ومن ذا الذي يسألني فأعطيه؟ ومن ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر**»[(٢)].

من أجل ذلك دعا الله أحبابه وأولياءه لهذه الساعة، بل من أول ما أمر به خليله وحبيبه ﷺ، قال له ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ١ - ٤].

وقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإنسان: ٢٦].

وهذه ليست دعوة للتعب والمشقة، بل هي دعوة للمحب أن يلقى حبيبه،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: مسلم (٧٥٨).

وينعم بلقائه، ويسعد به، ويفوز بعطائه ورحماته.

قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل**»[١].

وفي مناظرة لإسحاق بن راهويه أمام الأمير عبدالله بن طاهر:

لما سئل كيف ينزل؟

فقال إسحاق: قال تعالى «**وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا**».

فقال الأمير: ياأبايعقوب هذا يوم القيامة.

فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه الآن[٢].

---

(١) أخرجه: مسلم (١١٦٣).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (١/ ٣٨).




آثار الإيمان بصفة النزول

تنبيه:

إنَّ هذه الآثار لا ينتفع بها إلا من تلبس بالطاعة وقتها، وهذا من عجيب فعل الله تعالى، وكمال حكمته، وعدله، وفضله، فمع أنه ينزل عشية عرفة لكن لا ينتفع بهذا النزول إلا الحجيج، ومع أنه ينزل في ثلث الليل الآخر للسماء الدنيا، لكن لا ينتفع بهذا النزول إلا من قام وعمل وتلبس بالطاعة في هذا الوقت.

❁ من هذه الآثار: القيام لله والطاعة والعبادة في هذا الوقت:

فإنه من الحرمان وضعف اليقين بكلام الله تعالى أن لا يقوم العبد في هذا الوقت المبارك؛ إذ كيف يوقن عبد أنَّ الله نزل له إلى السماء الدنيا في هذا الوقت، وينادي عليه: أي عبدي هلمَّ إليَّ واستغفرني أغفر لك، وتب إليَّ أتب عليك، وادعني أستجب لك، ثم هو نائم لا يقوم، ولا يجاهد نفسه لنيل هذا الخير، والفوز بذلك الفضل.

❁ ومنها: المحبة لله تعالى بالتعرف على لطفه ورحمته وحلمه:

حيث إنه ينزل بذاته وكماله وبهائه إلى هذا المخلوق الضعيف، ينزل بجلاله وكماله لأهل الذنوب والمعاصي، ومن بارزوه بالآثام نهارًا، لم ينزل لهم بالليل لينكِّل بهم أو يعذبهم، بل ينزل لهم بالليل يدعوهم ليغفر له.

سبحانك ربي ما أعظمك وأحلمك وألطفك!! فلكَمْ فرطنا وقصرنا في جنابك.

عصيناك نهارًا فحَلُمت عنا وأمهلتنا، ونزلت لنا ليلًا لتغفر لنا فقصرنا وفرطنا، وعن استغفارك غفلنا، فلَكَمْ مرَّت الليالي ولم نقم ولم ننتبه ونِمْنا، ومع ذلك فبالحرمان من هذا الفضل لم تعاقبنا، بل مازلت تنزل كل ليلة، وما زلت تمهلنا. فلك الحمد والمنة.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**إنَّ في الليلة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك من كل ليلة**»[1]، بل إنَّ الله تعالى في هذا الوقت المبارك لا يضيع عمل العبد ولو بنيته، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: عن رسول الله ﷺ «**ما من امرئ تكون له صلاة بليل، فيغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته، وكان نومه عليه صدقة**»[2].

۞ ومنها: أنَّ الأجر على قدر النصب:

فالله يُقدِّر الليل والنهار، فليس مَن قام كمَن رقد، فمَن قام فاز بالفضل، ومَن نام حُرِم بالعدل، وصدق القائل:

إذا ما الليل أظلم كابَدُوه ... فيسفر عنهمُ وهمُ ركوع

أطار الخوفُ نومَهم فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجُوع

لهم تحت الظلام وهم سجود ... أنينٌ منه تنفرج الضلوع[3]

قال سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ عمن نام الليل ولم يقم:

تراه كسلًا ضجرًا قد بات جيفة على فراشه، وأصبح نهاره يحتطب على

---

(١) أخرجه: مسلم (٧٥٧).

(٢) أخرجه: أحمد (٦/ ١٨٠)، وأبوداود (١٣١٤)، وصححه الألباني في صحيح أبى داود (١١٨٧).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٩/ ١٨١)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضى عياض (١/ ١٠٣)، ديوان عبدالله بن المبارك (١/ ١٤).

نفسه لعبًا ولهوًا، وترى صاحب الليل منكسر الطرف، فرح القلب[١].

وكذلك جعل ذلك ميزة للحاج الذي بذل ماله ونفسه، وقطع المسافات والأودية من أجل الله تعالى من أجل أن يفوز بالأجر من الله، وعطائه ورحمته حال نزوله، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء**»[٢].

❁ ومنها: أنَّ العمل كلما كان أشق كان الفائزون به أقلَّ وأخصَّ:

فمن يحافظ على الصلوات قليل، ومن يصليها في جماعة أقل، ومن يصلي منهم الفجر أقل وأخص، ومن يصلي منهم القيام أقل وأخص.

وكما يقولون «**لا يحصل خطير إلا بخطر، فالدر في عقر اليم**»[٣].

وصدق القائل:

لله قـــوم أخلصـــوا في حبـــه ... فرضـــي بهـــم واختصـــهم خـــدامًا

قـــوم إذا جـــنَّ الظـــلام علـــيهم ... بـــاتوا هنالـــك سُـــجَّدًا وقيامًـــا[٤]

من أجل هذه الخصوصية جعله النبي ﷺ مما يُنال به الشرف، بل هو كل الشرف، قال رسول الله ﷺ «**واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل**»[٥].

---

(١) التهجد وقيام الليل لابن أبى الدنيا (١/ ٣٦٦).

(٢) أخرجه: مسلم (١٣٤٨).

(٣) اللطائف لابن الجوزي (١/ ١٩).

(٤) بستان الواعظين لابن الجوزي (١/ ٢٦٨).

(٥) أخرجه: الحاكم(٤/ ٣٦٠)، وصححه ووافقه الذهبى، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣).

ويعطيهم نورًا من نوره لذا كانوا أحسن الناس وجوهًا.

سئل الحسن البصري: ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوهًا؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورًا من نوره[١].

۞ ومنها: التعرف على قدرة الله تعالى:

فإنه سبحانه يستطيع النزول إلى السماء الدنيا، ولا يخلو منه عرشه ولا يكون شيء فوقه، مع نزوله بذاته فإنه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهوالمأثور عن سلف الأمة وأئمتها أنه لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه، وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب والسنة، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض بحيث يبقى السقف فوقهم، بل الله منزه عن ذلك[٢].

وروى البيهقي عن إسحاق بن راهوايه قال: جمعني وهذا المبتدع - يعني ابن صالح - مجلس الأمير عبد الله بن طاهر، فسألني الأمير عن أخبار النزول، فسردتها.

فقال إبراهيم: كفرتُ برب ينزل من سماء إلى سماء.

فقلتُ: آمنتُ برب يفعل ما يشاء.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسى (١/ ٦١).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٤١٥).

فرضي عبد الله كلامي، وأنكر على إبراهيم[١].

۞ ومنها: أنَّ القيام في هذا الوقت هو اتباع صراط الذين أنعم الله عليهم:

وهؤلاء هم النبيون والصديقون والصالحون، والدخول في زمرتهم واللحاق بركابهم، وكان هذا هو حال أفضلهم وخيرهم رسول الله ﷺ، فكان يقوم الليل كله إلا قليلًا، وقال له ربه ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ (٢٠)﴾ [المزمل: ٢٠].

وقال عنه عبدالله بن رواحة:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أنَّ ما قال واقع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع[٢]

وقال رسول الله ﷺ: **«مررت ليلة أسري بي على موسى قائمًا يصلي في قبره»**[٣]، وهذا القيام في القبر يدل على أنَّ القيام تنعم وراحة واطمئنان.

وقال رسول الله ﷺ: **«إنَّ أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يومًا، ويفطر يومًا»**[٤].

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٧٦).

(٢) أخرجه: البخاري (١١٥٥).

(٣) أخرجه: مسلم (٢٣٧٥).

(٤) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٣٤٢٠)، ومسلم (١١٥٩).

❁ ومنها: تعلم الإخلاص في العمل:

إذ إنَّ الله تعالى نزل لهم بالليل في جوف الليل، وهم في جوف بيوتهم، لا يراهم أحد، ولا يسمعهم أحد، ولا يعلم بحالهم إلا الله، وجعل أفضل الصلاة بعد الفرائض صلاة الليل، ويشير إلى ذلك القرآن بإشارة لطيفة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٤] أي لله وحده يرجون ثوابه، ويخافون عقابه، لا رياء فيه ولا سمعة.

قال قتادة: ما سهر الليل منافق(١).

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧]، فلما اختفوا له بالليل، وقدموا له أفضل أعمالهم خفاءً، وإخلاصًا له، لا يرجون إلا الله والدار الآخرة أخفى لهم الجزاء، وهو دليل عظمه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم، وخوفهم، واضطرابهم على مضاجعهم حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة(٢).

❁ ومنها: علو الهمة في العمل، والارتفاع بالنفس إلى المعالي:

لأنَّ النفس كلما علت طهرت من الآفات والأمراض، ولما لم يستطع العبد العلو بذاته إلى السماء، والقرب من الرحمان نزل الله إليه في هذا الوقت، واشترط عليه أن يعلو بروحه، وأن يستيقظ في هذا الوقت المبارك إن كان يريد

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧٥)، تقريب زهد ابن المبارك (١/ ٣٧).

(٢) حادي الأرواح لابن القيم (١/ ١٩١).

الخيرات والبركات.

وإن كان أقرب حالٍ يكون عليه العبد من ربه وهو ساجد، فإنَّ أقرب الأوقات يكون الرب قريبًا فيها من العبد جوف الليل، فهنيئا لمن جمعهما، وذلك بالسجود في جوف الليل، فجمع أفضل الأحوال لأفضل الأوقات، فكان من الفائزين، قال رسول الله ﷺ: «**أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في هذه الساعة فكن**»[1].

❁ ومنها: التماس أوقات العطاء وجمع الهمة لذلك:

فإنها أوقات إجابة الدعوات، والمغفرة للسيئات، والقضاء للحاجات، فإنها نفحات من الله لعباده، لكنها تكون لمن بذل واجتهد؛ لذا خص الله بذلك من يقوم، ويتقلب، ويضطرب في مضجعه في وقت راحة الناس، ونومهم، فيقوم، ويستغفر، ويدعو ربه، ويسأله حاجته، ووصف الله هذه الفئة المؤمنة بأوصاف، فقال ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [**السجدة: ١٦**]، ولما كان النهار للدنيا وأهلها، والليل للأحبة لسكونه وبعده عن الناس جعله أولياءه له سبحانه، فقال تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [**الذاريات١٧-١٨**].

❁ ومنها: الاعتراف بفضل الله وأنَّ العبد لا يستكثر عمله:

فإنَّ العبد مهما قدم لن يؤدي حق الله تعالى، ولن يقوم بكل ما عليه من الشكر، فإن قام الليل فذاك من توفيق الله له فله المنة والفضل؛ لذا يقوم أهل الليل ويستغفرون من تقصيرهم وتفريطهم كأنهم قاموا الليل في المعاصي،

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٥٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٣٣).

قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨].

قال القشيري: ينزلون أنفسهم في الأسحار منزلة العاصين، فيستغفرون استصغارًا لقدرهم، واستحقارًا لفعلهم(١).

❁ ومنها: أنَّ العبد مهما أخذ من الخيرات، ولم يأخذ من هذا الخير فهو محروم:

فالذي لا يأخذ من هذا النصيب في الليل وقت نزول الله تعالى لأحبابة ما زال محرومًا من كثير من الخير، مهما حصَّل من الخيرات من غيرها؛ لذا فإنهم لما تقلبت أجسادهم بالليل صلاة وعبادة ودعاء، وتجافت عن النوم وقاهم الله تقلبها في نار جهنم، وأمنهم مما يخافون وأعطاهم ما يريدون، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي ﷺ، وكنت غلامًا شابًّا عزبًا، وكنت أنام في المسجد على عهد النبي ﷺ، فرأيت في المنام كأنَّ ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك آخر، فقال لي لن تراع، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على النبي ﷺ، فقال «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل**»(٢).

قال سالم: فكان عبدالله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلًا.

قال الحافظ ابن حجر: فمقتضاه: أنَّ مَن كان يصلي مِن الليل يوصف

---

(١) تفسير القشيري (٧/ ٣٠٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٧٠٣١)، ومسلم (٢٤٧٩).

بكونه نعم الرجل[١].

ومنها: أنَّ صلاة الليل إصلاح لشئون العبد ووصول لغايته:

إنَّ الرب هو المصلح لشئون العبد المتولي أمره، وهوينزل له في هذا الوقت، ويقول عبدي هلمَّ إليَّ، وأقبل عليَّ الآن، فهذا وقت إصلاح الشئون، بتكفير السيئات، ونهي النفوس عن الآثام وإصلاحها، قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات**»[٢].

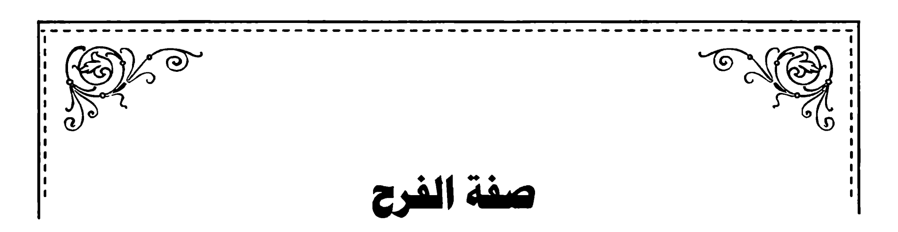
قال ابن القيم: إنما يقطع السفر، ويصل المسافر بلزوم الجادة، وسير الليل، فاذا حاد المسافر عن الطريق، ونام الليل كله فمتى يصل إلى مقصده[٣].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٦).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٥٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٧٩).

(٣) الفوائد لابن القيم (١/ ٩٩).



صفة الفرح

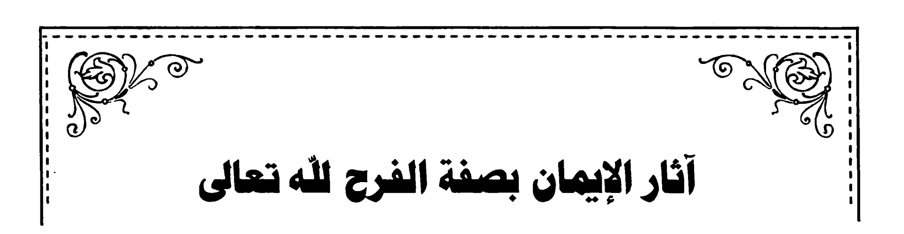
صفة الفرح لله تعالى كغيرها من الصفات لا يعلم كيفيتها إلا الله تعالى، لكننا نؤمن بها، ونمرها كما أتت كغيرها من الصفات بلا تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تشبيه، ولا تمثيل قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

۞ الأدلة الدالة على هذه الصفة:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال «**لَلَّهُ أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**»(١).

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٧٤٧).



آثار الإيمان بصفة الفرح لله تعالى

۞ منها: الأخذ بالأسباب الجالبة لفرح الله بالعبد:

فالعبد يجب عليه أن يأخذ بالأسباب التي تجلب له فرح الله ورحمته وإحسانه، فإنه تعالى جعل لفرحه ورحمته وكرمه أسبابًا، وبينها لعباده وحثهم على سلوكها كالتوبة، وغيرها من الأعمال.

والله تعالى إذا كان يفرح ببعض الأعمال، فإنه يعين عبده عليها، ويوفقه إليها إذا بذل العبد السبب الذي يجلب له توفيق الله وإعانته عليها، ونهاه عما ينافيها ويمنعها، فإذا عصاه وبارزه بالذنوب فقد تعرض لعقوباته التي لا يحب منه أن يتعرض لها، فإذا رجع إلى التوبة والإنابة فرح بذلك.

۞ ومنها: يوم فرح الله بالعبد هو خير أيامه:

إنه سبحانه له الصفات العلى، وما حصَّل العبد ولا فاز بقدر ما فاز بآثار أسمائه وصفاته؛ لذا كان اليوم الذي يتوب الله على العبد فيه هو أفضل يوم يمر عليه منذ أن ولدته أمه، كماقال رسول الله ﷺ لكعب بن مالك «**أبشر بخير يوم مر عليك منذ أن ولدتك أمك**»[(١)]؛ وذلك لأنَّ اليوم الذي يتوب العبد فيه، ويتوب الله عليه هو اليوم الذي يفرح الله بعبده، فتبارك الرب الكريم الجواد الذي لا يحصى العباد ثناءًا عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وهذا الفرح تبع لغيره من الصفات، كما تقدم فإنَّ الكلام على الصفات يتبع الكلام على

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

الذات، فهذا فرح لا يشبه فرح أحد من خلقه لا في ذاته ولا في أسبابه ولا في غاياته، فسبب الفرح الرحمة والإحسان، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين.

❁ ومنها: شكر الله تعالى والثناء عليه:

وهو أمر لا يحصيه العبد، وكيف يستطيع العبد أن يشكر الله على هذه النعمة العظيمة، ألا وهي فرح الله تعالى به، وهو الغني عنه، فأعماله الصالحة وتوبته ورجوعه لا يزيد في ملك الله شيئًا، لكن الله يفرح مع ذلك بعبده؛ إذ هو سيده، وقد أبق عبده منه، ثم عاد إليه، وهذا بخلاف سيد العبد في الدنيا؛ إذ إنَّ السيد في الدنيا إن عاد إليه عبده ينقم عليه ويعاقبه لما فعل، وقد يفرح بعودته، لكنَّ ذلك الفرح يكون لمصلحة السيد، لكن الله الملك يفرح بتوبة عبده لمصلحة عبده؛ لأنَّ العبد بالتوبة يجلب لنفسه أسباب الكرم والعطاء من السيد سبحانه، ويفرح به ويقبله بلا عقاب ولا عتاب.

❁ ومنها: أنَّه يقطع على العبد باب اليأس والقنوط:

فلا يأس ولا قنوط من العودة إلى الله طالما أنَّ الله يفرح بتوبة عبده، فإنَّ المذنب مخطئ في جنب الله؛ إذ إنه تعدى حدوده واقترف المحرمات، فلو قبل الله توبة المذنب، فإنَّ مجرد القبول فقط كرم بالغ، ومِنَّةٌ من الله على عبده، فما بالنا وهو يقبل توبة المذنب بعفو جديد، وفرح شديد، وأجرٍ مديد.

فإنه لم يبين له أنه سيقبله فقط مع العتاب والتنكيل، بل سيقبله بلا عذاب ولا عتاب، بل إنه يفرح به كما يفرح بالصالحات يفعلها الصالحون سبحانه وتعالى.

❁ ومنها: أنَّ الله يحب لعباده العافية:

فإنَّ فرح الله تعالى بالصالحات والتوبة يبين أنه لا يحب عقاب عباده، بل يحب لهم العافية؛ لذا يفرح بذلك فرحًا عظيمًا، ولا يعاقب عبده إلا بعدما عفا عنه كثيرًا، وعبده ما يردعه رادع، ولا يزجره زاجر، ولا يلتفت لفرح الله به إذا عاد، ولا لغضبه إذا لازم الآفات والتزم العناد، فإنَّ العباد إذا عصوه وبارزوه بالذنوب فقد تعرضوا لعقوباته التي لا يحب منهم أن يتعرضوا لها، فإذا رجعوا إلى التوبة والإنابة فرح بذلك أعظم فرح يقدر، فإنه ليس في الدنيا نظير فرح هذا الذي في أرض فلاة مهلكة، وقد انفلتت منه راحلته التي عليها مادة حياته من طعام وشراب، فأيس منها، وجلس ينتظر الموت، فإذا هو بها واقفة على رأسه، فأخذ بخطامها وكاد الفرح أن يذهل عقله، وقال من الدهشة وشدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، فتبارك الرب الكريم الجواد الذي لا يحصى العباد ثناءًا عليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولو كان في المفروح به أعلى من هذا المثال لذكره، فتأملْ: سائرًا وحده بأرض مفازة معطشة لا ماء بها ولا زاد، ضلت راحلته فيها، فاشتد جوعه وظمأه، فأيس من الحياة، فاضطجع في أصل شجرة ينتظر الموت، ثم استيقظ فإذا الراحلة قائمة على رأسه، وعليها طعامه وشرابه كما جاء ذلك مصرحا به في بعض طرق هذا الحديث، فهل في الفرح قط أعظم من هذا؟! ولهذا الفرح بتوبة العبد سر أكثر الخلق محجوبون عنه لا تبلغه عقولهم، وبه يعرف سر تقدير ما يثاب منه على العبد؛ لأنه يترتب عليه ما هو أحب إلى الرب سبحانه من عدمه، فلو لم يكن في تقدير الذنب من الحكم إلا هذه وحدها لكانت

كافية، فكيف وفيه من الحكم ما لا يحصيه إلا الله مما ليس هذا موضعه[١].

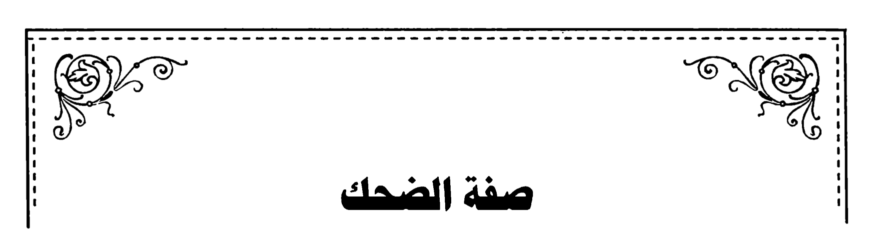
ومنها: أنَّ الله يحب التجاوز عن المسيئين:

إنَّ فرح الله ليس تسلية للعصاة ولا للتمادي في الذنوب والمعاصي، بل إنَّ الله تعالى كما أحب أن يعطي المحسنين أحب أن يتجاوز عن المسيئين، وفي ذلك تسلية لمن أراد الرجوع، وخشي من الطرد وعدم القبول، أو أراد أن يرجع وخشي من العتاب والخزي قبل القبول، كل ذلك يتلاشى إذا علم أنَّ الله يفرح به، بل يطير إلى الرجوع طيرانًا ليفوز بفرح الله تعالى وكرمه.

ومن هنا يُعلم قدر خسارة المتمادين والمفرطين المصرين على المعاصي، فهؤلاء المحرومون قطعًا، حيث حُرِموا فرحة الله بهم، ومن حُرم الفرحة قد تحل به النقمة عياذًا بالله تعالى.

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم (٤/ ١٤٦١).



صفة الضحك

الضحك من الصفات الثابتة لله تعالى، وهي كباقي الصفات نُمِرُّها كما أتت دون التعرض لكيفيتها؛ لأنه لا يعلم كيفية الصفات إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

۞ الأدلة الدالة على هذه الصفة:

عن أبي هريرة رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله، فيُقتَل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد**»(١).

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**يتجلى لنا ربنا يوم القيامة ضاحكًا**»(٢).

ومن حديث أبي الزبير: أنه سمع جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُسأل عن الورود، قال: نحن يوم القيامة على كذا فوق الناس، فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتى ننظر إليك. فيتجلى لهم يضحك»(٣).

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠).

(٢) أخرجه الدارقطني في الصفات (١/ ٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٨١).

(٣) أخرجه: مسلم (١٩١).

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: عن النبي ﷺ قال: «ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار، هو آخر أهل النار دخولًا الجنة، فيقول: أي ربِّ اصرف وجهي عن النار، فإنَّهُ قد قَشَبَنِي ريحُها، وأحرَقَني ذكاؤُها، فيدعو الله ما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله: هل عسيتَ إن أُعطِيتَ ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك، لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي ربّ قدّمني إلى باب الجنة، فيقول الله له: ألسْتَ قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أُعطِيت أبدًا، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك. فيقول: أي ربِّ ويدعُو الله حتى يقول: هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسْأل غيره؟ فيقول: لا وعزَّتك لا أسألك غيره. ويُعْطِي ما شاءَ مِنْ عُهودٍ ومواثيق، فيُقَدِّمه إلى بَاب الجَنّةِ، فإذا قَامَ إلى باب الجنة انْفَهَقَتْ لهُ الجنة، فرأى ما فيها من الحَبْرَةِ والسرور، فَيَسْكتُ ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي ربِّ أدْخِلني الجنة، فيقول الله: ألست قد أعطيت عُهُودَكَ ومواثيقَك أن لا تسأل غير ما أعطِيت. فيقول: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: أي ربِّ لا أكون أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه، قال: ادخل الجنة»[1].

عن ابن مسعود: عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط، فينكب مرة ويمشي مرة أخرى، إلى أن قال في آخر الخبر، فيقول الله تبارك وتعالى ما يرضيك مني أي عبدي؟ أيرضيك أن أعطيك من الجنة مثل الدنيا ومثلها معها؟ قال: فيقول: أتهزأ بي يارب وأنت رب العزة». قال: فضحك عبدالله حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا تسألونني لِمَ

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

ضحكتُ. فقالوا: لِمَ ضحكتَ؟ قال: لضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: قال لنا رسول الله ﷺ «**ألا تسألوني لِمَ ضحكتُ**»، قالوا: لِمَ ضحكتَ يا رسول الله؟ قال «**لضحك الرب حين قال: أتهزأ بي وأنت رب العزة**»[١].

عن أحمد بن نصر قال: سألت سفيان بن عيينة وأنا في منزله بعد العتمة، فجعلت ألح عليه في المسألة، فقال: دعني أتنفس، فقلت: كيف حديث عبد الله: عن النبي ﷺ «**أنَّ الله يحمل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع**»، وحديث «**أنَّ قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن**» وحديث «**إنَّ الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق**»، فقال سفيان: هي كما جاءت نقر بها ونحدث بها بلا كيف[٢].

عن وكيع أنه قال: إذا سئلتم: هل يضحك ربنا؟ فقولوا كذلك سمعنا[٣].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

(٢) مختصر العلو للإمام الذهبي: للعلامة الألباني وقال: صحيح (١/ ٧٥).

(٣) اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٤٣٠).



آثار الإيمان بصفة الضحك

❁ **منها: عِظَم الرجاء في الله تعالى:**

فإنَّ رحمته غلبت غضبه، والضحك دليل الحلم والرحمة، وكثرة العطاء، كما أنَّ العبس دليل الحرمان والشر؛ لذا وصف الله وجوه أهل الجنة بأنها ضاحكة مستبشرة؛ لما تنال من الخير والعطاء، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس: ٣٨ – ٣٩].

ووصف وجوه الكافرين بأن عليها غبرة، قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٤٠ – ٤٢].

وأنها باسرة، قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القيامة: ٢٤].

بل وصف يوم القيامة بأنه يوم عبوس لشدته، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان: ١٠].

لذا استدل الصحابي الجليل أبو رَزِين بفطرته وفهمه بالضحك على الخير والعطاء.

قال أبو رَزِين العقيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أو يضحك ربنا يا رسول الله؟! قال: «**نعم**»، قال: لا عدمنا الخير من رب يضحك[1]، فاستدل بالضحك على إحسان الرب وبره وجوده.

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده (٤/ ١١)، وابن ماجه (١٨١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨١٠).

ومنها: أن يكون الإنسان دائم البشر طلق الوجه:

لذا كان من صفات النبي ﷺ أنه دائم البشر، كثير التبسم، بل وأوصى ﷺ بذلك، عن أبي ذر قال: قال لي النبي ﷺ «**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»(١).

ولأهمية التبسم وشدة أثره في النفوس، ولأنه أمر محبب إلى الله تعالى - إن كان في مكانه- ذكره الله تعالى في كتابه، مع أنَّ الله تعالى في كثير من القصص ترك حِقَبًا من الزمن لم يتكلم عنها في حياة الأمم والأنبياء؛ إذ إنَّ ذكرها قليل الفائدة، ومع ذلك ذكر التبسم في قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ دلالة على أهميته وعظم أثره، قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٩].

ومنها: وجوب السعي للأسباب التي تحصل للعبد ضحك الله له:

فإنَّ ضحكه له مقتضاه إكرامه وعطاؤه، ومن ذلك:

التضحية بالنفس في الجهاد لله تعالى، وما أغلاها على العبد وأرخصها عنده إذا قدمها لله تعالى، عن أبي هريرة رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله، فيُقتَل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد**»(٢).

ومن أسباب ضحك الله للعبد: إيثاره المسلمين على نفسه مع حاجته، وهذا مما يعجب الله منه؛ إذ إنه خرج عن نظيره، وليس كل إنسان يقوى على ذلك، ويضحك الله لصاحبه لعظيم فعله عند الله تعالى، وفرحًا ومباهاةً بهذا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

العبد الكريم على الله تعالى.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه، فلم يجد عندهن شيئًا، فقال رسول الله ﷺ «**ألا رجل يضيفه الليلة يرحمه الله**»، فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله لا تدخريه شيئًا، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي، فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا على رسول الله ﷺ فقال: «**لقد عجب - عزَّ وجلَّ - أو ضحك من فلان وفلانة**»، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩][(١)].

ومما يضحك الله سبحانه شهود الربوبية في القلب، كما جاء في حديث مسلسل عن علي بن أبي طالب في دعاء ركوب الدابة وهو «**بسم الله، الحمد لله: سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هَذا وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ**». [الزخرف:١٣]، الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، رب إني ظلمت نفسي ولا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك علي بن أبي طالب، والراوي عنه حدَّث بهذا الحديث وضحك، وقال: حدثني عليٌّ، فضحك، ثم قال علي حدثني رسول الله، فضحك، فسألوا رسول الله ﷺ ما الذي أضحكك؟ قال: «**ضحك الله من عبده يقر بأنَّ له ربًّا يأخذ بالذنب ويغفر**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

۞ ومنها: دوام الأمل في الله تعالى:

ولا يُقطع الأمل في فرجه وعطائه؛ لأنَّ الله لا يعجزه شيء، وهو كثير العطاء، ومهما ضاقت الأمور، فلا يعلم العبد متى يأتي الفرج إنما يأتي بحكمة، وقد يكون الفرج بعد يأسك بزمن قليل، فتندم على هذا اليأس.

عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رَزِين قال: قال رسول الله ﷺ «**ضحك ربنا من قنوط عباده، وقرب غيره**»، قال: قلت: يا رسول الله أو يضحك الرب؟! قال: «**نعم**» قلت: لن نُعدم من رب يضحك خيرًا[1].

۞ ومنها: أنَّ الضحك دليل التوفيق:

فإنَّ الله إذا ضحك لعبده وفقه لخير الأعمال، وإن كان بعيدًا عن الله تعالى، ووفقه بعدها لأعلى جنان الخلد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة: يقاتل هذا في سبيل الله، فيُقتل، ثم يتوب الله على القاتل، فيستشهد**»[2].

وتفسير ذلك:

أنَّ الأول يقاتل لإعلاء كلمة الله، والثاني يقاتل لإخفاقها، وإعلاء كلمة الباطل، ويضحك لهما، فالأول: ضحك له، فاصطفاه وجعله من الشهداء، والثاني ضحك له فهداه بعدما أكرم الأول على يديه بالشهادة، ثم قدر للثاني أن يقف نفس الموقف، ويقاتل في سبيل الله تعالى، فيُقتل ويستشهد ويلحق بصاحبه.

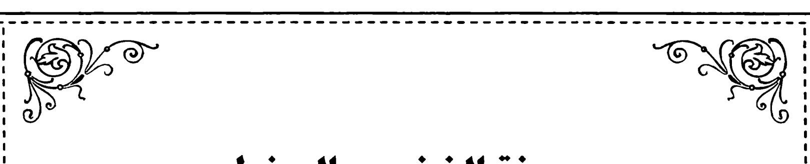
---

(١) أخرجه: ابن ماجه (١٨١)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، ثم تراجع عن تضعيفه، وصححه في السلسلة الصحيحة (٢٨١٠).

(٢) سبق تخريجه.

وهو أيضًا يضحك لهما؛ لأنَّ مقاليد الأمور بيديه وقلوب العباد بيديه، فإنهما تقاتلا بغِلٍّ وحقد يملأ قلوبهما، فلما جمعهما الله تعالى أزال ما في قلوبهما من الغِلِّ والحقد، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)﴾ [الأعراف: ٤٣]، واجتمعا ودخل الجنة سويا.

ஐ◊ஐ



صفة الغضب والسخط

الغضب من الصفات الفعلية لله تعالى التي يفعلها وقتما يشاء، وينزلها بمن يشاء، وكل ذلك بحكمة، وليس غضبه يشبه غضب المخلوق سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وغضب الله تعالى على العصاة والظالمين من تمام حكمته؛ إذ إنه كما رضي عن المؤمنين الصالحين وأكرمهم، غضب على العصاة والكفار وعذبهم.

❁ الأدلة الدالة على صفة الغضب:

قال تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: ٦١].

وقال: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

وقال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠].

وقال: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأعراف: ٧١].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وقال: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه: ٨١].

وقال: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾﴾ [النور: ٩]، وقال: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: ٣٥].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ [الشورى: ١٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزخرف: ٥٥].

وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٧ - ٢٨].

وقال: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح: ٦].

عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ من الفراش، فالتمستُه، فوقعَتْ يدي على بطن قدميه، وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»(١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش إنَّ رحمتي غلبت غضبي**»(٢).

عن أبي هريرة قال: كنا مع النبي ﷺ في دعوة، فرُفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهش منها نهشة، وقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون مم؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فينظرهم الناظر ويسمعهم الداعي، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون، فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتونه، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة، فسجدوا لك، وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا، فقال: إنَّ ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة، فعصيت، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح أنت أول**

---

(١) أخرجه: مسلم (٤٨٦).

(٢) سبق تخريجه.

الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا أما ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما بلغنا، ألا تشفع لنا إلى ربك، فيقول: إنَّ ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوةٌ دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله، وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك أما ترى إلى ما نحن فيه، فيقول لهم إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: ياموسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته، وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك أما ترى إلى ما نحن فيه، فيقول لهم: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلَّمْتَ الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول عيسى: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله- ولم يذكر ذنبًا - نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدًا، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله عليَّ من محامده، وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحدٍ قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل-من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من

الأبواب، ثم قال والذي نفسي بيده إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»[١].

عن ابن عمرأنَّ زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويبتغيه، فلقي عالمًا من اليهود، فسأله عن دينهم، فقال: إني لعلي أن أدين دينكم فأخبروني، قال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله، قال: زيدٌ ما أفر إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئًا أبدًا وأنَّى أستطيعه[٢].

ﻫ ◈ ﻫ

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٢) أخرجه: البخاري (٣٨٢٧).



آثار الإيمان بصفة الغضب

❁ منها: عدم التعرض لغضب الله تعالى:

مَن علم أنَّ الله يغضب ولغضبه أسبابًا، فيجب عليه البعد عن أسباب غضبه، فإنَّ العبد ضعيف لا يتحمل غضب الله تعالى، ولو كانت معه الدنيا بأسرها، فإنَّ كل عذاب حلَّ بأمة من الأمم هو من آثار غضب الله، فالله إذا غضب جعل أعالي الأرض أسافلها، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر: ٧٣ - ٧٥].

وإذا غضب جعل اليابسة بحرًا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥٥ - ٥٦].

وإذا غضب مسخ أناسًا قردة وخنازير، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠].

وكان أفضل الأمة وأجلها وهم أصحاب النبي ﷺ مع علو كعبهم، وارتفاع مكانتهم، وعظم قدرهم يخافون من غضب الله تعالى، وغضب رسوله ﷺ، ويستعيذون بالله من ذلك، عن أنس بن مالك: أنَّ رسول الله ﷺ خرج حين زاغت الشمس، فصلى الظهر، فقام على المنبر، فذكر الساعة، فذكر أنَّ فيها أمورًا عظامًا، ثم قال: **«مَن أحب أن يسأل عن شيء فليسأل، فلا تسألوني عن**

شيء إلا أخبرتكم ما دمت في مقامي» فأكثر الناس البكاء، وأكثر أن يقول سلوا، فقام عبد الله بن حذافة السهمي، فقال: من أبي؟ فقال: «**أبوك حذافة**»، ثم أكثر أن يقول: «**سلوني**»، فبرك عمر على ركبتيه، فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، فسكت، ثم قال: «**عُرِضت عليَّ الجنة والنار آنفًا في عرض هذا الحائط، لم أَرَ كاليوم في الخير والشر**»(١).

ومن أسباب غضب الله تعالى:

□ **الكفر بالله تعالى وقتل الأنبياء والمرسلين** كما فعلت بنوإسرائيل، وأي شيء يوجب غضب الجبار إن لم يوجبه هذا، قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران: ١١٢].

بل لقد غضب الله على أناس لمجرد جرحهم لنبيه فما بالك بقتله، عن ابن عباس قال: «**اشتد غضب الله على من قتله نبيٌّ في سبيل الله، اشتد غضب الله على قومٍ دموا وجه نبي الله ﷺ**»(٢).

□ **قتل المسلم متعمداً بلا حق**، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

□ **التولي يوم الزحف**، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٩٣)، ومسلم (٢٣٥٩).

(٢) أخرجه: البخاري (٤٠٧٤).

مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٥ - ١٦].

❑ **إخلاف أمر الله ورسوله،** واتباع أهل الضلال والغواية والهوى، قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾ [طه: ٨٦].

❑ **مخالفة القول للفعل،** وأمر الناس بالخير ولا يأتيه، وينهاهم عن الشر ويأتيه، قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٣].

❑ **إغضاب المسلمين المؤمنين الضعفاء والمساكين،** عن عائذ بن عمرو أنَّ أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفرٍ، فقالوا: ما أخذَتْ سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريشٍ وسيدهم، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «**يا أبا بكر لعلك أغضبتَهم لئن كنتَ أغضبتَهم لقد أغضبتَ ربك**»، فأتاهم، فقال: يا إخوتاه أغضبتُكم؟ قالوا: لا. يغفر الله لك يا أخي(١)، فكيف بمن يؤذيهم، ويمتهنهم، بل ويعذبهم لضعفهم وقلة حيلتهم!.

❑ **الحلف كذبًا لأخذ أموال الناس بغير حق،** عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «**من حلف على يمين، وهو فيها فاجر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان**»(٢).

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٥٠٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٢٣٥٦)، ومسلم (١٣٨).

❑ **عدم الدعاء وطلب الحاجات من الله تعالى**؛ إذ هو دليل على شعور العبد باستغنائه عن ربه، فاستحق غضب الله تعالى، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**من لم يَدْعُ الله سبحانه غضب عليه**»[١].

وغيرها من أسباب الغضب التي قد تودي بالعبد إلى الهلاك والخسران، وعلى العبد أن لا يأمن غضب الله تعالى، فإنه لا يدري، فإنَّ الغضب قد يحل بعمل واحد وهو غافل لا يشعر.

قال ابن القيم:

يا مغرورًا بالأماني لُعِن إبليس، وأُهبِط من منزل العز بترك سجدة واحده أُمِر بها، وأُخرِج آدم من الجنه بلقمة تناولها، وحَجَب القاتل عنها بعد أن رآها عيانًا بملء كف من دم، وأمر بقتل الزاني أشنع القتلات بإيلاج قدر الأنملة فيما لا يحل، وأمر بإيساع الظهر سياطًا بكلمة قذف، أو بقطرة سِكر، وأبان عضوًا من أعضائك بثلاثة دراهم، فلا تأمنه أن يحبسك في النار بمعصية واحدة من معاصيه، ولا يخاف عقباها، دخلت امرأة النار في هرة، وإنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة لا يُلقِى لها بالًا يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب، وإنَّ الرجل ليعمل بطاعة الله ستين سنة، فإذا كان عند الموت جار في الوصيه، فيختم له بسوء عمله، فيدخل النار[٢].

---

(١) أخرجه: أحمد (٢/ ٤٧٧)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٠٨٥).

(٢) الفوائد لابن القيم (١/ ٦٣).

❁ ومن هذه الآثار: الدعاء الدائم بأن يقي الله العبد غضبه:

وذلك بأن يهديه صراط الذين أنعم الله عليهم دون المغضوب عليهم، قال تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧].

عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه، وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[1].

❁ ومنها: عدم تولي أناس غضب الله عليهم:

فإنك لا تدري أن يصيبك بعض غضب الله تعالى بسبب صحبتهم، قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٤ ﴾ [المجادلة: ١٤].

ولقد نهى النبي ﷺ عن دخول ديار أناس مغضوب عليهم، وذلك بعد موتهم، ونهى عن استخدام مائهم، عن ابن عمر قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحِجْر قال: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين، ثم قنع رأسه، وأسرع السير حتى أجاز الوادي**»[2].

بل حتى في العبادة لم يتشبه بهم ﷺ، عن ابن عباس قال حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله إنه يومٌ يعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ «**فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمت اليوم**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٤٣٣)، ومسلم (٢٩٨٠).

التاسع» قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ[١]، بل نهى ﷺ عن صحبة الناقة التي لُعنت؛ إذ اللعن طرد من رحمة الله تعالى وحلول غضبه، فعن عمران قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأةٌ من الأنصار على ناقة، فضجرَتْ فلعنَتْها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**خذوا ما عليها ودعوها، فإنها ملعونة**»، قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد[٢].

﴿◊﴾

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه: البخاري (٢٠٤٠)، ومسلم (١١٣٤).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٥٩٥).



صفة الكره والبغض

إنَّ الله تعالى يحب أشياء، ومن تمام صفاته وكماله أنه يبغض أشياء، فإن أحب الطاعة كره المعصية، وإن أحب أهل الإيمان كره أهل الكفر والعصيان، فصفة الكره والبغض لبعض الأشياء من صفات الكمال لله تعالى.

❁ الأدلة الدالة على هذه الصفة:

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [التوبة: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٨].

عن عبادة عن النبي ﷺ قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»، فقالت عائشة أو بعض أزواجه إنا لنكره الموت، قال «**ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته، فليس شيءٌ أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه، وإنَّ الكافر إذا حضر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيءٌ أكره إليه مما أمامه كره لقاء الله، وكره الله لقاءه**»(١).

عن البراء: عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار «**لا يحبهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغضهم إلا منافقٌ، مَن أحبهم أحبه الله، ومَن أبغضهم أبغضه الله**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «**إنَّ أبغض الرجال إلى الله الألَدُّ الخَصِم**»(١).

عن عياض بن حمار: أنَّ النبي ﷺ قال ذات يوم في خطبته «**ألا إنَّ ربي أمرني أن أُعَلِّمَكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كلُّ مال نحلته عبدًا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمَرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا، وإنَّ الله نظر إلى أهل الأرض فمَقَتَهُم عربَهم وعجَمَهم إلا بقايا من أهل الكتاب**»(٢).

عن عبد الله بن عمرو: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة**(٣)»(٤).

ﮋ ◊ ﮊ

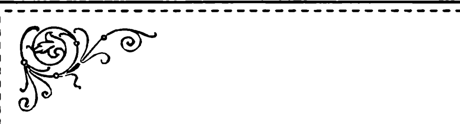
---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٨٦٥).

(٣) **البليغ من الرجال: أي المظهر للتفصح، «الذي يتخلل بلسانه تخلل البقرة بلسانها» أي الذي يتشدق بلسانه كما تتشدق البقرة.التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي** (١/ ٥٤٠).

(٤) أخرجه: أحمد (٢/ ١٦٥)، والترمذي (٢٨٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٧٥).

آثار الإيمان بصفة كره الله تعالى لبعض الأعمال

❁ منها: البعد عن الأفعال والأقوال التي يبغضها الله تعالى:

لأنَّ بغض العمل قد يؤدي إلى بغض صاحبه؛ إذ كيف يجرؤ العبد على اقتراف ما يبغضه الله تعالى وهو موقن أنه يبغضه، ثم ينتظر الخير والعافية من الله تعالى.

❑ **ومن ذلك** فإنه يبغض البخل والشح، والتبذير والإسراف، ويبغض قتل الأولاد خوفًا من الفقر، ويبغض الزنا، ويبغض القتل بغير حق، ويبغض أكل مال اليتيم، ويبغض التطفيف في الميزان وعدم القسط، ويبغض القول بغير علم، ويبغض التكبر في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٢٨ - ٣٨].

❑ **ومنها** أنه يكره قيل وقال، ويكره إضاعة المال أي صرفه في غير محله وفيما لا ينفع، ويكره كثرة السؤال، عن المغيرة بن شعبة: عن رسول الله ﷺ «**إنَّ الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**»(١).

❑ ومنها بغض الأنصار، عن البراء بن عازب: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في الأنصار «**لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**»(٢).

❑ **ومنها** كثرة الجدال والمخاصمة بغير حق، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «**إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**»(٣)، وغير ذلك.

۞ ومنها: بغض ما يبغضه الله تعالى:

فالله تعالى نهى عن إيقاع البغض من العبد في محاب الله تعالى؛ إذ البغض لذلك من فعل الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ **[المائدة: ٩١]**.

عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تسلموا، ولا تسلموا حتى تحابوا، وأفشوا السلام تحابوا، وإياكم والبغضة، فإنها هي الحالقة لا أقول لكم تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**»(٤).

ونهى أيضًا عن إيقاع المحبة والود في مواضع البغض؛ لذا أنكر الله تعالى

---

(١) متفق عليه: أخرجه: البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه: البخاري في الأدب المفرد (٢٦٠)، وقال الألباني حسن لغيره.

على أناس من المسلمين وادوا وأحبوا ما أبغض الله من الكافرين، فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)﴾ [الممتحنة: ١].

وقال: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)﴾ [آل عمران: ١١٨].

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤)﴾ [الممتحنة: ٤].

بل جعل ﷺ وضع المحبة في محلها، والبغض في محله من أوثق عرى الإيمان، عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله**»(١).

---

(١) أخرجه: أحمد (٤/ ٢٨٦)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٢٢٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب

ومنها: أنَّ من دلائل بغض الله للعبد بغض الناس له:

فإنَّ قلوب العباد كلها بيد الله تعالى، فمن فعل ما يبغضه الله تعالى بغَّضَه إلى قلوب العباد، ولو أنفق ما في الأرض لحبهم إياه ما استطاع، وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**وإذا أبغض الله عبدًا نادى جبريل: إني قد أبغضتُ فلانًا، فينادي في السماء، ثم تنزل له البغضاء في الأرض**»[1].

ﷻ

والترهيب (٣٠٣٠) حسن لغيره.

(١) سبق تخريجه.



صفة الرضا

الرضا من الصفات الهامة للعبد المسلم، والتي يبحث عنها كل مسلم؛ إذ إنه لا يتخطى العقبات، ولا يأمن في الملمات إلا بالرضا، وهي من الصفات الثابتة لله تعالى بما يليق به، ولا يشابه فيها المخلوق سبحانه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

❁ الأدلة الدالة على صفة الرضا:

قال تعالى: ﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: ١٥].

وقال: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ ﴿٧﴾﴾ [الزمر: ٧].

وقال تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

وقال تعالى: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

عن أبي سعيد الخدري: أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله عز وجل يقول لأهل الجنة: أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول:**

هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: يا رب وأي شيءٍ أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا»[١].

Ꮘ◊Ꮘ

(١) سبق تخريجه.



آثار الإيمان بصفة الرضا

❁ **منها: أنَّ الرضا غاية عمل العاملين، ومنتهى رغبة المريدين:**

فإنَّ الرضا يدل على الإكرام بأعظم العطايا، وكذلك الدوام على ذلك، لذا فإنَّ أهل الجنة لما كانوا في النعيم العظيم، ورأوا ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ودعاهم الله تعالى، وسألهم عما يريدون بعد ذلك، قالوا جميعا نسألك الرضا.

عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أتاني جبريلُ بمثل هذه المرآة البيضاء فيها نُكْتة سوداء، قلت: يا جبريلُ ما هذه؟ قال: هذا الجُمُعة جعلها الله عيدًا لك ولأمتك فأنتم قبل اليهود والنصارى، فيها ساعةٌ لا يوافقها عبدٌ يسأل اللهَ فيها خيرًا إلا أعطاهُ إياه، قال: قلت: ما هذه النُكْتةُ السوداء؟ قال: هذا يوم القيامة تَقُوم في يوم الجمعة، ونحن ندعوه عندنا (المزيد) قال: قلت: ما يومُ المزيد؟ قال: إنَّ الله جعل في الجنة واديًا أفيح، وجعل فيه كُثْبانًا من المسك الأبيض، فإذا كان يومُ الجمعة ينزلُ الله فيه، فوُضِعَت فيه منابر من ذهب للأنبياء، وكراسي من درٍّ للشهداءِ، وينزلن الحورُ العينُ من الغُرف، فحمدوا الله ومَجَّدوه، قال: ثم يقول الله: اكسوا عبادي فيُكسَون، ويقول: أطعموا عبادي فيُطعَمون، ويقول: اسقوا عبادي فيُسقَون، ويقول: طيِّبوا عبادي فيُطيَّبون، ثم يقول: ماذا تُريدون؟ فيقولون: ربنا رضوانك، قال: يقول: رضيت عنكم، ثم يأمرهم فينطلقون، وتصعدُ الحورُ العين الغرفَ، وهي من زمردةٍ**

خضراء ومن ياقوتةٍ حمراء»(١).

إنما سألوا الرضا ليضمنوا دوام هذا النعيم وإقامتهم فيه، فإنَّ رضاه هو الذي أحلهم دار كرامته، فكذلك هو الذي سيقيمهم فيها.

لذا كان الرضا هو مطلوب أفضل الخلق على الله وهم أنبياءه وأصفياءه، مع أنَّ الله هو الذي اجتباهم واصطفاهم، لكنهم كانوا يبحثون عن الرضا ويطلبونه لهم ولذرياتهم، قال تعالى عن زكريا ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَاءِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ [مريم: ٥ - ٦].

وقال عن موسى ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ [طه: ٨٣ - ٨٤].

وقال عن سليمان ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل: ١٩].

وقال عن النبي ﷺ، وصحبه ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴿٢٩﴾ ﴾

[الفتح: ٢٩].

---

(١) أخرجه: أبويعلى (٧/ ٢٢٨)، وقال العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حسن لغيره (٣٧٦١)، وصححه الشيخ العدويّ ـ حفظه الله ـ في صحيح الأحاديث القدسية (٩٠).

ومنها: الإخلاص في كل عمل:

فإنه مِن كُفْر النعمة، وعدم التوفيق أن يطلب العبد رضا ربه ونعيمه، ويتوجه بالعمل إلى غيره، فالإخلاص من العبد دليل صادق لطلب رضا الله تعالى.

فينعم على الناس ويعطيهم ابتغاء مرضات الله، قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٩ - ٢١].

ويبيع العبد نفسه لله تعالى، وإن كانت غالية عليه، لكنها رخيصة حين يُطلَب بها مرضات الله، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وينفقون أموالهم مع حبهم لها، وما يطلبون إلا مرضات الله، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة: ٢٦٥].

والموالاة والمعاداة في ذات الله، لا لدنيا، ولا مصلحة، ولا نسب، جزاؤها رضوان الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

إنَّ طلب الرضا من الله تعالى هوالأساس المتين القوي الذي يُبنى عليه عمل العبد، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: ١٠٩].

❁ ومنها: العمل بالأعمال التي يحبها الله ويرتضيها:

فإنها تجلب للعبد رضا الله تعالى، ومن أعظم هذه الأعمال:

اتباع شرع الله تعالى؛ إذ هو ما ارتضاه لنا قولًا وعملًا، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣].

ومنها كثرة الذكر: فإنَّ الذكر من خير الأعمال وأرضاها عند الله تعالى، عن أبي الدرداء أنَّ النبي ﷺ قال «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأرضاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والوَرِق، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا وما ذاك؟ يا رسول الله: قال «**ذكر الله**»[1].

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٢٩).

وكان النبي ﷺ في حله وارتحاله يطلب من الله التوفيق لما يرضى من الأعمال، عن ابن عمر: أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر «**كبَّر ثلاثًا، ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى**»(١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ أنه قال «**إنَّ الله عز وجل يكره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، ويرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا وأن تناصحوا الولاة**»(٢).

عن عبد الله بن عمرو: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**»(٣).

❁ ومنها: أنَّ رضا الله قريب وفي متناول كل عباده:

لذا دعاهم الله إليه، وكلفهم بطلبه، وهوسبحانه لا يكلف نفسًا إلا وسعها، فإنه أيسر على العبد من رضا المخلوق، فرضا الخلق أمر صعب عسير، ومع ذلك فهو غير مطلوب من العبد، قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [**التوبة: ٦٢**]؛ إذ إنَّ رضا الله تعالى باتباع طريق واحد هو طريق الله تعالى، أما رضا الناس فكلٌّ يرضى باتباع منهجه وما يرتضيه، والبحث عن إرضاء الناس، وترك رضا الله دليل على ضعف اليقين بالله وموعوده.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه: مسلم (١٧١٥).

(٣) أخرجه: الترمذي (١٨٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٠٦).

قال ابن القيم: من اليقين أن لا تُرضِي الناس بسخط الله[١].

رضا الله عنك بفعل ما يصلحك، وما ينفعك، أما رضا الخلق عنك باتباع ما يصلح أحوالهم وينفعهم، وإن كان في ذلك مضرة لك، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

عن عائشة: أنها سمعتْ رسول الله ﷺ يقول: «**من التمس رضا الله بسخط الناس، كفاه الله مئونة الناس، ومن التمس سخط الله برضا الناس، وكله الله إلى الناس**»[٢].

وصدق القائل حين يصف حال الباحث عن رضا الخلق بتعبه في ذلك، وعدم تحصيله للرضا منهم:

ضحكتُ فقالوا ألا تحتشم … بكيتُ فقالوا ألا تبتسم

بسمتُ فقالوا يرائي بها … عبستُ فقالوا بدا ما كتم

صمَتُّ فقالوا كليل اللسان … نطقتُ فقالوا كثير الكلم

حلمتُ فقالوا صنيع الجبان … ولو كان مقتدرًا لانتقم

بسلتُ فقالوا لطيش به … وما كان مجترئًا لو حكم

يقولون شذَّ إذا قلتُ لا … وإمعة حين وافقتُهم

فأيقنتُ أني مهما أُرِدْ … رضا الناس لابد من أن أذم

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ١٤٧).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٤١٤)، وابن حبان (١/ ١٢٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٣١١).

❁ **ومنها: أنَّ طلب الرضا من الله تعالى يُرضي الله تعالى به العبد:**

فإنَّ الله يكافئه بأن يفعل له ما يرضيه في الدنيا مكافأة له، وجزاء أنه طلب رضا الله تعالى، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة: ١٤٤].

وقد وعد الله بإرضائهم والله لا يخلف وعده، قال تعالى عن نبيه وخليله محمد ﷺ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى: ٥].

وقال عن صحابته ومن سار على نهجهم ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٩ - ٢١].

ويصرف عنهم السوء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢ - ١٧٤].

وينزل عليهم السكينة، ويفتح عليهم البلاد، ويفتح لهم قلوب العباد، قال تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

۞ وفي الآخرة يبشرهم بالجنة ورضوانه:

فعند الموت يُبشر برضوانه، عن عبادة: عن النبي ﷺ «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»، فقالت عائشة، أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: «**ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيءٌ أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإنَّ الكافر إذا حضر بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته، فليس شيءٌ أكره إليه مما أمامه، كره لقاء الله وكره الله لقاءه**»[1].

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [الحج: ٥٨ - ٥٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

بل إنَّ الله يُرضِي أهل الجنة جميعًا، حتى آخر أهل الجنة دخولًا، ففي الحديث «**أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها، قال: يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين**»، فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك، فقالوا: مم تضحك؟ فقال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا

---

(١) سبق تخريجه.

رسول الله؟ قال: «**من ضحك رب العالمين**»(١).

ويُرضِي من مات في سبيله بمجرد موته، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعث النبي ﷺ أقوامًا من بني سليم إلى بني عامر في سبعين، فلما قدموا قال لهم خالي أتقدمكم، فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ، وإلا كنتم مني قريبًا فتقدم فأمنوه، فبينما يحدثهم عن النبي ﷺ إذ أومؤوا إلى رجل منهم، فطعنه، فأنفذه، فقال: الله أكبر فزت ورب الكعبة، ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجلًا أعرج صعد الجبل، فأخبر جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ النبي ﷺ أنهم قد لقوا ربهم، فرضي عنهم وأرضاهم، فكنا نقرأ «**أن بلِّغوا قومنا أنا لقينا ربنا، فرضي عنا وأرضانا**»، ثم نُسِخَ بعد، فدعا عليهم أربعين صباحًا على رعل وذكوان وبني لحيان وبني عصية الذين عصوا الله تعالى ورسوله ﷺ(٢).

❁ ومنها: الرضا بالله تعالى:

فإنَّ الله يرضى عن العبد مع تقصيره وتفريطه، وضعف عمله وقلته، وخلوه من كثير من الحكمة، واختلاط الصالح بالطالح، ومع ذلك يرضى عنه الله تعالى إذا رجع وأحسن في عمله، فمن باب أولى بالعبد أن يرضى هو عن الله تعالى الغني، والذي لا يفعل شيئًا إلا بالحكمة الكاملة، والذي تخلو أفعاله من الشر، فالخير كله بيديه، والشر ليس إليه.

ومن هنا كافأ الله تعالى من رضي به سبحانه وتعالى أعظم جزاء وأفضله.

عن سعد: أنَّ رسول الله ﷺ قال «**من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله رضيت بالله ربًّا،**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) متفق عليه: أخرجه: البخاري (٢٨٠١)، ومسلم (٦٧٧).

وبمحمدٍ رسولًا، وبالإسلام دينًا غفر له ذنبه»[١].

عن أبي سعيد الخدرى: أَنَّ رسول الله ﷺ قال «**مَن قال رضيتُ بالله رَبًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا وجبت له الجنة**»[٢].

عن أبي سلام أنه كان في مسجد حمص، فمر رجل، فقمت إليه، فقلت: حدثني حديثًا سمعتَه من رسول الله ﷺ لم تداوله الرجال بينك وبينه، قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقول: «**ما من عبد مسلم يقول حين يصبح ثلاثًا، وحين يمسي رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا إلا كان حقًّا على الله أن يرضيه يوم القيامة**»[٣].

كتب عمر إلى أبي موسى: أما بعد فإنَّ الخير كله في الرضى[٤].

وقال ميمون بن مهران: من لم يرض فليس لحمقه دواء[٥].

وقال ابن القيم: وثمرة الرضى الفرح والسرور بالرب تبارك وتعالى[٦].

---

(١) أخرجه: مسلم (٣٨٦).

(٢) أخرجه: مسلم (١٨٨٤).

(٣) أخرجه: أحمد (٤/ ٣٣٧)، وأبوداود (٥٠٧٢)، والترمذي (٣٣٨٩)، وقال الأرنؤوط صحيح لغيره ، وقال العراقى صحيح الإسناد ، وقال الحافظ في الفتح أخرجه أبوداود وسنده قوي، وقال الألباني في ضعيف الجامع -ضعيف- (٥٧٤٦).

(٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفارينى (٢/ ٤١٧)، الرسالة القشيرية للقشيري (١/ ٩٠).

(٥) إحياء علوم الدين(٤/ ٣٤٦).

(٦) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٧٦).

❁ والرضا بالله تعالى يكون بأمور منها:

❑ الرضا بحكمه وشرعه:

عن ابن عباس قال: لما كان بين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وأم إسماعيل، ومعهم شنة فيها ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدر لبنها على صبيها، حتى قدم مكة فوضعها تحت دوحة، ثم رجع إبراهيم إلى أهله، فاتبعته أم إسماعيل حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه: يا إبراهيم، إلى من تتركنا؟ قال: إلى الله، قالت: رضيت بالله. قال: فرجعتْ فجعلتْ تشرب من الشنة، ويدر لبنها على صبيها حتى لما فني الماء، قالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا، قال: فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت هل تحس أحدًا فلم تحس أحدًا، فلما بلغت الوادي سعت وأتت المروة، ففعلت ذلك أشواطًا، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل - تعني الصبي - فذهبت فنظرت، فإذا هو على حاله كأنه ينشع للموت، فلم تقرها نفسها، فقالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا. فذهبت فصعدت الصفا، فنظرت ونظرت هل تحس أحدًا، فلم تحس أحدًا حتى تمت سبعًا، ثم قالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل. فإذا هي بصوت، فقالت: أغث إن كان عندك خير. فإذا جبريل، قال: فقال بعقبه هكذا وغمز عقبه على الأرض. قال: فانبثق الماء، فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحفز، قال: فقال أبو القاسم ﷺ: «**لو تركَتْه كان الماء ظاهرًا، قال: فجعلت تشرب من الماء، ويدر لبنها على صبيها**»[1].

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٣٦٥).

❁ الرضا بحظه ونصيبه من الدين وإن فاتته الدنيا كلها:

عن أبي سعيد الخدري قال: لما أَعطَى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت فيهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال يا رسول الله: إنَّ هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمتَ في قومك، وأعطيتَ عطايا عظامًا في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء، قال: «**فأين أنت من ذلك يا سعد**»؟ قال: يا رسول الله ما أنا إلا امرؤ من قومي، وما أنا، قال: «**فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة**»، قال فخرج سعد، فجمع الناس في تلك الحظيرة، قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا أتاه سعد، فقال قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، قال فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل، ثم قال: «**يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضُلَّالًا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم**» قالوا: بل الله ورسوله أَمَنُّ وأفضل، قال: «**ألا تجيبونني يا معشر الأنصار**»، قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله؟، ولله ولرسوله المَنُّ والفضل، قال: «**أما والله لو شئتم لقلتم فلصدَقْتُم وصُدِّقْتُم أتيتَنا مُكَذَّبًا فصدَّقناك، ومخذولًا فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلًا فأغنيناك، أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفتُ بها قومًا ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟! أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء**

الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»، قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسمًا وحظًّا، ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرقنا[١].

❁ الرضا بقضائه وقدره:

عن عمر بن الخطاب قال: بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثرُ السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، قال رسول الله ﷺ **«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا»**، قال: صدقتَ، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان قال: **«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقتَ...»**[٢].

عن ابن الديلمي قال: وقع في نفسي شيء من هذا القدر خشيت أن يُفسِد علي ديني وأمري، فأتيت أبي بن كعب، فقلت: أبا المنذر إنه قد وقع في نفسي شيء من هذا القدر، فخشيت على ديني وأمري، فحدِّثني من ذلك بشيء لعل الله أن ينفعني به، فقال: لو أنَّ الله عذب أهل سماواته، وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل جبل أحد ذهبًا أو مثل جبل أحد تنفقه في سبيل الله ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنك إن متَّ على غير هذا دخلت النار، ولا عليك أن تأتي

---

(١) أخرجه: أحمد (٣/ ٧٦)، وصححه الألباني في التعليق على فقه السيرة (١/ ٣٩٧).

(٢) سبق تخريجه.

أخي عبد الله بن مسعود فتسأله، فأتيت عبد الله فسألته، فذكر مثل ما قال أبي، وقال: لي ولا عليك أن تأتي حذيفة، فأتيت حذيفة فسألته، فقال: مثل ما قال، وقال: ائت زيد بن ثابت فاسأله، فأتيت زيد بن ثابت فسألته، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**لو أنَّ الله عذب أهل سمواته، وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل أحد ذهبًا أو مثل جبل أحد تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله، فتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار**»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

في قوله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن أسرار هذه الآية أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له ويقضيه له لما يرجو فيه من حسن العاقبة، ومنها: أنَّه لا يقترح على ربه، ولا يختار عليه، ولا يسأله ما ليس له به علم، فلعل مضرته وهلاكه فيه وهولا يعلم، فلا يختار على ربه شيئًا، بل يسأله حسن الاختيار له، وأن يرضيه بما يختاره، فلا أنفع له من ذلك[2].

---

(١) أخرجه: أبوداود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٦٢).

(٢) الفوائد لابن القيم (١/ ١٣٧).

الفهرس